

أخبار الزمان

ومن أباده الحدثان ، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران

تصنيف المؤرخ الكبير أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي

المتوفى سنة ٣٤٦ هجرية

الطبعة الاولى سنة ١٣٥٧هـ — ١٩٣٨ م

طبع بنفقة حضرة ملتزمه

عبد الحميد احمد حنفي

بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨

المراسلات : مصر صندوق البريد بوستة الغورية رقم ١٣٧

مطبعة عبد الحميد احمد حنفي بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨

مقدمة

للمسعودى كتابان جليلان فى التاريخ ، ظهر أولهما مروج الذهب فى عدة طبعات تداولها اكثر علماء هـذا الجيل، فعرفوا من المسعودى عالمـا ، جليلا ، فلكيا ، حاسباً ، منجما ، جغرافيا ، أخباريا ، فقيها ، محدثا ، جدليا ، نظاراً ، ديانيا ، مؤرخا ، نسابة ، فيلسوفا ، أديبـا ، راوية

وانه كان ملما بعدة لغات ، وكان ذا حظ وافر من الثقافات التى انتهى إليها علم الانسان ، منذ بدأ الله الخلق إلى عصره

وظهر ثانيهما وهو التنبيه والاشراف فى طبعة واحدة قبيل نهاية القرن التاسع بسبع عشرة سنة فى مطبعة بريل بمدينة ليدن بهولانده . ضمن المكتبة الجغرافية ، التى عنى بنشرها البروفسور « دى جوجى »

ويندر أن يعرف علماء العصر الحاضر عن هذا الـكتاب شيئا ؛ إذ لم يصدر منه سوى هذه الطبعة الاوربية ، وطبعات أروبا من الغلاء بحيث لا يستطيع الرجل المتوسط الثراء أن يقتنيها .

وقد قمت بنشر هذا الـكتاب ، وسيذاع بين يدى الجمهور بعد بضعة أيام ؛ ريثما أتمم طبع فهارسه المطولة

وسوف يرفع هذا الكتاب من منزلة مؤلفه العلامة المسعودى ؛ ويحله الذروة بين الرجال النابهين، ذوى الثقافات الواسعة والمعلومات الكثيرة ؛ وسيرى العلماء قدرة المسعودى الفائقة وبراعته وعلمـه الغزير الذى بدا لهم فى ثنايا كتابه مروج الذهب سيرون أنه قد عاد فظهر فيه بأوضح وأجلى مما ظهر فى صنوه المروج من قبل

وكتاب « أخبار الزمان » هذا ، ثالث كتاب يبرزه عالم الطبع من مؤلفات ذلك الامام الـكبير

وقد يلاحظ من يقرأ كتاب مروج الذهب أو كتاب التنبيه و الاشراف أن المسعودى أكثر من الثناء عليه ؛ وأحال عليه فى مواضع كثيرة

وأنه أوفى كتاب التاريخ ، وأوسع المراجع العامية الاسلامية التى وضعت فى أواسط العصر العباسى

ويظهر أن المسعودى ضمنه كل ثروته العلمية إذ هو أول ماألف من كتب ، ثم راعته ضخامة الكتاب ؛ فعمد إلى اختصاره عدة مرات ؛ ثم عمد إلى تلك الثروة العامية الهائلة فبعثرها فى كتبه ؛ وفرقها بين مصنفاته ؛ تفرقة عادلة ؛ وقسمة مرضية ؛ راعى فيها أن يكون فى كل مؤلف منها ما يحببه إلى القراء ، ويرفع قدره ويسنى منزلته بين العلماء .

فكثيراً مايرى الباحث فى كتب المسعودى أنه يعرض إلى إجمال بعض الموضوعات الطريفة ؛ والأحاديث الغريبة ؛ فى مختلف العلوم والفنون فى هذين الكتابين ؛ يلم بالموضوع إلمامة سريعة ؛ ثم يذكر أنه بسطه مفصلا ؛ وذكره بتمامه فى كتاب « أخبار الزمان » فلا يزال الباحث يبحث عن ذلك الكتاب ضمن ماطبع أو مالم يطبع ؛ وربما دعاه الشوق الى البحث فى مكاتب أوربا ، والمكاتب العامة والخاصة

ثم لا تكون نتيجة هذا البحث إلا الخيبة والفشل ، والتحسر الدائم على ما فقد وضاع من تراث الآباء !

ذلك كان موقفى عند ماقرأت مروج الذهب للمسعودى لأول مرة ، ولطالما أمضيت الأيام فى البحث ؛ وأضنيت النفس فى التنقيب عن كتبه ؛ ولا سيما عن كتاب أخبار الزمان الذى هام به العلماء ، لافراط المسعودى فى تقريظه ، وإلماعه بما تضمنه من علوم وأبحاث مفيدة — اعتقدت أن فى العثور عليه أشباعاً لرغباتى العلمية ، بل ظننت أن سعادة العالم رهينة بما قد ضمنه ذلك

الـكتاب من حلول لمسائل علمية معقدة ، ومشـكلات لم يصل العلم الى حلها ، ولا سيما مسائله الفلسفية ، وما وراء الطبيعة ، وأخباره الطريفة

ولم أكن فريداً فى الشعور بتلك الحالة ، بل ذلك شأن كل من يقرأ كتب المسعودى ، أو يلم بها بعض الالمام

ولقد حدثت أن مستشرقا استهواه علم المسعودى ، وأسلوبه الجذاب ، وفتنته إحالاته العجيبة ؛ فبحث أولا بنفسه ، ثم لجأ إلى حكومته فأمدته بالمال ، فظل يبحث ويتابع البحث ، حتى عثر على نسخة من كتاب «أخبار الزمان» فى مدينة شنقيط بصحراء أفريقية ، فرام شراءها ، وبذل فيها ثمنا عاليا ، فما سمحت أنفس الشناقطة ببيعها ، ولا رضوا أن يستبدلوها بالذهب الوفير

فلما أعياه شراؤها عرض عليهم أن يصورها بالفتوغرافيا نظير مبلغ من المال جسيم ، فما أعاروا عرضه ذلك التفاتاً ، بل منعوه النظر اليها والاستمتاع بها

فرحل عنهم حقبة من الدهر ؛ ولما استيقن أن القوم قد أنسوا شخصه ، وما كان قد جاء لأجله ، عاد اليهم خائفا يترقب ؛ وقد عزم على استنساخها ، فاكترى رجلا منهم عهد اليه باستنساخها

لكنهم إذ فطنوا الى الأمر ، لم يجدوا جزاءاً لهذا المستشرق — الذى أحب العلم ، وضحى بوقته وراحته ولذاته فى سبيله ، واستمات فى تحصيل فكرة قد يصل نفعها الى جميع المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها — إلا القتـل ؛ فذهب ضحية إحالات المسعودى ، والبحث عن كتبه !

وهذا الذى فعله المستشرق بعض ما يجب نحو كتاب « أخبار الزمان » لأن المسعودى أفرط فى تقريظه والثناء عليه ، وقال إنه أوعى كتاب وأجمعه فى التاريخ

ولندع المسعودى يحدثنا عنه قال « أما بعد فانا صنفنا كتابنا فى أخبار الزمان وقد قطعنا القول فيه على هيئة الأرض ومدنها ، وعجائبها وبحارها وأغوارها ،

وجبالها وأنهارها وبدائع معادنها ، وأصناف مناهلها وأخبار غياضها وجزائر البحار والبحيرات الصغار ، وأخبار الأبنية المعظمة والمساكن المشرفة ، وذكر شأن المبدأ وأصل النسل وتباين الأوطان ، وما كان نهرا فصار بحرا ، وما كان بحرا فصار نهرا ، وما كان برا فصار بحرا على مرور الأيام وكرور الدهور وعلة ذلك وسببه الفلكى ، وانقسام الأقاليم بخواص الكواكب ومعاطف الأوتاد ومقادير النواحى والآفاق ، وتباين الناس فى التاريخ القديم ، واختلافهم فى بدئه وأوليته من الهند وأصناف الملحدين ، وما ورد فى ذلك عن الشرعيين وما نطقت به الكتب وورد على الديانيين

ثم أتبعنا ذلك بأخبار الملوك الغابرة والأمم الدائرة والقرون الخالية والطوائف البائدة على ممر سيرهم وأوقاتهم وتصنيف أعصارهم من الملوك والفراعنة العادية والأكاسرة واليونانية ، وما ظهر من حكمهم ومقاتل فلاسفتهم وأخبار ملوكهم وأخبار العناصر إلى مافى تضاعيف ذلك من أخبار الأنبياء إلى أن أفضى الله بكرامته وشرف برسالته محمداً نبيه صلى الله عليه وسلم

فذكرنا مولده ومنشأه وبعثته وهجرته ومغازيه وسراياه إلى أوان وفاته واتصال الخلافة واتساق المملكة بزمن زمن ، ومقاتل من ظهر من الطالبين إلى الوقت الذى شرعنا فيه فى تصنيف كتابنا هذا من خلافة المتقى لله أمير المؤمنين وهى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة

ثم أتبعناه بكتابنا الأوسط فى الاخبار على التاريخ ، وما اندرج فى السنين الماضية ، ومن لدن البدء إلى الوقت الذى عنده انتهى كتابنا الأعظم وما تلاه من الكتاب الأوسط ، رأينا إيجاز ما بسطناه واختصار ما وسطناه فى كتاب لطيف نودعه لمع مافى ذينك الكتابين ضمناهما وغير ذلك من أنواع العلوم وأخبار الامم الماضية والأعصار الخالية مما لم يتقدم ذكره فيهما »

من هـذه الألمـامة الموجزة التى يذكرها المسعودى فى صدر كتاب مروج الذهب يمكننا أن نلم بشىء عن كتاب أخبار الزمان للمسعودى

ولو قارناه بكتابنا هذا الذى يزعم أنه للمسعودى وجدنا مفارقه كبيرة بين الكتابين ؛ فالذى يصفه المسعودى ؛ تأريخ عام مطول وهذا تاريخ خاص عن أصل الخلق وغرائب الأرض والبحار والأنهار وعجـائبها ثم أخبار آدم وبعض الانبياء من بعده وملوك مصر وفتوحاتهم وفراعنتها وكهانها وسحرتها وآثارها فهذه مقارنة أولية تدلنا على أن كتاب أخبار الزمان غير هذا

وأيضا نحن نعلم ان صفحات مروج الذهب تبلغ خمسمائة وألف صفحة فلو فرضنا أنه على النصف من أصله الكتاب الأوسط لكان أصله ثلاثة آلاف صفحة ، وسيكون كتاب أخبار الزمان إذاً فى ستة آلاف صفحة لأن الكتاب الاوسط مختصر منـه

فما مبلغ هذا الذى بين ايدينا وعدد صفحاته مائتان وخمسون صفحة لاغير ، من هذا الذى تبلغ صفحاته ثلاثة آلاف على أقل تقدير

وسأورد أيضا بعض عبارات من مروج الذهب وإحالات فيه على كتاب أخبـار الزمان نتبين منها صحة ما نذهب إليه

١) قال المسعودى « ولمن سمينا من ملوك الحيرة أخبار وسيرة وحروب قد أتينا على ذكرها والغرر من مبسوطها فى كتابنا أخبار الزمان ... فأغنى ذلك عن إعادته » ولو عدنا إلى كتابنا لنبحث عن ملوك الحيرة هؤلاء لم نر شيئا عنهم فى كتابنا هذا

٢) قال المسعودى « والفرق بينه (أى الفيل) وبين سائر أنواع الدواب ما يظهر من الفيل من الجزع عند ورود المياه من الغدران والأنهار للشرب إذا كان الماء صافيا ، فانه يثيره ويكدره ويمنع من شربه حين صفائه ؛ وأن ذلك يوجد فى

أكثر الخيل إذا وردت الماء وكان صافياً ضربته بأيديها فكدرته، فتشرب حينئذ وتوافق الخيل الفيلة فى هذا المعنى ؛ دون سائر الحيوانات ، وإن ذلك لمشاهدة صورها فى الماء لصقالته وصفائه ، ولعلها بذلك عند زوال كدره وإن الابل الأغلب منها يفعل ذلك ، ولعان غير ذلك مما وصفنا من أن ما عظم من الحيوانات إذا رأى صورته منعكسة على صفاء الماء أعجبته لعظمها وحسنها ، وما بان له من حسن الهيئة عما دونه من أنواع الحيوان ، وليس يفعل ذلك من الحيوان غير ماذكرنا من الخيل والابل

وإن الفيل مع عظم جسمه ولطافة نفسه وخفة روحه وحسن تمييزه والمعرفة بوليه وعدوه من الناطقين وغيرهم ؛ وقبوله الرياضة تمتنع أنثاه ، كما تمتنع النوق إذا لقحت

وليس شيء من الدواب يمتنع من السفاد من الاناث عند حملها إلا الفيلة والابل ، وهذا باب إن نحن تقصيناه وذكرنا ما فيه طال به الكتاب ، وخرج عن حد الاختصار والايجاز وقد أتينا على وصف جميع ذلك فى كتابنا « أخبار الزمان »

فاذا نحن نقبنا فى صفحات هذا الكتاب لم نجد عن ذلك شيئاً

٣) قال المسعودى : ثم اختلفت الكلمة بين اجناسهم (أى الصقالبة) فزال نظامهم وتحزبت أجناسهم وملك كل جنس منهم ملكا على حسب ماذكرنا من ملوكهم لأمور يطول ذكرها وقد أتينا على جمل من شرحها ؛ وكثير من مبسوطها فى كتابنا (أخبار الزمان)

ونحن لا نجد فيه ذكر أمور يطول ذكرها أو يقصر ؛ عن زوال ملك الصقالبة وتدهوره وانفراط أمر ملوكهم وتبدد جماعتهم وتحزب عصبتهم فى هذا الكتاب الذي بين أيدينا

(٤) قال المسعودى « وأما الدلائل [على] أن السماء تدل على مثال الكرة وتدويرها بجميع مافيها من الكواكب ، وأن الأرض بجميع أجزائها من البر والبحر على قدر مثال الكرة ، وأن كرة الارض مثبتة فى وسط السماء كالكر وقدرها عند قدر السماء قدر النقطة فى الدائرة صغراً ؛ ووصف الربع المسكون من الارض ، وما يعرض من دور الفلك ؛ واختلاف الليل والنهار ؛ ووصف المواضع التى تطلع الشمس فيها شهورا لاتغرب ؛ وتغرب شهورا لا تطلع

فقد أتينا على وصف جميع ذلك وما اتضح عليه وما انتصب من البراهين وما قاله الناس فى ذلك فى كتابنا المترجم بكتاب « أخبار الزمان »

وهذا أيضا أنموذج رابع يوضح لنا بعض ما يتضمنه كتاب أخبار الزمان ، وحجتنا فيه اننا لانجد من ذلك شيئا أبداً فى هذا الكتاب الذى بين أيدينا

ولو أننا تتبعنا عبارات المسعودى فى كتابيه المروج والتنبيه لنتبين بها بعض ما كان يحويه كتاب أخبار الزمان لوجدنا أمامنا من العبارات ما يضيق به هذا المكان ، لكن فى هذا ما يكفى لذى اللب

(٥) وثمة دليل آخر وفرق يسير وهو إن لم يكن دقيقا إلا أننا نذكره من قبيل العرض والتدليل على أنه ليس كتاب أخبار الزمان الذى يذكره المسعودى ذلك أن اسمه جاء هكذا

كتاب أخبار الزمان ؛ ومن أباده الحدثان ؛ وعجائب البلدان ؛ والغامر بالماء والعمران)

وجاء اسم ذلك فى مروج الذهب هكذا

كتاب أخبار الزمان ، ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية والأجيال والممالك الدائرة

وإذن فما نسب هذا الكتاب من كتاب أخبار الزمان ؛ ومن صلته بالمسعودى ؟

ذلك سؤال يخطر بعد ما أسلفناه من قول ، والواقع أن نسبة هذا الكتاب للمسعودى فى غاية من القوة ، ذلك أننا لو ذهبنا نقيس ما جاء فيه من أخبار على ماجاء فى كتب المسعودى المعتمد نسبتها إليه لوجدناه مطابقاً لها فى الجملة ولا نكاد نرى فيه اختلافاً ، وبذلك نجزم بأنها آراء المسعودى ونقوله .

ولا يصح أن نذهب إلى أن الكتاب مختصر من كتابى المسعودى الذين عرفناهما ، لأن مايورده فيه من اخبار يضعف بكثير جداً مايذكره فى المروج أو التنبيه ويربى على ما فيهما

وأنا بعد ذلك أذهب إلى أن هذا الكتاب إما أن يكون اختصارا لجانب يسير من كتاب أخبار الزمان ، ولولا ان الكتاب تام ، وقد عملت له خاتمة لقلت إنه قسم منه ، وكذلك قال الذين رأوه وفهرسوا الكتب العربية الخطية امثال بروكلمان وجولدزيهر

كما لا يمكننى أن أجزم بأن الذى اختصره غير المسعودى ، وعلى أية حال فقد وجدنا التسمية على صدر النسخة الخطية المحفوظة بباريس ، والتى صورت عنها النسخة التى فى المكتبة الملكية

كما وجدت التسمية على صدر النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة تيمور باشا ، وفى كلتا النسختين يضاف الكتاب إلى المسعودى

وأياما كان الكتاب للمسعودى او غيره ، فالكتاب فيه أشياء غريبة وأخبار طريفة تفيدنا كثيراً فى معرفة التاريخ القديم بوجه عام والمصريين بوجه خاص ، ولو أن العلم الحديث يقفنا منها موقف الريبة والشك

وسيجد القارىء فيه لذة لا تعدلها لذة ، وسيمضى فى قراءته دون كد ولا ملل ، وسيعاود قراءته بعد ذلك مرات ، وهو بلا ريب منته إلى إحدى ثمرتين :

الأولى أن الانسان فيما مضى وتصرم من الأجيال كان أقدر منه فى هذه الحياة المصرية ؛ وأن السحر والكهانة لعبا دوراً كبيرا فى غابر الأحقاب. وأن القدماء وصلوا فى العلم بهما إلى غاية تتقاصر دونها أقصى الغايات

الثمرة الثانيــة أن قدماء المؤرخين كانوا ذوى خيال واسع ، قصاصين بارعين قادرين على أن يجسموا الخيال ، ويلبسوه ثوبا من الحقيقة محكم النسج

وسيقف القراء منه على أن ما بلغه المصريون من الصناعة وعمارة الأرض والفنون والعلوم والحكمة والبصر بالكيمياء لم تبلغه أمة من الأمم ، وسيجدون فيه من العجائب التى أقامها المصريون بالهندسة أو السحر أعاجيب أدناها الاهرام هذه التى أفنت العصور ، ولم تبلها العصور

وسيعلمون ان ليست هذه الأهرام وحدها التى أقامها القدماء آيات شاهدة لهم بالقوة والأيد واتساق الملك الجبروت

بل إن لقدماء المصريين آثاراً أخرى جليلة أقاموها فى مصر والاسكندرية ومنف وأطرافها وفى غيرها من الممالك والبلدان

ذلك ما سيقف عليه القارىء الكريم فى هذا الكتاب ؛ وفى هذا الكتاب سيستطيع من يعنيه البحث عن الآثار أن يعلم بوجه التقريب مدافن ومخابى كثراً ملأها القدماء بالذهب والتحف وغرائب الجواهر والحلى ، ففى هذا الكتاب إشارات لتلك المواضع ، وهذه الاشارات وإن لم تحددها تلك المواضع بالدقة فهى تفيد عالم الآثار ، ولا سيما إذا استعان عليها بالعلم

ونحن بعد أن ننشر هذا الكتاب سنرقب عن كثب ما يظهره لنا علامة مصر الأثرى الفاضل الدكتور سليم حسن ، ونود أن يسمعنا رأيه فيما جاء بهذا الكتاب من آثار

وفى الحق أن ماذكر فى هذا الكتاب يكاد لا يصدقه العقل ، بل يكاد ينفيه

ولكن معول الدكتور الفاضل، وما كشفه فى السنين الماضية من آثار، وما يكشفه الآن يجعلنا لا نرتاب أبداً فى تقبل مايحدثنا به المسعودى فى هذا الكتاب

على أن المؤلف نفسه يروى ماجاء فيه بتحفظ شديد ؛ بل يرويه على أنه خبر يرتاب فيه العقل ؛ ولكننا الآن أشد إيمانا بتصديق ما جاء فيه من المسعودى نفسه ؛ وذلك بفضل العلم الحديث؛ وما وصل اليه علماء الآثار ، ومعهد الآثار فى الجامعة المصرية

ولن يضير هذا الكتاب شيئا ما ورد فيه من ذكر السحر والكهانة ؛ وأن مصر كانت عامرة بالسحرة ؛ فالقرآن الكريم يؤيد ذلك فى كثير من سوره وهو يذكر السحرة فى غير موضع؛ فيذكرهم مع موسى وفرعون فى مواضع كثيرة ؛ ويذكر هاروت وماروت وأنهما كانا يعلمان الناس السحر ، ويذكر السحرة مع ملك سليمان ، ويذكر للرسول صلى الله عليه وسلم كيف يتعوذ من النفاثات فى العقد ، وفى سيرة الرسول ما يفهمنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد سحر ، وقد وضع الفقهاء عقوبة للساحر فى الشريعة الاسلامية ؛ ويروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : تعلموا السحر ولا تعملوا به ، فهذه كلها دلائل ناطقة بحقيقة السحر والكهانة وأنها أشياء كانت معروفة مشتهرة بين القدماء

ونحن وإن كنا الآن لا نشاهد شيئا من آثار السحر ؛ ولا من قوته ؛ فليس لنا أن ننكره ، وبين يدينا كتب مؤلفة فى السحر تعد بالمئين ؛ فمحال أن تكون هذه الكتب ألفت على غير أساس ، وفى الحياة غرائب وأشياء معقدة هى كالسحر ، بل ان الحياة ومن فيها جميعا أشبه شىء بالسحر . ومن الجائز أن يكون السحر علماً ذهب بذهاب أهله ، لأنهم كانوا به جد ضنين .

وقد أحصيت كتب المسعودى التى ذكرها فى كتاب مروج الذهب وكتاب التنبيه والاشراف وأحال عليها أثبتها فيما يلى

١) كتاب اخبار الزمان ، ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية ، والأجيال الخالية ، والممالك الدائره وهذا قسم منه ٢) الكتاب الأوسط ٣) كتاب مروج الذهب ، ومعادن الجوهر : فى تحف الاشراف من الملوك واهل الدرايات ٤) كتاب فنون المعارف ، وما جرى فى الدهور السوالف ٥) كتاب ذخائر العلوم ، وما كان فى سالف الدهور ٦) كتاب نظم الجواهر : فى تدبير الممالك والعساكر ٧) كتاب الاستذكار : لما جرى فى سالف الأعصار ٨) كتاب التنبيه والاشراف ٩) كتاب نظم الاعلام . فى اصول الاحكام ١٠) كتاب نظم الادلة : فى اصول الملة ١١) كتاب المسائل والعلل فى المذاهب والملل ١٢) كتاب خزائن الدين : وسر العالمين ١٣) كتاب المقالات : فى اصول الديانات ١٤) كتاب سر الحياة ١٥) رسالة البيان فى اسماء الأئمة ١٦) الأخبار المسموديات ١٧) كتاب وصل المجالس ١٨) كتاب تقلب الدول : وتغيير الآراء والملل ١٩) كتاب الابانة : فى اصول الديانة ٢٠) كتاب مقاتل فرسان العجم ٢١) كتاب الصفوة فى الامامة ٢٢) كتاب الاستبصار فى الامامة ٢٣) كتاب المبادىء والتراكيب ٢٤) كتاب الرءوس السبعة ٢٥) الزاهى ٢٦) كتاب الدعاوى ٢٧) كتاب الاسترجاع ٢٨) كتاب مزاهر الاخبار : وطرائف الآثار ٢٩) كتاب الرؤيا والكمال ٣٠) كتاب طب النفوس ٣١) كتاب حدائق الاذهان ، فى اخبار الرسول ٣٢) كتاب القضايا والتجارب ٣٣) كتاب الواجب فى الفروض اللوازم ٣٤) كتاب الزلف

ويظهر أن كتبه هذه كلها قد ضاعت ولم يقف العلماء على شيء منها سوى :

(١) مروج الذهب وهو أوسع ماطبع من مؤلفاته
(٢) هذا القسم من كتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدثان
(٣) كتاب التنبيه والاشراف ، وقد قمت بطبعه على النسخة المطبوعة فى ليدن
(٤) الكتاب الاوسط ، وفى مكتبة أكسفورد نسخة يظن انها هو

موجز عن حياة المؤلف

هو ابو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى ، يتصل نسبه بعبد الله ابن مسعود الصحابى الجليل ، ومن ثم أطلق عليه المسعودى

فأما منشؤه فان الثقات من المؤرخين يروون انه نشأ فى بغداد ، على ان ابن النديم يروى انه من اهل المغرب فلعله شخص آخر ، او لعل بعض اجداده نزحوا إلى المغرب

وعلى اية حال فقد قضى زهرة شبابه فى بغداد ، ولكنه غادر اقليم العراق وإرضاء لميوله واذواقه ، ورغبة منه فى التجول، فخرج عن بغداد سنة ٣٠١ ليقوم برحلة قيل انها استمرت اعواماً ثلاثة ، وقد قضاها متنقلا بين ربوع فارس وكرمان

ثم بعد ذلك جاب بلاد الهند وصيمور قطن اخيرا فى مدينة بومباى حتى سنة ٣٠٤ ومن المحتمل ان يكون قد اقام حينئذاك فى جزيرة سيلان

ومن ثم وصل إلى مدينة عمان ، ويمكن ان نستنتج انه ذهب الى قناطر ماليسية العجيبة العظيمة ، وشارف الصين

ومع انه خاطر بتلك الرحلة وخصص لها نفسه ووقته ، فأنه تعمق فى دراسات الحدود الاسلامية ، واستعان على ذلك بالآلات العلمية التى كانت معروفة فى حياته

وهو يحدثنا انه كان فى سنة ٣١٤ فى فلسطين وفى انطاكية ، وظل بعد ذلك متنقلا بين العراق وسوريا ومصر على أن جل ما ورد عن إقامته كان فى مصر

فهو يحدثنا بعد انه كان فى سنة ٣٣٦ قد اتم تأليف كتابه مروج الذهب فى فسطاط مصر ، وكان قد بدا تأليفه سنة ٣٣٢

ويذكر كذلك انه فى سنة ٣٤٤ كان يشتغل بوضع النسخة الاولى من كتاب

التنبيه والاشراف فى الفسطاط نفسه ، ثم فى سنة ٣٤٥ زاد فيها واصلحها

ويظهر مما ذكره من الكتب التاريخية فى صدر كتابه مروج الذهب ، والتنبيه والاشراف ان المكتبة العربية التاريخية فى عصره كانت غنية جدا عامرة بالمؤلفات فقد اورد فيهما عدداً وفيراً من اسماء الكتب واسماء المؤلفين

والمؤرخون يذكرون انه توفى سنة ٣٤٥ وبعض يقول فى ٣٤٦ والخطب يسير ، لكنه يجل حين نذكر ان ذلك العالم المؤرخ الكبير الذى عاش معنيا بالعلم وبالعالم والعلماء وبالتاريخ والمؤرخين اهمله التاريخ ، ولم يذكر المؤرخون شيئا من نعوته ، ولا من تاريخ طفولته او حياته

ولكن يكفينا عزاء بقاءاسمه حيا فى بطون مابقى من كتبه تعمر به قلوب العلماء وصدور الاجلاء ، فرحمه الله رحمة واسعة

وقد اعتمدت فى طبع هذا الكتاب على النسخة المأخوذة من الأصل الباريسى بالتصوير الشمسى والمحفوظة بدار الكتب الملكية تحت رقم٨٧٩تاريخ وقدرمزت إليها باشارة (ب) أول كلمة باريس ؛ وهى نسخه معتبرة وخطها يقرأ بعسر ويذهب القارىء فيه مذاهب شتى لتشابه حروفه ؛ وقد حدث فى اثناء التصوير ارتجاج أحدث فساداً فى طبع بعض الصفحات وقد لقينا مجهوداً كبيرا فى مراجعتها ، والتهدى الى صوابها

هنالك أصل آخر فى المكتبة التيمورية كثر فيه الحذف والبتر وكانت الورقة الاولى منه قد ضاعت فأكملها أحد الناسخين فدل على سوء علمه ورأيه وعدم أمانته

وهذه النسخة محفوظة تحت رقم ٢١٤ تاريخ وهي كثيرة الخطأ ولم اعتمد عليها إلا قليلا بل لقد تركت الاعتماد عليها عندما قاربت منتصف الكتاب لكثرة مافيها من الخلل والتحريف والنقص وقد رمزت على ماانتفعت به منها باشارة

(ت) أول كلمة من تيمور .

وقد اعتمدت فيما جاء فيه من أخبار مصر وملوكها على تاريخ القرمانى المسمى بأخبار الدول وآثار الاول لأبى العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقى الشهير بالقرمانى وقد طبع فى مدينة بغداد سنة ١٢٨٢

وقد لاحظت أنه أطلع على نسخة من أخبار الزمان ؛ لأنه يذكر حوادث وأخباراً بنصوصها وعبارتها وألفاظها إلا أنه مختصر

وقد أفاد هذا الكتاب كثيرا فى تصحيح بعض الاسماء وكشف بعض ما عميت قراءته ولا سيما تلك الصفحات التى حدث بها الارتجاج أثناء التصوير الشمسى فى باريس

وقد رمزت إلى تاريخ القرمانى بالاشارة (ق) أول حرف من كلمة قرمانى ؛ هذا وان ألفت نظر حضرات الأدباء والعلماء إلى أن الفضل فى اختيار هذا الكتاب ، والانفاق على طبعه لحضرة الفاضل السيد عبد الحميد أفندى حنفى عامله الله بلطفه الخفى ، وشكر له مسعاه وأبلغه أحسن ما يتمناه ، وأنا أرجو أن أكون قد قمت ببعض ما يجب على من تصحيح هذا الكتاب ، وأسأل الله أن يتداركنى بلطفه ، وأن يوفقنى إلى ما فيه الخير فى الدنيا والآخرى ، وأن يلهمنى السداد ، إنه على ما يشاء قدير ؟

بقلم مراجعه ومصححه

عبد الله الصاوى

درب الجماميز رقم ١٠٣ بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو حسبنا ونعم الوكيل

« قال الشيخ أبو الحسن ، على بن الحسين بن على بن عبد الله الهذلى المسعودى رحمه الله ورضى عنه »

نبتدىء بحمد الله وذكره وشكره ؛ والثناء عليه والشكر له ؛ والصلاة على أنبيائه ورسله وملائكته ؛ ونخص سيدنا ونبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ؛ وعلى آله وأزواجه وأصحابه ؛ بأفضل صلواته ؛ وأكمل تحياته ؛ وأزكى بركاته

ثم نذكر ماوقع الينا من أسرار الطبائع ؛ وأصناف الخلق ؛ مما يكون ذلك (1) مشاكلا لقصدنا ، ونصل ذلك بذكر مايجب ذكره من ملوك

---

1) أول الكتاب فى ت مفقود ؛ وقد انتحل الناسخ ديباجة أولها : الحمد لله الذى اختص نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بكتاب أخرس الفصحاء ؛ وأعجز البلغاء عن مثل أقصر سورة من سوره ؛ بل آية آياته . وبجوامع الكلم ؛ وبدائع الحكم . وأيد أقواله ؛ وأشهر أفعاله . وقصرت الألسن عن مدح نعت كماله ، وقد سطع بدر وجوده ؛ وفاض على الثقلين سح جوده ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ؛ واشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ صلاة وسلاما دائمين مادام النيرين (* وسلم تسليما . وبعد ؛ لما رأيت فن التاريخ شريف ** ؛ ولهج به كل ظريف ؛ قصدت تأليف هذا الكتاب جهدى ؛ ليكون تذكرة من بعدى . فأقول كان ابتداؤنا به ابتداء الموجودات والمحسوسات مشاكلا الخ

---

*) الصواب النيرين

**) الصواب شريفا وهذا يدل على فرط جهل الناسخ المنتحل

الأرض ، وما عملوه من عجائب الأعمال ،وشيدوه من عجائب البلدان[١] ووصفوه من الآلات المستطرفة والطلاسمات[٢] المستعملة، وما بنوا من هيا كلهم ، وأودعوه نواويسهم ، وزبروه على أحجارهم . على حسب ما نقل الينا من ذلك

ونبدأ بما جاء من الآثار الشرعية ، والملة الحنيفية ، ثم نذكر ما روى عن الحكماء الأول المتقدمين ، وبالله أستعين ، وهو حسبي ونعم الوكيل

وقد سميت كتابي هـذا بكتاب [تاريخ] (أخبار الزمان ومن[٣] أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر[٤] بالماء والعمران) فأنا أقول :

« أما بعد » فان الله جل جـلاله ، وتقدست أسماؤه ، خلق خلقه من غير ضرورة كانت منه الى خلقهم ، وأنشأهم من غير حاجة كانت منه الى إنشائهم . بل خلقهم ليعبدوه ؛ فيجود عليهم بنعمه ويحمدوه ، فيزيدهم من فضله فيشكروه ويمجدوه . كما قال عزوجل (وماخلقت الجن والانس إلاليعبدون ، ماأريد منهم من رزق وماأريد ان يطعمون ، إن الله هوالرزاق ذوالقوة المتين) فلم يزده خلقه إياهم وإيجادهم مثقال ذرة ، ولم ينقصه إفناؤهم وإعدامهم وزن شعرة، لأنه سبحانه لاتغيره الأحوال ، ولا يدخـله الملال ، ولا تتقاضى سلطانه الأيام والليال . بل خصهم بأسماع وأبصار ، وعقول وافكار . يصلون بها إلى الحق والباطل ، فيعرفون بذلك المنافع والمضار . وجعل لهم الأرض بساطا ، ليسلـكوا منها سبلا فجاجا ، والسماء سقفا محفوظا . أنزل منها الغيث المدرار ، والأرزاق بمقدار ، وأجرى لهم فيها قمر الليل وشمس النهار . يتعاقبان لمصالحهم دائبين . وجعل لهم

١) فى ت البنيان ٢) ت الطلسمات ٣) فى ب وما أباده وهو خطأ عربية وغيرموافق لما ينقله فى كتبه وفى ت وما أباد

٤) ت والناس

الليل سكناً ، والنهار معاشا . ومحا آية الليل ، وجعل آية النهار مبصرة . ليصلوا[1] بذلك إلى العلم بأوقات فروضهم التى فرضها عليهم . من الصلاة والزكاة والصيام والحج ، وليعلموا عدد السنين والحساب ، وحين تحل ديونهم ، وتجب حقوقهم . قال الله عز وجل وعلا : (يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج) وقال (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك إلا بالحق) إنعاما منه وطولا ، وإحسانا منه وفضلا

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : « الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة فقد مضت ستة آلاف ومئون من السنين ، وليأتين عليها مئون ليس عليها موحد لله تعالى »

وعن نافع عن ابن عمر ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنما أجلكم فى آجال من خلا من الأمم ، كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس »

وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بعثت أنا والساعة كهاتين » وأشار بالسبابة والوسطى

وفى حديث سهل بن سعد الساعدى قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « ما مثلى ومثل الساعة إلا كفرسى رهان »

وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول ما خلق الله القلم خلقه من نور طوله خمسمائة عام ، وخلق اللوح المحفوظ من درة بيضاء ، حافاته من ياقوت أحمر ، عرضه ما بين السماء والأرض ، خلقهما قبل أن يخلق الخلق والسموات والأرض . فقال للقلم اكتب ، قال وما أكتب ؟ قال اكتب

(١) ت و ب ليصلون

علمى فى خلقى الى يوم القيامة ، فجرى القلم بما هو كائن الى يوم القيامة ، وما هو فى علم الله ، ينظر الله تعالى فى ذلك اللوح كل يوم ثلاثمائة نظرة وستين نظرة ، فيخلق ويرزق ويحيي ويميت ، ويفعل مايشاء ويحكم مايريد »

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق والسموات والأرض ، قال « كان فى عماء مافوقه هواء وما تحته هواء ، ثم خلق عرشه على الماء »

وسئل ابن عباس « على أى شيء كان الماء قال : على متن الريح فلما أراد البارى جل جلاله أن يخلق الخلق سلط الريح العقيم على الماء فطفت أمواجه وارتفع زبده ، وعلا دخانه ؛ وصعد فوق الماء وسما عليه ، فسماه الله سماء ، وجمد الزبد فصار أرضا فجعل الأرض على حوت ، والحوت هو الذى ذكره الله تعالى فى كتابه فقال (نٓ والقلم وما يسطرون) والحوت فى الماء والماء على ظهر صفاة ؛ والصفاة على متن الريح ؛ فتزلزلت الأرض فأمر الأمواج فأرست عليها جبالا جامدة ، فاستقرت وثبتت فذلك قوله عز وجل (وجعل فيها رواسى من فوقها) ؛ (وجعلنا فى الارض رواسى أن تميد بكم)

قال ابن عباس أتت اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه عن ابتداء الخلق فقال « خلق الله الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين وخلق الجبال وما فيها من المنافع يوم الثلاثاء وخلق الماء والشجر والمدائن والعمران يوم الاربعاء فذلك قوله جلت قدرته (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين إلى قوله سواء للسائلين) وخلق يوم الخميس السماء والكواكب والنجوم والملائكة

وخلق يوم الجمعة الجنة والنار ، وآدم عليه السلام ، قالوا ثم ماذا يامحمد ، قال ثم استوى على العرش ، قالوا قد أصبت ؛ لو أتممت وقلت ثم استراح . فغضب

رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فأنزل الله عليه (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ، وما مسنا من لغوب ، فاصبر على ما يقولون)

وفى رواية أسد بن موسى قال « أمر الله تبارك وتعالى السماء أن ترتفع وتسمو ، وأمر الأرض أن تنبسط وتنخفض فانبسطت ، فدحاها من موضع بيت الله الحرام »

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا موج مكفوف ، ولولا ذلك لأحرقت الشمس والقمر الأرض ومن عليها » وبين كل سماء والتى تليها خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة والعرش مسيرة ألف عام . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هو الأول فلا شىء قبله ، والآخر فلا شىء بعده »

وعن زرارة بن أبى أوفى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « قلت لجبريل هل رأيت ربك قط ؟ فانتفض ، ثم قال يا محمد إن بينى و بينه سبعين [1] ألف حجاب من نور ، لو دنوت إلى واحد منها لاحترقت »

ولما أراد الله عز وجل أن يخلق آدم أمر جبريل أن ينزل الى الأرض ويقبض [2] القبضة التى خلقه منها ، فقالت له الأرض أعوذ بالله منك أن تأخذ منى شيئا ، فرجع الى ربه ، وقال يارب تعوذت بك منى . فأرسل إسرافيل ، فقال مثل ذلك ، فارسل ملك الموت فتعوذت بالله منه ، فقال ملك الموت إن ربى أمرنى وأنا أعوذ به أن أرجع اليه بغير ما أمرنى به

وروى بعض أهل الأثر أن أول ما أجرى الله الروح فى آدم أجراه فى رأسه وعينيه قبل سائر جسده ، فلما رأى ثمار الجنة أراد النهوض اليها قبل أن تبلغ الروح الى رجليه فلم يستطع ، فذلك قوله عز وجل (وكان الانسان عجولا) فلما خلق الله آدم عجبت الملائكة منه فأمرهم بالسجود له كلهم ، فسجدوا طاعة لله

(١) فى ب وت سبعون والصواب ما ذكرناه ٢) ت فيقبض

تعالى إلا أبليس فانه تكبر وامتلأ حسدا ومعصية ، فغضب الله عليه ولعنه ، وكان ذلك سببَ هبوطه الى الارض

وأما الحكماء المتقدمون[١] فانهم يقولون : إن الله تعالى جمع الدرارى فى الحمل فجعل الشمس ملكا ، وصير عطارد كالكاتب ، والمشترى كالقاضى ، والمريخ كالشرطى وكمن يحمل السلاح ، والقمر كالخازن ، والزهرة كالصاحبة ؛ وزحل كالشيخ المشاور ، والجوزهر[٢] كالمقوم لأمر الفلك

وذكرت الأوائل أنه كان فى الأرض ثمان وعشرون أمة مخلوقة روحانية ذوات قوة وبطش ، وصور مختلفات بحذاء الثمان[٣] والعشرين منزلة، لكل منزلة أمة مفردة

ويزعمون أن الأمم الماضية ، تعالى الله عن قولهم ، إنما كان تدبيرها للكواكب الثابتة وهى ألف كوكب وعشرون كوكبا ، يقطع كل كوكب منها البرج فى ثلاثة آلاف سنة ؛ وهى التى تعمل الأعمال كلها ، وبها يكون جميع الأمور

وقال بعض أهل الأثر : إن الله خلق الأفلاك من بخار وإنه لما صعد انعقد وهي سبعة أفلاك ، وفوقها البيت المعمور، وله ثلاثمائة وستون بابا ؛ جعلت درجا للفلك ؛ وإن كل رحمة وبركة إنما تنزل من تلك الأبواب ، مقسومة على البروج والكواكب حتى تصير إلى الأرض

وقالوا إن الله خلق خلقا هو ملء[٤] ملكه يسمى الروح ، ومن فوقه الحجب وذلك كله داخل فى الكرسى ، وهو قوله عز وجل (وسع كرسيه السموات

---

١) فى الاصلين المتقدمين والصواب عربية ماذكرناه

٢) كذا فى ب ، ت وهذه التسمية يذكرها المسعودى فى كتبه كالتنبيه والاشراف ٣) فى الأصلين الثمانية ٤) فى ب ، ت مليؤ وهو خطأ إملائى

والأرض) والكرسى وما حوى داخل فى العرش ، والعرش وما حوى داخل فى علم الله ، جلت عظمته

واعلا الدرارى السبعة زحل ثم المشترى ثم المريخ ثم الشمس ثم الزهرة ثم عطارد ثم القمر

وزعم قوم من الحكماء الأوائل أن الكواكب ملائكة ، وأنه جعل لها من تدبير العالم مالم يجعل لغيرها ، فلذلك عظموها وعبدوها

وزعم قوم منهم أن الخلق العالية الذين هم الملائكة[1] اثنا عشر صنفا بحذاء البروج الاثنى عشر ، وأنهم يتوارثون ، جعل الله فيمن شاء منهم حولا وقوة يقدر أحدهم أن يكون فى صورة تملأ الارض عظما ، ويقدر أحدهم أن يكون فى صورة تدخل من خرق الابرة لطفا ، ويغوص فى تخوم الارض والبحار والجبال ، لا يمنعه من ذلك مانع ، ومنهم من له من الأجنحة مثنى وثلاث ورباع ، كما قال الله عز وجل ، يلتحقون أقطار الارض كلمحة البصر ، ومنهم مخلوق من النور ، ومنهم زرق من نور النار ، ومنهم شعاعيون ، ومنهم ملائكة الرحمة ، ومنهم الحفظة والخزنة

وهؤلاء مخلوقون من رطوبة الماء وهم حسان الوجوه سمر الألوان ، ومنهم مشغولون بعبادة الله لا يعرفون غيرها ، وهم فى صور لا تحصى

وقال أصحاب الطبيعة إن الافلاك لما تم خلقها كانت كالأجسام[2] لكواكبها وكانت الكواكب كالأرواح لها .

وقال هرمس لما خلق الله عزوجل البروج قسم لها دوامها فى سلطانه ، فجعل للحمل اثنى عشر ألف سنة ، وللثور أحد عشر ألف سنة ، وللجوزاء عشرة آلاف

---

١) فى هامش ت عنوان (ذكر الملائكة)

٢) فى ب الاجسام والتصحيح عن ت

سنة ، وللأسد ثمانية آلاف سنة ؛ وللسنبلة سبعة آلاف سنة ؛ وللميزان ستة آلاف سنة ، وللعقرب خمسة آلاف سنة ، وللقوس أربعة آلاف سنة ؛ وللجدى ثلاثة آلاف سنة ، وللدلو ألفى سنة ، وللحوت ألف سنة ، فصار للدور ثمانية وسبعون ألف سنة ، والباقى لسائر الكواكب .

ولم يكن فى عدد الحمل والثور والجوزاء حيوان ؛ وذلك ثلاثة وثلاثون ألف سنة ، ولا فى الارض عالم روحانى [1]

فلما كان عالم السرطان تكونت دواب الماء وهوام الأرض ، ولما استقام الأسد فى سلطانه تكونت ذوات الأربع من الدواب والبهائم .

فلما دخل سلطان السنبلة تكون الانسانان إدمانوس وحيوانوس ، وكانت الطيور فى سلطان الميزان .

وأما مقادير الكواكب عندهم . فقالوا إن الشمس أكبر من الأرض بمائة مرة وثلاث وستين [2] مرة ، وزحل أكبر من الأرض باحدى وتسعين مرة ونصف مرة ؛ والمشترى باحدى وثمانين مرة . والمريخ بثلاث [3] وسبعين مرة والزهرة بنيف وستين مرة . وعطارد بثلاث [3] وثلاثين مرة وثلث مرة ، والقمر بسبع عشرة مرة [4] وربع مرة وكانت الشمس كالملك والدرارى كما ذكرنا .

ومن الفلاسفة من يقول إن الكواكب حية ناطقة حساسة . ومنهم من قال إن لها حاسة السمع والبصر واللمس ، وليس لها حاسة الذوق والشم . لأنها [5] مشتغلة عن ذلك . ومنهم من زعم أن الفلك حى مميز لجميع مافيه ؛ ذو صورة فكذلك جميع ما فيه بهذه المنزلة .

---

١) فى ب و ت : روحانيا ٢) فيهما : ثلاثة وستون والصحيح ما أثبتناه .
٣) فيهما : بثلاثة . فى الموضعين ٤) فيهما : بسبعة عشر .
٥) ت كأنها .

وقالوا إن ضياء القمر مأخوذ من ضوء الشمس ، لأنهما إذا اجتمعا لم يكن للقمر نور .

وقال قوم منهم العالم محدث إلا أنه لا يبيد لأنه حكمة وصنعة حكيم ، والحكيم لا يفسد صنعته .

ذكر عمر الدنيا

فأما ما ذكروه من توقيت الزمان ومدته الى انقضائه : فإنهم قالوا فيه أقوالا لا تسلم لهم ، إنما تسمع وتذكر على ما يتعجب منه لا على جهة التصديق به ، نعوذ بالله . ففى كتاب السندهند الذى عمل منه المجسطى وغيره من الزيجات أن دوران الشمس من أول سيرها من الحمل إنما سيرها ينقضى على ما حسبوه من الآلاف ألف ألف وأربعمائة ألف ألف وعشرون ألف دورة لكل دورة سنة ؛ والسنة ثلاثمائة خمسة وستون يوما وربع يوم .

وقالوا إن أصل الدور أربعة آلاف ألف ألف وثلاثمائة ألف ألف وعشرون ألف ألف عند كل بدء ألف سنة

وأما أهل الأثر ؛ فزعم قوم أن عمر الزمان الى آدم عليه السلام سبعة آلاف منه ؛ ورواية محمد بن جرير الطبرى على ماقدمنا ذكره أن من آدم الى انقضاء الخلق سبعة آلاف .

وذكر طلوع الشمس من مغربها قبل انقضاء العالم .

وقال قوم : إذا بلغ القلب خمس عشرة درجة [1] من الأسد كان طوفان نار يحرق العالم بأسره فلا يبقى على وجه الأرض حيوان ولا فى البحار ؛ وتبقى

---

١) فى ب وت خمسة عشر

الأرض خرابا من العالم ، ثم يستأنف الله عز وجل ما أراد فى الخلق .

وكان أرسطاطاليس يرى أن الزمان لايبيد ، ولاينفد . وأن الطبيعة قديمة ، وأنه لاأول لها ولا آخر ، تعالى الله جل جلاله .

ذكر الامم المخلوقات قبل آدم عليه السلام

يقال إنه كانت الجملة ثمانياً وعشرين أمة بأزاء المنازل العالية التى يحلها القمر ، لأنه المستولى عندهم لتدبير العالم الأرضى باذن الله تعالى جل ذكره ، خلقت من أمزجة مختلفة أصلها الماء والهواء والنار والأرض ، فهى متباينة الخلق

ومنها أمة طوال خفاف زرق ذات أجنحة كلامهم قرقعة . ومنها أمة أبدانهم كأبدان الأسد ورءوسهم رءوس الطير لها شعور وأذناب طوال كلامهم دوى ، ومنها أمة لها وجهان قدامها وخلفها وأرجل كثيرة وكلامهم كلام الطير . ومنها الجن . ومنها صفة الجن ، وهى أمة فى صور الكلاب لها أذناب وكلامها همهمة لايفهم . ومنها أمة تشبه بنى آدم أفواههم فى صدورهم يصفرون تصفيرا . ومنها أمة فى خلق الحيات الطوال لها أجنحة وأرجل وأذناب . ومنها أمة يشبهون نصف شق الانسان لهم عين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة يقفزون تقفيزا ، وكلامهم مثل كلام الغرانيق . ومنها أمة لها وجوه كوجوه الناس وأصلاب كأصلاب السلاحف ، وفى ايديهم مخالب ، وفى رءوسهم قرون طوال ، كلامهم كعوى الذئاب . ومنها أمة لكل واحد منهم رأسان ووجهان كوجوه الأسد طوال لايفهم كلامهم . ومنها أمة مدورة الوجوه لها شعور بيض وأذناب كأذناب البقر يزرقون الناس من افواههم . ومنها أمة فى خلق النساء لهم شعور وثدى ليس فيهم ذكر ، تلقح من الريح وتلد أمثالها ، ولها أصوات مطربة يجتمع اليها

كثير من هذه الأمم لحسن اصواتها • ومنها أمة فى خلق الهوام والحشرات إلا أنها عظيمة الاجسام تأكل وتشرب مثل الانعام • ومنها امة تشبه دواب البحر لها انياب كالخنازير بارزة وآذان طوال

وبقية الثمان والعشرين[1] امة على خلق لايشبه بعضها بعضا إلا إنها وحشية المنظر ،ويقال ان هذه الأمم تناتجت فصارت مائة وعشرين امة

ذكر الجن وأجناسهم وقبائلهم

وسئل أمير المؤمنين على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، هل كان فى الأرض خلق من خلق الله تعالى قبل آدم يعبدون الله تعالى ؟ فقال نعم خلق الله تعالى الأرض ، وخلق فيها أمما من الجن يسبحونه ويقدسونه لايفترون ، وكانوا يطيرون الى السماء ، ويلقون الملائكة ، ويسلمون عليهم ويتعلمون منهم الخير ، ويعلمون منهم بخبرمايجرى فى السماء ، ثم إن طائفة من الجن تمردوا وعتوا عن أمر الله عز وجل ، وبغوا فى الأرض بغير الحق ، وعلا بعضهم على بعض ، حتى سفكوا الدماء ، واظهروا الفساد ، وجحدوا الربوبية . واقام الآخرون المطيعون على دينهم وعبادتهم وباينوا الذين عتوا عن أمر الله ، وكان يصعد الى السموات عنها للطاعة ، وخلق الملائكة كما قدمنا ذكره روحانيين ذوى[2] أجنحة يطيرون بها حيث صيرهم الله تعالى ، واسكنهم مابين اطباق السموات يسبحونه ويقدسونه لايفترون ، حتى اصطفى الله تعالى منهم الملائكة فكان أقربهم منه اسرافيل ، ثم ميكائيل ثم جبرائيل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين

---

١) فى ب وت الثمانية وعشرين ٢) فيهما ذو

فصل

وأما الجن فذكرت الهند والفرس واليونان ولادات الجن وقبائلهم وأسماء ملوكهم ، وزعموا أنهم مفترقون على احدى [١] وعشرين قبيلة ، وبعد خمسة آلاف سنة ملكوا عليهم ملكا منهم ، يقال له الملك شمائيل بن أرس جن ، ثم افترقوا ، فملكوا عليهم خمسة [٢] ملوك فأقاموا بذلك دهراً طويلا ، ثم أغار بعض الجن على بعض . وكانت بينهم وقائع كثيرة وحروب شديدة ، وكان إبليس منهم ، وله أسماء كثيرة باختلاف اللغات غير أن اسمه بالعربية الحارث . ويكنى أبامرة . عظيم الخلق مطيقا [٣] وكان يصعد الى السماء ويقف فى صفوف الملائكة . ويجتهد فى العبادة ، فلما بغى بعض على بعض ، وكانت تلك الحروب بينهم أهبط الى الأرض فى جند من الملائكة فهزمهم وقتلهم ، وجعل ملكا على الأرض فتجبر وطغا ، وكان امتناعه من السجود لآدم عليه السلام . كما انبأنا الله عز وجل فى كتابه ، فأهبط فى أقبح صورة واشدها [٤] تشويها فانكره جميع قبائل الجن واستوحشوا منه . فلما رأى ذلك سكن البحر ، وجعل له عرشا على الماء . ثم جعل له ولادة كما جعلت لآدم عليه السلام . فألقيت عليه شهوة السفاد [٥] وجعل لقاحه كلقاح الطير ، وبيضه كبيضه .

وذكر بعض العلماء صنوف الجن فزعم * أن الشياطين خمس [٦] وثلاثون قبيلة وأن الذين يطيرون فى الجو خمس عشرة قبيلة [٧] وأن الذين مع لهب النار عشر

---

١) فى الأصلين احد   ٢) فيهما : خمس ملوك   ٣) فى ت مطيعاً

٤) فيهما وأشرها   ٥) ت الفساد   (**) ما بين هاتين العلامتين فى هذه الصفحة والتى تليها مبتور فى ت   ٦) فيهما خمسة وثلاثون

٧) فى ب خمسة عشر وهو خطأ عربية

قبائل وأن مسترق السمع ثلاثون قبيلة ؛ ولهذه القبائل كلها ملوك من كل قبيلة لدفع شرهم

وحكى أن صنفا من السعالى يتصورون[١] فى صور النساء الحسان ويتزوجن برجال الانس كما حكى عن رجل يقال سعد بن جبير ، أنه تزوج امرأة منهن وهولا يعلم ماهى ؛ فأقامت عنده وولدت عنده أولاداً وكانت معه ليلة على سطح يشرف على الجبانة : إذا بصوت فى أقصى الجبانة نساء يتألمن فطربت وقالت لبعلها أماترى نيران السعالى شأنك وبنيك استوص بهم خيراً فطارت. فلم تعد اليه

ومنهم من تظفر[٢] بالرجل الخالى فى الصحراء أو الخراب : فتأخذه بيده فترقصه حتى يتحير ويسقط فتمص دمه

ومنهم صنف لا تفارق صور الحيات وربما قتلها الرجل فهلك . يحكى ان فتى من الانصار قريب عهد بعرس استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تقدمه يوم الخندق وأن يلم بأهله فأذن له فلما انتهى إلى منزله وجد امرأته قائمة بالباب فأدركته غيرة وأهوى إليها برمحه : فقالت له لاتعجل وادخل حتى تنظر ما على فراشك : فدخل فرأى على فراشه حية عظيمة ، فطعنها برمحه فقتلها ، فمات هو من ساعته

وتذكر العرب عن عبيد بن[٣] الابرص الاسدى أنه خرج فى سفر له يريد الشام مع نفر ، فلما صار ببعض الطريق إذ هو بشجاع يلهث عطشاً وخلفه حية سوداء تطرده : فنزل[٤] فقتل الحية السوداء وحل إدواته ونضح على الشجاع من الماء فشرب وانساب حتى دخل جحره ؛ ومضى عبيد حتى قضى حوائجه بالشام .

فلما انصرف أغفى وهو فى مفازة فلما انتبه وجد قلوصه قد ضل ؛ وهو على

---

١) ب : يتصورون ٢) ب يظفر ٣) ب ، ت عبيد الابرص

٤) ت ثم نزل

غير الطريق ، فأقام مكانه فلما جنه الليل إذا بهاتف يقول :

يا صاحب البكر البعيد مذهبه ما عنده من ذى رشاد يصحبه
دونك هـذا البـكر منا تركبه حتى إذا اللـيل تولى غيهبـه
واقبـل الصبـح ولاح كوكبه فبعد حـط رحـله تستلبه[١]

فلما سمع عبيد ذلك من الهاتف التفت ؛ فاذا عنده بكر كأحسن مايكون فركبه فسار به بقية ليلته فأصبح فى منزله ؛ وكان بينه و بين منزله إحدى وعشرون مرحلة فنزل عنها وأنشأ يقول :

يا صاحب البكر قد أنجيت من عطب ومن حمام يضل المدلج الهادى
ارجع حميـداً فقد اوليتنا منناً جوزيت من رائح بالخير أوغادى

فأجابه البكر

أنا الشجاع الذى ألفيتنى رمضاً[٢] فى مَهْمَـه نازح عن أهله صادى[٣]
فجـدت بالماء لما ضن حامله[٤] رويت منـه ولم تلمم بأنـكاد[٥]
الخـير يبقى وإن طـال الزمان به والشر أخبث ماأوعيت من زاد

ثم قال إن الاسود الذى رأيته يطردنى عبد من عبيدى أراد قتلى فكفيتنى شره ، وأرويتنى من ظمئى ولن يضيع الخير واستخلف الله عليك

وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال: أكثر الحيوان الداجن صفة الجن ، وان الكلاب من الجن ، فاذا رأوكم تأكلون فألقوا إليهم من طعامكم ، فان لهم أنفسا — يعنى يأخذون بالعين

والعرب تذكر راكبا على جمل[٦] فى قدر الشاة وفد عليهم بسوق عكاظ

---

١) ت لحط عنه رحله وسيبه ٢) ب ومضا ٣) ب ماد
٤) ب ظن جاهله ٥) ب أرويت هامى ولم تهمم بانكاد وفى ب أوتيت منه ٦) ب حمل

[نادى] ألا من يهبنى ثمانين بكرة هجانا وأدما ؛ فلم يجبه أحد . فلما رأى ذلك ضرب جمله[١] وطاربه بين السماء والارض كالبرق ؛ فعجبوا منه

فحدثهم رجل قال لقيت رجلا فى بعض المفاوز راكبا على نعامة وعيناه مشقوقتان بطول وجهه ؛ فأخذتنى منه روعة ثم استوقفته فقلت له ؛ اتروى شيئا من الشعر ؟ قال نعم واقرضه وأنشدنى

أتاركة تحيتها[٢] قطام   وضنا[٣] بالتحية والسلام

حتى أتى على آخرها فقلت له هيهات سبقك إليها أخو بنى ذبيان ؛ فقال أنا والله يا أخى نطقت بها على لسانه بسوق عكاظ ، وكنت قلتها قبل ذلك بأربعمائة عام

ويقال إن الله تعالى خلق ألفا وعشرين أمة حذاء الكواكب الثابتة[٤] منها فى البحر ستمائة أمة ، ومنها فى البر أربعمائة أمة وعشرين أمة ؛ أحسنها الانسان وأتمها وأحبها الى البارى سبحانه وتعالى وأفضلها ؛ فانه خلق [على] صورة إسرافيل عليه السلام وهوأقرب الملائكة إلى الله تعالى

وفى التوراة خلق الله تعالى آدم على صورته ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وفى الحديث « لا تضربوا الوجوه فانها على صورة إسرافيل عليه السلام » وفى الحديث « لاتلجوا بالنظر إلى وجوه المرد فان فيها لمحات من الحور العين »

ويقال ان فى الانسان من كل الخلق ، فلذلك سخر له جميع الحيوان وسلط عليها فاقتنصها وذللها ، وسخر أكثرها ، وجمع له المأكول من النبات والحيوان [البهيمى والوحشى وغيره][٥] ، وله خلقت اللذات جميعا ، وعمل بهذه جميع الأعمال .

---

١) فى ب وت جمله   ٢) فى ت تدللها   ٣) ت وظنا

٤) ت اليابانية   ٥) عن ت

وله المنطق والضحك ، والفكر والفطنة ، واختراعات الأشياء ، وله خاطب البارى عز وجل ، وعليه وقع الأمر والنهى .

والانسان هو الذى استنبط الأشياء وجمع العلوم ، وعمل الآلات ، وأثار المعادن ، وأخرج ما فى قعور البحار ، وسخر له كل شىء .

ومن العجائب خلق النسناس وهو كمثل نصف الانسان بيد واحدة ورجل واحدة ، ويثب وثبا ويعدو عدواً شديداً ، وكان ببلاد اليمن ، وربما كان ببلاد العجم ، والعرب تصيده وتأكله . وفى بعض أخبارهم أن سيارة وقعوا فى أرض كثيرة النسناس ، فصادوا واحداً وذبحوه وطبخوه وكان سمينا ، فلما جلسوا يأكلونه قال أحدهم : لقد كان هـذا النسناس سمينا ، فقال نسناس آخر ، قد اختفى فى شجرة بالقرب منهم : إنه كان يأكل السرو فلذلك سمن ، فنبههم على نفسه فأخذوه وذبحوه . فقال آخر من شجرة أخرى ، قد اختفى فيها عنهم : لو كان عاقلا صمت ولم ينطق ، فأخذوه وذبحوه . فناداهم نسناس آخر تخبأ فى بعض خروق الأرض : انى قد أحسنت فلم أتكلم فأخذوه وذبحوه ، وكان لهم فيها قوت . وقيل إنه يغتذى بالثمار والنبات ، ويصبر على العطش .

وقيل إن فى شرقى القلزم مما يلى فى البحر أمة متولدة من صنف من السباع وبنى آدم ، وجوهها عراض كثيرة الشعر مثل وجوه السباع ، وعيونها مدورة بصاصة ، وأنيابها بارزة طوال ، وآذانها طوال ، وأبدانها كأبدان الناس إلا أن لهم أظفارا كبارا ، معقفة محدودة ، وليس وراءهم غيرهم . وطعامهم دواب البحر

ومما يشبه خلق الانسان أمة يقال لها الواق واق ، وهى حمل شجر عظام لشعورها ، ولها أيدى وفروج مثل فروج النساء وألوان ، ولا يزلن يصحن واق واق فان قطعت إحداهن سقطت ميتة لا تنطق

وفى كتاب الخزانة أنه من جاوز أوائك وقع إلى ماهو أعظم منهن وأحسن أعجازا وفروجا ووجوها ، فان قطعت أقامت يوما وبعض آخر ؛ وربما جامعها من يقطعها ؛ وهى تشبه النساء ؛ وأطيب رائحة ؛ وألذ مباضعة ، وهـذه الأرض أطيب رائحة من الـكافور وليس بها إنس .

وإنما يحكى ذلك عنها أهل المراكب إذا سقطوا إليها ، ومنها خلق بحرية على شبه النساء ، يقال لها بنات الماء ؛ فى صورة النساء الحسان ؛ ذوات الشعور السبط ، لها فروج عظام وثدى ؛ كلامهم لايكاد يفهم ، ولهم قهقهة .

وحكى بعض البحريين أن الريح ألقتهم الى جزيرة فيها شجر ، وأنهار عذبة ، وانهم كانوا يسمعون ضوضاة وضحكا ، فكمنوا لهن واخذوا منهن امرأتين فأوثقوهما .

واقامتا مع الذين اخذاهما يقمان عليهما فى كل وقت ويجذان لهما لذة عجيبة ، وان احدهما وثق بصاحبته فأرسلها من وثاقها فهربت الى البحر ولم يرها بعد ذلك ، وبقيت الاخرى ، فلما حصلت فى المركب رحمها صاحبها فحل وثاقها فحملت منه وولدت له ولداً ذكراً ، وانهم ركبوا فى البحر فلما حصلت فى المركب وقدر أنها لاتزول عن ابنها ، فتغفلته ووثبت فى البحر ، فلما كان بعـد ذلك بيوم ، ظهرت له وألقت اليه صدفا فيها در نفيس

قال المسعودى رحمه الله : وقد ذكرنا طرفا من اخبار الروحانية ، على ما نقل الينا والله أعلم بخلقه ؛ ومن اشياء كثيرة على طريق التعجب لامن طريق التصديق ، فمن قرأ كتابنا هذا فليعلم العذر فيما أوردناه ؛ وبالله التوفيق والتسديد والمعونة والتأييد .

ذكر الارض وما فيها

روى ابن عبد الحكم قال : خلقت الارض على صورة الطائر رأسه وصدره وجناحاه ورجلاه وذنبه

فالرأس مكة والمدينة واليمن ؛ والصدر الشأم ومصر ، والجناح الأيمن العراق الى الواق والوقواق وأمم السند والهند ؛ والجناح الأيسر ناسك ومنسك ويأجوج ومأجوج ، وأمم كثيرة والذنب من ذات الحمام [1] الى مغرب الشمس والبحر الاسود

وفى الحديث « إن الله عز وجل خلق مدينتين واحدة فى المشرق واسمها جابلقا ؛ وأخرى فى المغرب واسمها جابرضا ؛ طول كل مدينة عشرة آلاف فرسخ لكل مدينة منها عشرة آلاف باب بين كل بابين فرسخ ؛ للباب كل ليلة عشرة آلاف رجل لا تلحقهم النوبة الى يوم القيامة ؛ وإنهم يعمرون سبعة آلاف سنة إلا مادونها ويأكلون ويشربون ويتناكحون ؛ وفيهم حكم كثيرة ؛ ولهم خلق عظام تامة ، وأن هاتين المدينتين خارجتين من هذا العالم لا يرون شمساً ولا قمراً ؛ ولا يعرفون آدم ولا إبليس يعبدون الله تعالى ويوحدونه وأن لهم نوراً يسعون [2] فيه من نور العرش من غير شمس ولا قمر »

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مر بى جبريل عليه السلام ليلة أسرى بى عليهم فدعوتهم الى الله تعالى فأجابونى فمحسنهم مع محسنكم ومسيئهم مع مسيئكم »

---

(١) هكذا فى ب و ت غير أن الرسم يحتمل فى ب أن تكون ذلك الحرام

(٢) فى الأصلين نور

روى وهب بن منبه باسناد له عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن لله تعالى ثمانية عشر الف عالم الدنيا منها عالم واحد ، وما العمران فى الدنيا إلا كخردلة فى كف أحدكم »

وقال بعض أهل الأثر فيما رواه إن الله عز وجل دابة فى مرج من مروجه والمرج فى غامض علمه رزقها فى كل يوم مثل رزق العالم بأسره . سبحان القادر على كل شىء .

ذكر البحر المحيط

وما فيه من العجائب

ويقال إن فيه عرش إبليس لعنه الله فوق البحر المظلم يتشبه بالبارى عز وجل [١] ، ويحمله نفر من الأبالسة والعفاريت العظام لحمله ، ويحيط به عفاريت من الجن الذين هم فى طاعته فمنهم من فى لججه لايفارقه ، ومنهم من يتصرف عن أمره ، وإنه لايزول مرتبته إلا إلى من يطمع فى فتنته أو عبد صالح يريد كيده ، والباقون من أعوانه الذين يسعون الى الناس ويضلونهم ، وسجنه فى جزيرة منه يحبس فيه من خالفه من الجن والشياطين

وفيه هيكل سليمان النبي عليه السلام ، وفيه جسده وهو قصر عجيب فى جزيرة ، وفيه مواضع لاتزال على مر الزمان ترمى ناراً ترتفع على مائة ذراع ، وفيه أسماك طول الحوت مدة أيام ، وكل صورة عجيبة مختلفات الأشكال والصفات الملونة فى كل لون من الألوان

وفيه مدائن تطفو على الماء وتغيب عنهم

١) العبارة : يتشبه بالبارى عز وجل محيت من ب وقد أثبتناها كما فى ت

وفيه الثلاثة أصنام (٢ التى عملها أبرهة أحدها أصفر يومىء بيده كأنه يخاطب من جاوزه ، ويأمره بالرجوع . والصنم الثانى أخضر رافع يديه باسط لهما كأنه يريد إلى أين تذهب ، والصنم الثالث اسود مفلفل الشعر يومىء بأصبعه إلى البحر : من جاز هذا المكان غرق ، مكتوب على صدره « هذا ماصنع أبرهة ذو المنار الحميرى لسيده الشمس تقربا إليه »

وحكى أن فيه كالحصون ترتفع على الماء ، ويظهر منها الصور الكثيرة وتغيب فى الماء

ويقال إن عمق هذا البحر يختلف ، فمنه مالا يلحق قعره ولا يدرى ، ومنه مايكون سبعة آلاف باع وأكثر وأقل ، ومنه مايكون فيه شجر كالمرجان

وأما البحر الأسود الزفتى وهو متصل به وهو شديد النتن ، وليس فيه غير القلمة الفضية ، قيل إنها معمولة ، وقيل إنها خلقة

ويخرج من هذا البحر بحر الصين أوله من بلاد الغرب ، بحر فارس إلى بلادالصين ، وهو بحر ضيق فيه مغايص اللؤلؤ

وقيل إن فيه إثنى عشرة (٢) الف جزيرة ، وثمانمائة جزيرة.

وفيه الدردور موضع يدور فيه الماء فاذا سقط فيه مركب لم يزل يدور فيه حتى يتلف ، وفيه كسير وعوير وهما جبلان

وفى هذا البحر عجائب كثيرة وصور شتى وحيتان ملونة ، منها مايكون طوله مائة ذراع ومائتى باع وأقل وأكثر يأكل بعضها بعضا

وفيه جزائر تنبت الذهب وبها معادن الجوهر ، وفيه ثلاثمائة جزيرة عامرة

---

١) فى ب الثلاثة أصنام

٢) فى ب اثنى عشر وفى ت اثنا عشر

مسكونة فيها ملوك عدة

ويقال ان فى هذا البحر قصراً[1] من البلور ؛ على قامة تضىء طول الدهر بقناديل فيه لاتنطفىء

وبعد هذا بحر لايدرك عمقه؛ ولا يضبط عرضه ؛ تقطعه المراكب بالريح الطيبة فى شهرين وأكثر ؛ وليس فى البحر المحيط أكبر منه ولا أشد هولا ؛ وفيه من جميع المعادن من الزمرد ومنابت القنا والخيزران ؛ وفيه أيضا كل سمكة يكون طولها أربعمائة ذراع وأقل وأكثر؛ وسمكة صغيرة بقدر الذراع فاذا طغت هذه السمكة وبغت وآذت سمك البحر ومراكبه ساطت عليها هذه السمكة الصغيرة فصارت فى أذن هذه الكبيرة فلا تفارقها حتى تقتلها ؛ وربما لم تقرب الكبيرة [ذلك] الموضع[2] خوفا من الصغيرة

وفيه سمكة يحكى وجهها وجه الانسان تظهر فى الماء ؛ وفيه أسماك طيارة تطير ليلا وترعى الندا ؛ فاذا كان قبل طلوع الشمس رجعت الى البحر

وفيه سمكة تكتب مرارتها الكتابة فتقرأ بالليل

وفيه سمكة خضراء دسمة من أكل منها اعتصم عن الطعام أياماً[3] كثيرة لايريد ذوقه .

وفيه سمكة لها قرنان كأنهما قرنا السرطان . يرميان بالليل نارا

وفيه سمكة مدورة يقال لها المصح فوق ظهرها كالعمود، مستحد الرأس لاتقوم لها سمكة فى البحر ؛ لأنها تلقاهن بهذا القرن فتقتلهن ؛ وربما نقبت به المراكب ، وقرنها أصفر كالذهب مجزع [يقال إنه ضرب من الحوت][4]

---

١) فى ب قصر ٢) فى ت المراكب

٣) فى ب و ت أيام ٤) العبارة عن ت

وفيه سمكة يقال لها هفس من صدرها الى رأسها مثل الترس يطيف به عيون تنظر بها ورأسها طويل مثل الحية فى طول عشرين ذراعا [1] بأرجل كثيرة مثل أسنان المنشار من صدرها الى آخر الذنب ، فليس تتصل بشىء إلا أتلفته ولا ينطوى ذنبها على أحد إلا أهلكته ، ويقال إن لحمها يشفي من كل الاوصاب . وقليل ما يوجد وفيه عنبر .

وبحر آخر يقال هركند فيه جزائر كثيرة وفيه سمك ربما ينبت على ظهره الحشيش والصدف ، وربما أرسا عليها أصحاب المراكب فيعتقدون أنه جزيرة فاذا فطنوا به أقلعوا عنها وربما نشر هذا السمك أحد جناحيه الذى فى صلبه ، فيكون كالجبل العظيم ، واذا رفع رأسه من الماء فيكون كالجبل عظما ، وربما إذا رفع أذنيه فيكون مثل المنارة العظيمة ، فاذا سكن البحر جر السمك بذنبه ثم فتح فمه فينزل السمك الى حلقه كأنه ينزل الى بئر ، ويقال له العنبر طوله ثلاثمائة ذراع واهل المراكب يخافون منه ، فهم يضربون بالليل بالنواقيس [2] مخافة ان يتكىء على المركب فيغرقه

وفيه حيات عظام تخرج الى البر فتبتلع الفيلة ، وتلتف على صخور فى البر فتتكسر فى أجوافها ويسمع لها صوت هائل ، وفيه حية يقال لها الملكة لا تظهر إلا مرة واحدة ، وربما احتال فيها ملوك الزنج فأخذوها وتطبخ حتى يخرج ودكها ويدهن به الملك فتزيد فى قوته ونشاطه ويستعمل من جلود هذه الحية - وهى منمرة - فرش إذا جلس عليها صاحب السل ذهب عنه السل ، ومن جلس عليه أمن السل أن يصيبه أبدا .

وريح هذا البحر من قعره ، وربما ألقى [عند] اضطرابه نارا لها ضوء شديد

---

(١) فى باء وتاء عشرون ذراع (٢) فى باب نواقيس

والبحر الرابع يقال له دوانحد[1] وبينه وبين بحر هركند[2] جزائر كثيرة ، يقال[إنها] ألف وتسعمائةجزيرة ، ويقع بينهذه الجزائرعنبر كثير وهذا العنبر[3] ينبت في قعر البحر نباتاً ؛ فاذا اشتد هيجان البحر قذفه من قعره ، فيرتفع مثل الرمل والحمأة ، وهو عنبر دسم

وقرأت في كتاب الطيب الذى ألفه ابراهيم بن المهدى : أن أحمد بنحفص العطار قال كنت في مجلس أبى اسحق وهو يصفى [4] عنبراً قد أذابه : وقد أخرج ماكان فيه من الحشيش الذى على خلقة مناقير الطير ؛ فسألنى فقلت هذه مناقير الطير الذى يأكل العنبر إذا راثته دوابه : فضحك أبو اسحق وقال هذا قول تقوله العامة . ماخلق الله دابة تروث العنبر ؛ وما العنبر إلا شىء يكون فى قعر البحر .

ولقد عنى الرشيد بالمسألة عن العنبر ؛ فأمر حماداً البدوى [5] فى البحث بالمسألة . فكتب اليه أن جماعة من أهل عدن أعلموه أنه شىء يخرج من عيون فى قعر البحر تقذفه الريح بالأمواج ؛ كما تخرج أرض هتبة انقار وهى أرض الروم الزفت الرومى

وآخر جزائر هذا البحر بسرنديب فى بحر هركند وهى رأس هذه الجزائر كلها ؛ وفى سرنديب أكثر مغايص اللؤلؤ ونبات الجوهر : وببحر سرنديب طرق بين جبال : وهى مسالك لمن أراد بلاد الصين ؛ وفى جبال هذا البحر معادن ذهب فيه أيضا مغايص اللؤلؤ ؛ وفيها بقر وحشية وخلق مختلفة الصور ، ويسلك من هذا البحر الى بلاد المهراج وربما أظلت السحاب هذاالبحر يوما وليلة ؛ ولا ينقطع عنه المطر ولا تظهر حيتانه ودوابه ؛ وتخرج منه الى بحر

---

١) فى ت دوانحد ٢) فى ت كركند ٣) ب عنبر ٤) ب يصلى

٥) ت جماد ونقطة الجيم فى ب كالممحوة

الصنف ، وفيه يكون شجر العود وليس فيه أحداً يعرفه ورأسه تخرج من قرب الظلمة الشمالية وتمر أيضا على بلاد الواق

وفيه ملك الجزائر الذى يدعى المهراج : وله من الجزائر والأعمال مالا يحصى كثرة ، ولو أراد مركب من مراكب البحران أن يطوف بجزائره فى سنين كثيرة لم يقدر أن يطوفها ، وللملكه جميع أفاويه الطيب والكافور والقرنفل والصندل والجوزة والبسباسة والقاقلة والعود : وليس لملك من الملوك ماللملك هذا البحر من أصناف الطيب ، ويقال إن فيه قصرا أبيض يسير على الماء ويتراءى لأصحاب المراكب فى السحر فيتباشرون به إذا هم أبصروه ويكون لهم دليل السلامة والربح والفائدة

وفيه جزيرة برطايل، فيها جبال مسكونة يسمع فيها بالليل والنهار العزف والطبول والأصوات المنكرة ووجوه أهلها مثل المجان المطرقة ، وهم مخرقوا الآذان وأكثر البحريين مجمعون على ان الدجال فيها : ومنها يخرج إذا بلغ منتهاه .

وفيها يباع القرنفل ، ويشترونه التجار من قوم لا يبصرونهم وفيه البراقية [1] وهى مدينة لطيفة من حجر أبيض براق يسمع فيها ضوضاء وأصوات ، ولا يرى بها ساكن وربما نزل اليها البحريون وأخذوا من مائها فوجدوه أبيض [2] زلالا حلو الطعم فيه روائح الكافور

ومنه جزيرة بها مساكن وقباب بيض تلوح وتتزايا [3] للناس فيطمعون [4] فيها وكلما قربوا منها تباعدت منهم فلا يزالون كذلك حتى ييأسوا منها فينصرفوا عنها

ويتصل هذا البحر بالواق ، ويقول البحريون انهم لا يعرفون منتهاه غير أن اقصاه جبال تتوقد ناراً ليلا ونهارا يسمع لها قواصف مثل قواصف الرعود من

١) فى ب البرابة ٢) ب أبيضاً ، وت بيضاً ٣) لعل الصواب وتتراءا
٤) فى ب فيطمعون

شدة التهابه ، وربما سمعوا من تلك النار صوتا عـرفوه يدل على موت ملك من ملوكهم أو كبير من كبرائهم ، وبحر هذا الموضع لايدرك قعره

وبعد بحر الصنف الذى ذكرناه بحر الصين وهو بحر خبيث بارد ليس فى غيره من البحار مثل برده ويقال إن ريحه من قعره ، ويقال إنه بحر مسكون له أهل فى بطن الماء

وأخبر الثقة من أصحاب البحر انهم يرونهم إذا هاج البحر فى جوف الليـل كهيئة الريح ويطلعون إلى المراكب ، وليس يكون ذلك إلا عند هيجان البحر .

وذكر البحريون أنهم لا يعرفون بعد بحر الصين بحرا يسلك ؛ وهو بحر يغلى كما تغلى القماقم ، وليس صفة ما به كسائر البحار

وفى بحر الصين سمكة مثل الحراقة [١] يرمى بها الماء الى السـاحل ؛ فاذا انجذر [٢] الماء بقيت على الطين فلا تزال تضطرب مقدار نصف نهار ، ثم تنسلخ فى اضطرابها ذلك فيخرج لها جناح فتستقل به فتطير

وزعموا أن عرض بلاد الصين الذى تمر عليه المراكب ألف وخمسمائة فرسخ وفى هذا البحر يرى وجه عظيم على صور الناس إلا انه أعظم منه مستدير يشبه لون القمر يغطى ما بين جبلين وأبواب الصين فى البحر بين كل جبلين فرجه .

وقيل ان بمدينة بقمولية [٣] وهى القسطنطينية الأولى كنيسة فى جوف البحر وربما تنـكشف يوما فى السنة فيحج أهل النواحى اليها ويستمدون لها قبل ذلك فيقيمون فيها يومهم ويتفرقون ويهدون اليها بدنهم [٤] فاذا كان العصر بدا الماء فى الزيادة فينصرفون ويبادرون الخروج عنها ولا يزال الماء يغطيها فتغيب الى رأس السنة ايضا .

---

١) فى ت الجزافة   ٢) جذر   ٣) ت نقمولية   ٤) فى ب ، ت بدونهم والصواب بدنهم جمع بدنة

ويقال إن فى بحر الهند حيوانا[1] يشبه السرطان فاذا خرج من الماء صار حجرا يتخذ منه كحل لبعض علل العين .

واما بحر المرجان فهو فى بحر الاندلس خاصة ينبت فى قعره مثل الشجر فما بعد منه عن درك الغواصين يحتال فى قلعه بأن يربط بالشرايط فى كتان اقنب ويثقل بالرصاص ويدلى حتى يصل الى الشجر ، ثم يحرك المركب بالجذب ؛ وتلك منوطة بها يمنة ويسرة حتى يعلم تشبكها فى اغصان المرجان ، ثم تقلع الشرايط فيوجد المرجان قد أتخذ ؛ وله نفاق كثير بالحجاز والهند والصين. وفيه عنبر كثير؛ وفيه سمك من أكل منه رأى كأنه ينكح؛ وفيه سمك فى صور الناس

خبر تنيس

أما خبر تنيس فكانت جنات وكرومات ومنتزهات وكانت مقسومة* بين مسكين من ولد ابريت بن مصر ؛ وكان أحدهما مؤمناً ، والآخر كافراً ؛ فأنفق المؤمن ماله فى وجوه البر حتى باع حصته منها من أخيه؛ وفرق الذى أخذ بها فى وجوه البر فأفلحها ؛ وزاد فيها عروشا كثيرة ، وأجرى فيها أنهاراً وبنى فيها بنيانا ؛ واحتاج أخوه الى مافى يده فكان يمنه ويفتخر عليه بماله ؛ من المال والجنة فخاطبه أخوه فى بعض الأيام مبسطا عليه فقال له أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا، فقال له أخوه فما أراك شاكراً لله تعالى على ما أعطاك ويوشك أن ينزع ذلك منك ؛ ويقال إنه دعى عليه فغرق ماء البحر جميع ما كان له فى ليلة واحدة حتى كأن لم يكن قبل ذلك . وقيل إن هذين الرجلين اللذين ذكرهما الله تعالى فى كتابه فقال (واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين الى قوله أحدا) وكانت تنيس عظيمة لها مائة باب وباقى ذكرها عند ذكر مدائن مصر إن شاء الله تعالى

وقيل إن بحيرة تنيس تعذب وقت مجىء النيل وتقيم ستة أشهر حلوة ثم تملح

---

١) ب ، ت حيوان   * ما بين هذين العلامتين (**) مبتور فى ت

وبالقرب [منها] عين لايخرج ماؤها إلا عنـد أوقات الصلوات فيتوضأ منها ثم تغيض لذلك عند وقت كل صلاة ، وهى معروفة تسمى عين الأوقات

ولأهل الهند نهر عظيم معهم[١] عليه شجرة باسقة من حديد أو نحاس وتحتها عمود من نحاس أوحديد مثبت فى الارض مائل الى الماء طوله على الارض عشرة أذرع وعرضه نحو الذراع ، ويزيد قليـلا فى رأسه ثلاث شعب غـلاظ مستوية محدودة كالمنار ، وعنده رجل يقرأ كتاباً ويقول للنهر : ياعظيم البركة ، وسيل الجنة ، أنت الذى خرجت من عين الجنة ، ودللت الناس عليها ، فطوبى لمن صعد هذه الشجرة وألقى نفسه على هذا العمود ؛ فينتدب الواحد لذلك والعدة ممـن حوله ويصعدون على تلك الشجرة ، ويلقون أنفسهم على العمود فيقطعون* قطعا ويقعون على الماء فيدعون لهم أصحابهم بالطوبى والمصير الى الجنة واللـذة .

ولهم نهر مكران الذى مد النيل[٢] فيما ذكروا منه ، وقالوا إنه يخرج من الجنة ، وإنه لو لم ينجس بالذنوب لما كان [يموت][٣] من شرب منه

ولهم نهر آخر من سنتهم أن يحضره رجال بأيديهم سيوف قاطعة ، فاذا أراد الرجل من عبادهم أن يتطهر ويتقرب الى البارى سبحانه: أتى فى جماعة يأخذون ماعليه من الحلى واللباس وأطواق الذهب والأسورة والقراطق لأن أبناء الملوك كثيراً[٤] مايخرجون الى هذا النهر ثم يطرحونه على لوح عظيم ويأخذون بأطواقه ويضربونه بسيوفهم ويقطونه نصفين فيلقون أحد النصفين فى هذا النهر والنصف الآخر فى بحر كند[٥] ويزعمون أن هذين النهرين يخرجان من الجنة

وفى جبال سرنديب وادى الماس وهو بعيـد القعر وبه حيـات عظام مؤذية فاذا أرادوا إخراج الماس طرحوا فيه ماأمـكنهم لحمـا حارا طرى السالخ فترى

---

١) لعل الصواب مهم ٢) ب مكرم إن الذى يمد منه فيما ذكروا ٣) لمن ت مابينها سقط فى ت ٤) فى ب كثير ٥) فى ت الكند

نسور تلك الجهة وهى به كثيرة ذلك اللحم فتنقض عليه وتأخذه وترفعه الى حيث تأكله خوفا من حيات الوادى ، فيقصد طالب ذلك الى موضع المأكول فيجدون بها ماتعلق باللحم من الماس على قدر العدسة والفولة والحمصة ، وأكبر مايجدونه قدر الباقلا ، ويتخذ منه الملوك فصوصا لخواتم يلبسونها

وذكر صاحب المنطق أن من الماس حجارة كبار إلا أنه لا يوصل اليها لأجل الحيات التى فى ذلك الوادى

وبالهند وادى القرنفل ولم يدخل اليه من التجار ولا ممن سلك البحر ولا ذكروا أنهم رأوا شجره ، وإنما تبيعه الجن فيما يقولون الناس يرسون بالمراكب فى جزيرتهم ، ويجعلون بضاعتهم على الساحل ويعودون الى مراكبهم فيكونون بها ، فاذا أصبحوا جاءوا فوجدوا الى جانب كل بضاعة جزءا من القرنفل ، وربما ترك البضاعة والقرنفل إذا طلب الزيادة فربما يزاد فيه

وذكر عن بعض الناس أنه طلع الى الجزيرة وأمعن فيها فرأى قوما صفرا بغير لحى ، فى زى النساء ، ولهم الشعور فغابوا عنه ؛ وأن التجار أقاموا بعد ذلك مدة يترددون الى ساحل تلك الجزيرة ، فلا يخرج اليهم بشىء من القرنفل فعلموا أن ذلك من أجل من كان نظر اليهم ، ثم عادوا بعد سنين الى ما كانوا عليه

ويقال إنه إذا كان رطبا كان حلو المطعم يأكلون منه فلا يمرضون ولا يهرمون

وذكر أن لباسهم من ورق شجر عندهم فهم يلتحفونها ولا يعرفها الناس

وأما الجزائر فذكر بطليموس أن فى البحر الاخضر سبعاً وعشرين الف جزيرة عامرة وغير عامرة ، منها جزيرة فيها أمة من بقايا النسناس ، ولهم شجر يقال له اللوب يأكلون ثمره ويلتحفون بورقه ويأكلون لحوم الدواب البحرية

وجزيرة المرجان فيها شجر المرجان فى ضحضاح بين الملوحة والعذوبة ، وقد اطلعت رءوسه شعبة فاذا سقطت اليها مراكب أخذوا من ذلك المرجان ما قدروا عليه

وجزيرة فى وسطها كالصنم العظيم من حجر أسود براق لايدرى ماداخ له وحوله أموات وعظام كثيرة

وقد كان بعض الملوك سار اليها فلما نزل عليها وقع على أصحابه النعاس ، وخدر الاجسام ، وضعفت أنفسهم ، ولم يقدروا على الحركة ، فبادر من حضر منهم الى المراكب ، وهلك من اخلد منهم الى المقام والتخلف

ويقال ان ذا[1] القرنين لما صار الى الظلمة مر بجزيرة فيها امم رءوسهم رءوس الكلاب العظام ، بادية انيابهم ، يخرج من افواههم لهب النار ، يخرجون الى المراكب فحاربوه وحاربهم وتخلص منهم ، وسار فرأى نورا ساطعا فقصده فاذا هو[قد]بلغ جزيرة القصر وهذه الجزيرة فى وسطها قصر مبنى من البللور الصافى على شاطىء البحر ، وأراد النزول بها فمنعه من ذلك بهرام فيلسوف[2] الهند ، وعرفه ان من نزل اليها وقع عليه النوم وغرب[3] عنه عقله ، ولم يستطع الخروج عنها حتى يهلك

ويقال انه ظهر بها قوم قد صار لباسهم ورق الشجر ، فسأل بهراما عن مقامهم فيها كيف امكنهم على ماذكره ، فأخبره بهرام ان بها ثمرا اذا اكلوه زال ذلك عنهم

وذكروا أنه إذا كان الليل ظهر بشرافات ذلك القصر مثل المصابيح تسرج الى الصبح ثم تخمد نهارها الى الليل ثم تسرج ايضا

وفى هذا البحر جزيرة بيضاء واسعة وبها ماء وشجر[4] وفيها قوم شقر وجوههم فيما وراءهم[5] وهم عراة ، وللواحد منهم ذكر وفرج[6] امرأة يتكلمون بمثل كلام

١) ب ذى ، ت ذو ٢) فى ب بهرام فيلفوس

٣) ب أخذه وعزم عنه عقله ٤) ب ماءا وشجراً

٥) ت وجوههم فى صدورهم ٦) ت فرجان فرج وفرج امرأة

الطير وطعامهم من نبات يشبه القطور[١] والكمأة ويشربون من غدران هناك

وجزيرة التنين فيها جبال وأنهار وزروع وهى عامرة وعلى مدينتهم حصن عالى ، وكان بها تنين عظيم قد سام[٢] أهلها [أقبح] سوم فيقال إن الاسكندر وصلها ، وإن أهلها استغاثوا به ، وذكروا عنه أنه أتلف مواشيهم حتى جعلوا له ضريبة فى كل يوم ثورين ينصبوهما قريبا من موضعه ؛ فيخرج فيبتلع الثورين ويعود الى موضعه ، ثم يعود من غد ، فقال لهم أرونى مكانه ؛ فلما أصبح أوقفوا الاسكندر فى موضع يشرف عليه ونصبوا له الثورين ، فأقبل كأنه سحابة سوداء وعيناه كالبرق ، والنار تخرج من جوفه فابتلع الثورين ؛ وعاد الى موضعه ، فأمر الاسكندر بثورين عظيمين فسلخهما ، ثم امر فملئت جلودهما زفتا وكبريتا وجبسا وزرنيخا ، ومزج تلك الاخلاط كلاليب حديد واجسادا ، ثم نصبها فى ذلك الموضع ، فأقبل التنين على عادته فابتلعها ومضى لوجهه ، فلم يلبث الا قليلا فاضطربت تلك الأخلاط فى حلقه فخر مستلقيا لايملك من نفسه ، وفتح فاه ليستروح ، فأمر الاسكندر بقطع الحديد فأحميت وجعلت على الواح من حديد فقذفت فى حلقه فمات فى الوقت ، واستراح اهل ذلك البلد منه وفرحوا لموته وانكفأوا[٣] للاسكندر وحملوا إليه من طريف[٤] ماعندهم

وكان فيما حملوه إليه دابة فى خلق الأرنب وَبَرها[٥] اصفر يبرق كما يبرق الذهب يسمونه بتراح[٦]* وفى رأسها قرن واحد أسود ؛ فاذا الأسود والسباع والطيور والوحش هربوا منها ؛ وكذلك كل دابة تراها تهرب منها ، وتفر بين يديها

---

١) ت القطن ٢) ب سام اهلها سوم ، ت شام اهلها اقبح شوم

٣) ت وأظافوا ـ لعلها وأضافوا ٤) ت ظرائف ٥) فى ب شعرها

٦) فى ت نفواخ * ما بينها وبين ** سقط فى ت

وفي هـذا البحر جزيرة تظهر ستة اشهر وتغيب ستة اشهر بكل من فيها وتعود الى هيئتها ، وقيل إنها جزيرة مدبرة

وجزيرة ملكان، وملكان دابة عظيمة بحرية ، قد استوطنت تلك الجزيرة ، ولهذه الدابة رءوس كثيرة ، ووجوه مختلفة، وأنياب معقفة ، وليس لها طعام إلا ماتصيده من دواب البحر .

وقيل انها مركب لبعض ملوك الجن من أهل البحر ، لأن لها جناحين إذا أقامتهما ، وجمعت بين رأسيهما صارا كأنهما رف يلتبس بظل من الشمس** وذكرتها الأوائل ، وزعموا أنها بقدر الجبل ، وجزيرة ملكان فيها أمة مثل خلق الانسان إلا أن رءوسهم مثل رءوس الدواب يغوصون فى البحر ويخرجون(١) بما قدروا على إخراجه من دواب البحر فيأكلونه .

وجزيرة صيدون ، وصيدون هذا ملك وهذه الجزيرة مسيرة شهر فى مثله ، وكان بها عجائب كثيرة وأشجار وأنهار ، وكان فى وسطها مجلس على عمد مرمر ملون ، وكان المجلس من ذهب مفصل بأنواع الجوهر يشرف على هذه الجزيرة وقيل إن هذا الملك كان ساحراً ، وكانت الجن تطوف به وتعمل له العجائب فدل بعض الجن سليمان عليه السلام عليه فغزاه سليمان وخرب الجزيرة وقتل اكثر اهلها ، لأنهم كانوا يعبدونه ، وأسر منهم خلقا كثيرا وآمن به اكثرهم ، وأسر ابنة لصيدون لم يكن على وجه الارض فى زمانها اجمل منها ولا اكمل كمالا وظرفا وحلاوة ، فاصطفاها سليمان عليه السلام لنفسه وتزوجها وكانت تديم البكاء والحزن لمفارقتها لملك أبيها وغضارة نعيمها وأنس حشمها وخدمها واهلها ، فقال لها سليمان عليه السلام : مالى اراك بهذه المنزلة من الحزن وانا خير لك من ابيك ملكى اجل من ملكه : قالت . اجل، ولكنى إذا ذكرت كونى مع ابى وأنسى

---

١) ب ويخرجوا

به هاج لى ذلك وجداً فلو أمرت الشياطين ان يصوروا لى صورته : فلعلى إذا رأيتها سلوت فأمر سليمان فصوروا لها صورة أبيها فى مجلس يشبه المجلس الذى كان فيه، ويقال إن الذى صوره شيطان كان يصحب أباها : وقيل انه هو كان أشار عليها بذلك حتى سألت سليمان عليه السلام ذلك : فأمر الشياطين بعملها فكان فى مقاصيرها التى أسكنها سليمان عليه السلام فى قصر بناه لها ، وقد غرس فيه بدائع الشجر و فجر الأنهار فى قنوات ذهب وفضة مطوقة بأصناف الجواهر على النعت الذى كان رآه لأبيها فى مساكنه : فعمدت الى تلك [الصورة] فألبستها اصناف الثياب الفاخرة المنسوجة بالذهب المزينة بأنواع الجواهر ، وجعلت على رأسه إكليلا من الجوهر النفيس، وتوجته بتاج من ذهب منظوم بالجوهر الملون وأجلسته فى صدر المجلس وجعلت حوله مخاد الديباج وأوقدت بين يديه مجامراً من العود والعنبر ، ونثرت عليه سحيق المسك ، وفرشت بالبعد منه بحيث تحاذيه أصناف الأفاويه والريحان والزعفران ، وكانت تدخل عليه بكرة وعشية ، فتسجد له مع جميع وصائفها وخدمها ، لما كانت تصنع لابيها ، وخرج الخبر واتصل بآصف بن برخيا ، وكان من قراء سليمان عليه السلام وكاتبه وهو الذى كان عنده علم من الكتاب، وهو الذى أحضر عرش بلقيس وكان عنده علم موضع المرأة من قلب سليمان وحبه لها فلم يدر كيف يدخل الى تعريفه بذلك الى أن اتجه له الامر [فى ذلك] [1] فقال لسليمان يانبى الله : إنى سائلك شيئا . قال : سل . قال إنى قد كبرت ولست آمن أن يفجأنى الموت ، وقد أردت أن أقوم مقاماً أذكر فيه الأنبياء وأثنى عليهم وأصف فضائلهم فتأمر باحضار الناس وتجمع وجوه بنى إسرائيل ، فيجلسون فى مراتبهم ، وتنصب لى منبرا أرقى عليه وأتكلم بما يمكن أن يحضرنى من الكلام فى النحو الذى أريد الكلام فيه

١) عن ت

فتعل سليمان عليه السلام ذلك

فقام على المنبر خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وأقبل يذكر الأنبياء واحدا بعد واحد ، فيثنى على من ذكره منهم فى صغره وكبره ومدة أيامه إلى أن ذكر داود ، فأثنى عليه واستغفر له حتى مات ، ثم ذكر سليمان فأثنى عليه فى صغره خاصة ولم يذكره بشىء فى كبره ، ولا ذكر شيئا من أيامه بخير ولا بشر. فأحفظ ذلك سليمان ودعاه [1] لما فرغ فقال له سليمان أخبرنى عنك يا آصف سمعتك ذكرت جميع الانبياء فأثنيت عليهم فى ايامهم وفى جميع احوالهم ، فلما بلغت ذكرى أثنيت على صغيراً وتركتنى كبيرا فلم فعلت هذا ؟ فقال له ذكرت ما علمت ، فلما ألح عليه قال وبما استحققت [2] أنى أثنى عليك فى أيامك هذه ؟ فقال له وما الذى صنعت فيها ؟ قال لأن غير الله يعبد فى دارك منذ اربعين يوما ، وما هذا جزاء نعمته عليك ولا شكر تمليكه لك ما ملكك وأباك من قبلك ، فاستغفر سليمان وقال صدقت ودخل فعاقب المرأة وكسر الصنم وهرب شيطانه فظفر به بعد ذلك وحبسه

ويقال إن ذلك الصنم كان يخاطب المرأة بلسان ابيها ، ويقول لها قد أحسنت فيما فعلت ، وكان يغويها ذلك بالسجود فعنف الله سليمان لذلك ، وأخذت الجن خاتمه وخرج من ملكه ، وكان يطوف فى بنى إسرائيل فيذكرونه ، ثم سأل الله فرد ملكه وخاتمه بعد اربعين يوما ، وهى عدد الايام التى سجدت المرأة فيها للصنم وقيل إن المرأة ماتت وكان ولد سليمان عليه السلام منها

ومنها جزيرة الرود وهم خلق لهم أجنحة وشعور وخراطيم ضيقة ، يمشون على رجلين وعلى اربعة ، ويطيرون ويعودون إلى الجزيرة ، وقيل إنهم من الشياطين الأول

ومنها جزيرة القاس وهو [1] دابة ململمة كالكرة تصيح صياحاً شديداً ، ولا

---

١) فى ب وت ودعا ٢) فى ب استحقيت وت استحققت ٣) فى ب ، ت وهى

يدرى من أين يخرج صياحه ، ويقال إنها تقيم ستة اشهر فى البحر وستة اشهر يكون ظاهرا فى تلك الجزيرة ، ولا يعرف ماهو ولا أى شىء يأكل ، ولا من أى موضع يأكل

ومنها جزيرة مر بها قوم ، وقد هاج عليهم البحر وعظم ، فنظروا فاذا شيخ ابيض الرأس واللحية ، وعليه ثياب خضر مستلق على وجه الماء ، وهو يقول سبحان مدبر الامور ، وعالم مافى الصدور ، وألجم البحر بقدرته على أن لايغور ، سيروا بين الشمال والشرق حتى تنتهوا الى جبال الطوق ، فاسلكوا وسطها تسلموا من الغرق

ففعلوا ذلك فاذا هم إلى مدينة بها أمة طوال الوجوه ، معهم قضبان الذهب يعتمدون عليها ، ويحاربون بها وطعامهم الموز والقسط ، فأقاموا عندهم شهراً وأخذوا القضبان الذهب التى[1] عندهم ، فلم يمنعوهم ، ثم ساروا على ذلك السمت فخلصوا

ويقال إن الرجل الذى أرشدهم الخضر عليه السلام وإن هذه الجزيرة مكانه وهى وسط البحر الأعظم

وذكر بطليموس أن فى بحر الشرق والصين ثلاث عشرة الف وسبعمائة جزيرة ، وذكر بعضها

منها جزيرة سرنديب ، يقال إنها ثمانون فرسخا فى مثلها ، وتقول اهل الهند إن بها الجبل الذى اهبط الله تعالى عليه آدم عليه السلام تراه اهل المراكب على ايام

وتذكر البراهمة[2] أن عليه قدم آدم عليه السلام مغموسة وهى سبعون[3] ذراعا وأن على هذا الجبل مثل البرق ليلا ونهارا فلا يمكن احد من النظر إليه ،

---

١) فى ب الذى ٢) فى ب البراهنة ٣) فى ب سبعين

وأن آدم عليه السلام خطا فيه إلى البحر خطوة واحدة ، وهى على مسيرة يومين ، وحوله ألوان الياقوت والأشياء [1] كلها وعليه اصناف العطر والأفاويه ، ودواب المسك . وارضه السنبادج ، وفى أوديته الماس ، وفى أنهاره البلور ، وحوله فى البحر غوص اللؤلؤ

ويتصل بها جزيرة الرامى ، والرامى مدينة بالهند ، وبها السكركند ، وفيها البقم ، وعروقه دواء من السم لساعته ، وقد جربه البحريون من سم الأفاعى والحيات

وبها جواميس لا أذناب لها ، وناس عراة فى غياض لا يفهم كلامهم ، وهم متوحشون من الناس ، وطول الواحد منهم اربعة اشبار ، وللرجل منهم فرج صغير ، وكذلك المرأة . وشعورهم زغب احمر ، يتسلقون على الشجر من غير أن يستعينوا بأيديهم ، وهم يلحقون المراكب سباحة ، وهم فى سرعة الريح يبيعون العنبر بالحديد ، ويحملونه فى أفواههم ، وبقرب من هؤلاء قوم سود ، وشعورهم مفلفلة ، يأكلون الناس أحياء إذا ظفروا بهم يشرحونهم تشريحا ، ولهم فيها جبل طينة فضة ، إذا أصابته النار ذاب

ويتصل بها ارض الكافور ، وهو شجر نبت بها تظل الشجرة منها مائة إنسان واكثر ، تثقب الشجرة فيسيل منها ماء يملأ عدة جرار ، ثم يكون ذلك ماء الكافور ، والكافور صمغ يخرج على اغصانها قطعا ، وخشبها ابيض خفيف وفى هذه الجزيرة عجائب كثيرة بحريات . وأطيار عجيبة ، وغير ذلك من العجائب

وجزيرة كله وهى جزيرة كبيرة يسكنها الهند ، وفيها معدن الرصاص القلعى ومنابت الخيزران وهو عن يمينها على يومين منها

---

١) الذى فى ب والاشباه

وجزيرة مالوعن ؛ وأهلها يأكلون الناس ، وبها موز كثير وكافور ونارجيل وقصب سكر وأرز

وجزيرة خاقه ، وبها مدينة سلاهيط وبها ملك يسير أحسن سيرة . لباسه الثياب المذهبة ؛ وعلى رأسه قلنسوة من ذهب ؛ مكالة بغرائب الجواهر ؛ وبها نارجيل وموز وسكر وصندل وسنبل وقرنفل

وبحذائها جبل فى ذروته نار تتقد مقدار سمكها علو مائة ذراع فى مثلها فهى بالليل نار ، وبالنهار دخان

وجزيرة الطيب من هذه خمسة عشر يوما ؛ من البحر ؛ فيها من كل الأفاويه

وفى مملكة المهراج جزيرة ؛ يقال لها فرطائيل يسمع منها الطبول والعزف والزمر وأصناف الغناء ؛ والبحريون يقولون إن الدجال فيها ، وبالقرب منها موضع فى البحر يخرج منه خيل لها أعراف تجرها فى الأرض

وجزيرة ميمونة فى طريق الصين ؛ فيها العود والكافور ، ومنها الى قمارى الى الساحل ايام يسيرة ؛ وبقمارى العود القمارى والصندل

وجزيرة الصندل على الساحل ؛ وبها العود الصنفى ؛ وهو عندهم أفضل من العود القمارى ؛ لأنه يغرق فى الماء لجودته وثقله ؛ وبها بقر وجواميس

وبلادالواق وجزائرها فى مشارق الصين ؛ وهى كثيرة الذهب حتى إن مقاود دوابهم وسلاحهم وسلاسل كلابهم ذهب ؛ ويعملون القصب المنسوجة بالذهب ذات التماثيل العجيبة

ومن هذه النواحى يجنى العود والمسك والآبنوس والدارصينى ؛ واصناف التجارات والعجائب

وجزيرة الزنج وفيها أمم مختلفو [1] الأشكال والاخلاط ؛ وملوك مختلفة

١) فى ب مختلفى

المعانى والمذاهب ، وفيها أصناف من الدواب

وفى بحر الزنج جزائر كثيرة يستخرجون منها الودع والحلزونات الملونة ؛ وهم يلبسونها مثل الحلى . ويدفنون انياب الفيلة ، فاذا عفنت أتى تجارها من الهند والسند فاشتروها منهم

وفى بحر هركند على ماذكره بطليموس وجماعة من البحريين ألف وسبعمائة جزيرة عامرة سوى الخراب ، ويملك هذه الجزائر كلها امرأة ، ويقع إليها عنبر كثير ، وربما وقع اليها القطعة بقدر البيت او نحوه ، وإنما يخرج هذا العنبر إذا هاجت الريح من قعر البحر رمت من تحته فقذفت به إلى السواحل . وهذه عامرة بالناس وتجارتهم الودع ، ويدخره ملوكهم فى خزائنهم . وهو أكبر عددهم ويقال إن هذا الودع يأتيهم على وجه الماء وفيه روح ، فيأخذون شقف النارجيل فيطرحونها على وجه البحر ، فيتعلق هذا الودع بها فيأخذونه منه ويجمعونه

وملك المهراج عظيم مملكته ليس فى البحر بالشرق أكثر من جزائره . ولو شاء إنسان أن يركب مركبا . ويطوف بها لم يدرها فى سنين كثيرة

وهو بحر لاتحصى عجائبه ، وعند ملوكه جميع الأفاويه من الكافور والقرنفل والجوزة والبسباسة والقاقله والكبابة والعود ؛ وليس لغيره من الملوك ماله من العطاء ، ولايشاركه فى ذلك أحد منهم ببلاد الصين ؛ يقال إن بلاد الصين ثلاثمائة مدينة ونيف ، عامرة كلها سوى القرى والأطراف والجزائر ، وأبواب الصين اثنا عشر [1] بابا ؛ وهو جبل فى البحر بين كل جبلين منها فرجة وبحر يصار منه إلى موضع مدينة من مدائن الصين المعروفة الكبار

وهذه الجبال التى تمر بينها المراكب مسيرة سبعة أيام فاذا جاوزت السفينة هذه الابواب صارت فى بحر فسيح وماء عذب ؛ وصارت كذلك حتى تسير الى

---

١) فى ب اثنى عشر

الموضع الذى تريده من بلاد الصين

وأول مرسا تنزله خانقوا وماؤها عذب من أنهارعذبة وفى كلها أمن ومصالح وشجر وعمارة وزرع ، وفى تلك الميناء[1] أودية كلها تدور [بين] جزيرتين فى اليوم والليلة . وفى هذا المرسا اسواق وتجار وخروج ودخول ؛ وتجارات تحط ؛ ومراكب تذهب وتجىء

وجزيرة خلنجان فيما بين سرنديب وفلنتن ببلاد الهند فيها قوم سود عراة إذا وقع إليهم إنسان عربى[2] من غير بلادهم ؛ علقوه من كسائه وقطعوه قطعا ؛ وليس لهم ملك

وغذاؤهم السمك والموز النارجيل وقصب السكر ؛ وبها آجام تنبت الخيزران ؛ وهم عراة لايستترون بشىء ؛ وبقرب الصين موضع من البحر يقال له منجى وهو أخبث البحار وأكثرها رياحا وموجا ومضايقا وجبالا ، تتطاير منه إلى المراكب صبيان مثل صبيان الزنج ؛ طول أحدهم نحو خمسة أشبار يخرجون من الماء ويتواثبون إلى المراكب ويدورون فيها ، ولا يؤذون أحدا ثم يعودون إلى البحر ؛ فاذا كان ذلك منهم وظهروا كان ذلك علامة لأخبث الرياح عندهم ؛ فيستعدون ويأخذون أهبتهم ؛ ويخففون المراكب؛ ويلقون بعض ما فيها ويقطعون من الدقل ذراعا أو ذراعين إن خافوا كسرها

ويقولون أيضا إنهم إذا رأوا على دور المكان سمكة يقال لها البايقة يكون منها ما طوله مائة ذراع فى عرض عشرين ذراعا وينبت على ظهرها الحجارة ، وربما تعرضت للمراكب فكسرتها .

وزعموا أنها ربما قربت من الساحل وهى لا تعلم ، فتندفع بقوتها تتبع لبعض

---

١) فى ب الماء ودية ولعل الصواب ما ذكرناه

٢) كذا فى ب ، ت ولعل الصواب غريب والرسم لا يأباه

السمك الهارب منها فلا تشعر الا وقد حصلت فى البر بجملتها فلا يمكنها الرجوع فتهلك

فاذا كان كذلك قطع لحمها وذوب فى القدور فيذوب لحمها كله ؛ ويصير دهنا ينتفع به فى المراكب وغيرها

وجزيرة بقرب الزنج فيها جبل يقال لها جبل النار يظهر منه بالنهار دخان وبالليل لهب نار ؛ فلا يقدر أحد على الدنو منه

وجزيرة المدر وهم سودان ولهم مدينة لها بارند ؛ وأهل هـذا البلد يقطعون الطريق ويسبون ويقتلون

فالمراكب الصينية يعد فيها التجار السلاح والنفط ، وربما كان فى المراكب أربعمائة نفس من التجار وخمسمائة مقاتل ؛ فلا يطمع فيهم ؛ ويطمع فى سواهم ، وتغتال سفينتهم .

وجزيرة الرانج وهى جزيرة عظيمة كثيرة الأهل والزرع والتجارات ؛ ويقال إنها لما فسد من بالصين بالخوارج والهرج صارت المراكب الصينية تقصد جزيرة الرانج هذه ويقاتلون أهلها وكذلك جزائرها كلها ومدائنها

وأصبح أبواب الصين فى التجارات الباب الذى يدخل منه إلى خانقوا وهو أقرب ؛ ومن دخل من غيره بعد الطريق عليه

وجزائر الرانج كثيرة منها جزيرة تعرف بسديدة ؛ تكسيرها أربعمائة فرسخ وبها متاجر وطيب .

وجزيرة الرامى أيضا عامرة يقال إن تكسيرها ثمانية فراسخ فيها منابت البقم وفيها الكافور والأفاويه وتكسيرها ثمانون فرسخا

وجزيرة كله؛ يقال إنها النصف بين أرض الصين وأرض العرب وتكسيرها ثمانون فرسخا

وبكله مجتمع الأمتعة من العود والكافور والصندل والعاج والرصاص القلعى والآبنوس والبقم ؛ والجهاز إليها فى هذا الوقت من عمان

وجزيرة المهراج الذى هو ملك هذه الجزيرة ؛ وهى جزيرة كبيرة فى غاية العمارة والخصب

حكى عن بعض التجار الذين يوثق بقولهم أن الديكة إذا غردت بها فى الأسحار تجاوبت من نحو مائة فرسخ لاتصال عمارتها ؛ وانتظام قراها لامفاوز فيها ولا خراب ؛ وأن المسافر يسافر فيها بلا زاد . وينزل حيث أراد

وفى جزيرة سرنديب موضع يجتمع اليه أهلها يتدارسون فيه سريانياتهم ؛ وقصص ملوكهم فى الزمن السالف

وبها صنم عظيم من ذهب مبالغ وزنه وقدر الجوهر الذى عليه مائة رطل وهو فى هيكل لهم

وفيها مواضع أخرى يجتمع فيها اليهود وأهل الملك يتدارسون فيها علومهم ويتكلمون فى أديانهم ؛ والملك يبيح لهم ذلك

وفى هذه الجزيرة أعناب يقال لها أعناب سرنديب ؛ والعنب واد عظيم يجوز المجتاز فى هذا العنب شهرين وأكثر فى رياض وغياض وهواء معتدل ؛ والشاة عندهم بنصف درهم ؛ وأكثر عملهم القمار بالنردوالشطرنج ؛ ويستزير[1] الرجل المرأة بعلم أهلها

وجزيرة الرانج جزيرة كبيرة واسعة ؛ وكلما يزرع فيها من ذرة وقصب وسائر النبات فهو أسود ؛ ولهم فى جزائرهم قوم يعرفون بالمخرمين قد خرمت أنوفهم ؛ وقد أتموا أسلحتهم ويأخذ بطرف كل سلسلة يجره ويمنعه من التقدم حتى يسفر السفراء[2] بينهم فان وقع الصلح وإلا شدت تلك السلاسل فى أعناقهم

١) فى ب ويستريد ٢) فى ب يصفر الصفرا والصواب ماذكرناه

وتركوا للحرب ؛ فلم تقم لهم قائمة ؛ ويأكلون من وقعت عليه نهشا ؛ ولا يزول أحدهم من مركزه دون أن يقتل

وللعرب فى قلوب الزنج هيبة عظيمة ؛ فاذا عاينوا رجلا منهم سجدوا له وقالوا هذا إبن مملكة تنبت فى بلادهم شجر التمر ؛ لجلالة التمر فى صدورهم ؛ ولأن العرب إنما يصرفون صبيانهم بالتمر

وفيهم خطباء بلغاء بألسنتهم ؛ ومن يتعبد منهم يستتر بجلد نمر ؛ ويأخذ بيده عصا ؛ ويجتمع إليه الناس ويقف على رجله من أول النهار الى الليل يخطب ويذكرهم الله تعالى ؛ ويذكر لهم أمور من مات منهم ؛ ومن مضى من الملوك

وجزيرة سقطري وبها منابت الصبر السقطرى ؛ وموضعها بين بلاد الزنج وبين بلاد العرب ؛ وأكثر اهلها نصارى

والسبب فى ذلك أن الاسكندر لما غلب على ملوك فارس وقتل فور[1] الهندى ، وكان يكاتب أرسطاطاليس بما يجرى من امره ؛ ويعرفه بما وقف عليه وغلبه عليه من الممالك ؛ وكان أرسطاطاليس يكتب إليه ويؤكد عليه فى طلب جزيرة فى البحر تعرف بسقطرى لأن بها منابت الصبر السقطرى ؛ وبها الدواء العظيم الذى لاتتم الأيارجات إلا به ؛ وأن الجزيرة إن وجدها لا ينتقل عنها حتى يصلح عمارتها ويسكنها قوما من اليونانيين ويطوف[2] لهم بملكها والحفظ لها[3] ففعل الاسكندر ذلك ؛ وتقدم الى ملوك الطوائف بالاحتفاظ بها ؛ وكان ذلك حتى بعث السيد عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم وتنصرت الروم ودخل هؤلاء فى الجملة وتنصروا مع الناس فبقاياهم بها الى هذا الوقت مع سائر من يسكنها من عندهم ؛ وفى البحر الكبير الذى عن يمين الخارج من عمان جزائر كثيرة ؛ وهى

---

١) فى ب قوز والصواب ماذكرناه كما هو معروف فى كتب التاريخ

٢) لعل الصواب ويصدق ٣) فى ب بها

تحاذى بلاد الشجر فيها منابت اللبان ، وما يتصل بذلك من ارض عاد وجرهم والتبابعة

وفيها قوم من العرب وهم فى هذه الجزيرة فى قشمة وضيق عيش الى أن تتصل بعمان وسواحل اليمن فيتسع امرهم قليلا ؛ وعيش هؤلاء من السمك ومن نبات عندهم ؛ وربما وقع اليهم العنبر فباعوه من أصحاب المراكب

وبحر اليمن متصل ببحر البحار والقلزم ؛ وينقطع هناك ومن عجائب الجزائر التى فى هذا البحر جزيرة يقال لهاسلطا منها قوم يسمع كلامهم وضجيجهم وتصرفهم فى معاشهم ، ومن وصل اليهم يخاطبهم ويخاطبونه ولا يراهم ؛ وسئلوا عن أمرهم فذكروا أنهم من الانس ، وأنهم كانوا بعث اليهم نبي يقال له سافر بن جردول [1] فآمنوا به وهم على دينه

وإذا نزل الغريب اليهم جعلوا له من الزاد فى ليلة مايكفيه ثلاث ليال تمرا فى نهاية الحلاوة والطيب ونارجيلا وطيورا مشوية على قدر اليمام ؛ أطيب مضغة من اليمام؛ وإذا أراد من وقع عندهم الرجوع الى اهله سيق له مركب ، واكثرهم لايتجه له المسير عنهم حتى يحمل وإن لم يحملوه أقام على حاله ولم يسر إلى بلاد غيرها لطيب الموضع وكثرة الخير ؛ وقد عرف ذلك البحريون

وجزيرة فرش ؛ وهو شجر عرفت به الجزيرة يحمل ثمرا فى خلق اللوز إلا أنه اكبرمنه ، يؤكل بقشره فيقوم مقام كل دواء ، ومن أكل منه لم يمرض الى موته ولم يهرم ، وإن كان شعره أبيض عاد أسود ؛ ولهذه الجزيرة ملك يمنع منها يذكر أن بعض ملوك أهل الهند جابه وزرعه فأورق ولم يثمر

وجزيرة الدلهان وهو شيطان فى صورة الانسان راكب على ظهر طائر شبه النعامة وعلى قدرها ، يأكل لحوم الناس وإذا طرحهم البحر رفعهم الى

---

[1] الرسم يحتمل أن يقرأ : ساور بن جردول

موضع لاخلاص لهم منه وأكلهم واحداً بعد واحد عند إرادته ؛ ويأكلهم أحياء

وحكى أن البحر حمل مركبا الى تلك الجزيرة وقد كانوا سمعوا به ؛ فلما أتاهم وقفوا على مركبهم ورموه وحاربوه وصبروا على قتاله ؛ فصاح بهم صيحة سقطوا منها مغشيين على وجوههم ، وجعل عبرهم الى موضع عادته

وكان فيهم رجل صالح فدعا الله عليه فهلك من حينه ؛ وصار موضعه ذلك مطلبا لما معه من أموال الناس وأمتعتهم

وجزيرة الضريف ؛ وهى جزيرة تلوح لأصحاب المراكب فيطلبونها حتى إذا ظنوا أنهم قد قربوا منها تباعدت عنهم ؛ وربما أقاموا كذلك أياما لايقدرون على الوصول اليها ولا يقول أحد من أهل البحر إنه وصل اليها ولا دخلها ؛ وهم يرون فيها شخوصا ودوابا وعمارة وشجرا

وجزيرة البيدج فيها صنم من زجاج أخضر يجرى من عينيه دمع على ممر الأيام يقول البحريون إنه يبكى على قومه لأنهم كانوا يعبدونه فغزاهم بعض الملوك فاستباهم وقتلهم وأراد كسر الصنم ، فكانوا اذا ضربوه بشيء لم يعمل فيه وعاد الضرب الى وجوههم فتركوه ؛ واذا دخلت الريح الى أذنيه صفر تصفيرا عجيبا

وجزيرة سرهانة بها عمارة وشجر وأكثر أهلها أوانيهم ذهب ؛ وثيابهم منسوجة بالذهب ؛ وسلاحهم أعمدة ذهب ؛ ولهم ملك متى وقع لهم من يريد الخروج بشيء منه دفعه عنه

ومن الجزائر ببلاد الغرب صقلية وهي جزيرة كبيرة دورها أكثر من خمسةعشر يوما ؛ ومملكتها واسعة ولها جبال وأشجار وأنهار ومزارع؛ وهى بإزاء افريقية ؛ وبها جبل البركان لا يزال يظهر دخانه بالنهار وناره بالليل ويطير منه

فى البحر شرارات ، وهى حجارة سود مثقبة مثل الاسفنج[1] تطفو على المـاء فتحملها الناس الى البلاد يحكون بها فى الحمامات أقدامهم

وربمـا خرج من هذا البركان فيدخل فى البحر فيحرق كلما صادف من داوبه وحيتانه ؛ فتلقيه الأمواج الى الساحل ؛ فلا يقدر أحد على الدنو من هذا الموضع

وجزيرة سردانية وهى جزيرة كبيرة مسيرة عشرين يوما وفيها شجر وعيون وزروع وجبال وتجارات

وجزيرة أقريطش وهى فى بحر الروم ؛ وبها جبال ومعدن ذهب وأنهـار وثمار ؛ وهى اثنا عشريوما فى ستة أيام ؛ وفى البحر الـكبير جزيرة ترى على بعد فى البحر فاذا قرب منها القاصد بعدت عنه وغابت ؛ فاذ رجع الى الموضع الذى كان فيه رآها كما كان يراها قبل

وقيل إن بها شجرا يطلع بطلوع الشمس ولا يزال طالعـا الى نصف النهار ثم يعود الى الانحطاط حتى تغيب الشمس ؛ ويقول البحريون إن فى ذلك البحر سمكة صغيرة يقال لها السائل إذا حملها الانسان مع نفسه أبصر الجزيرة ولم تغب عنه ودخلها ؛ وهذا شيء عجيب ظريف

وجزيرة طاوراق ؛ وهو ملك له أربعة آلاف امرأة ؛ ومن لم يكن له ذلك فليس بملك ويتفاخرون بكثرة الأولاد ؛ وعندهم أشجار إذا أكلوا منها قووا على الباه قوة عجيبة

وجزيرة السيارة ؛ والبحريون مجمعون[2] عليهـا ؛ منهم من يذكر أنه رآها مرارا كثيرة وليس بمسكون فيها . وهى جزيرة فيها جبال وعمارة ؛ فاذا هبت الريح من الغرب صارت الى الشرق ؛ وإذا هبت من الشرق صارت الى الغرب ؛ هذا دأبها

---

١) فى ب الاسفنجة ٢) فى ب مجموعون

ويقال إن حجارتها خفيفة يكون الحجر العظيم الذى وزنه عندنا قناطير يزن عدة أرطال وأقل من ذلك ويحمل الانسان القطعة العظيمة من الجبل

وذكر بعض اليهود لعنهم الله من أصحاب التجارات أن مركبهم انكسر بهم فى بعض السنين ، وأن البحر طرحهم الى جزيرة ترابها وحجارتها وكل مافيها ذهب، فأقاموا فيها أياما لايجدون غذاء غير السمك وهومع كل ذلك قليل، فلما خافوا على أنفسهم التلف وكانوا مع ذلك سلم لهم زورق للمركب فجروه عندهم فأوسقوه من ذلك الذهب وثقلوه بالطمع فوق مايحمل ، ثم دخلوا به البحر واجتهدوا فى طلب النجاة فلم يسيروا به لايسيرا حتى عطب بهم الزورق وتلف الذهب ولم ينج منهم إلا بعضهم من اهل السباحة نحو مهب الريح من إلى الساحل

وذكروا أن فى جزائر الكافور قوماً يأكلون الناس ، ويأخذون رءوسهم فيجعلون فيها الكافور والطيب ويعلقونها فى بيوتهم ويعبدونها ، فاذا عزموا على أمر من الأمور أخذوا رأسا من تلك الرءوس فكبروا له وسجدوا بين يديه وسألوه عما يريدونه فيخبرهم بكل ما سألوه عنه من خير وشر

وجزيرة النساء ،وهذه الجزيرة فى تخوم من الصين ، وحكوا عنها أنه لم يسكنها إلا النساء ، وأنهن يلقحن الريح ويلدون نساء ، وقيل إنهن يلقحن من الريح[1] وزعموا أن الذهب عروق عندهم مثل الخزران ، وتربتها ذهب ، وأنه وقع إليهن مرة رجل فهممن بقتله ، فرحمته امرأة منهن وحملته على خشبة وسلمته[2] فى البحر فحملته الأمواج والرياح ، حتى أتت به بلاد الصين فدخل الى ملك الصين وعرفه حال الجزيرة ، فوجه المراكب فى طلبها ، فطافت تطلبها ثلاثة أشهر فما وقعوا لها على خبر ولا أثر

١) هكذا وقع التكرار فى الأصول ٢) لعل الصواب سيبته

وجزيرة ابن أسعلاق فيها شخص مشوه لايدرى ماهو ، ذكر قوم أنه شيطان تجسد بين الجن والانس ؛ وزعم قوم أنه خلق بحرى مشوه مقارب لصورة الانسان ، وأنه يأكل من وقع إليه من الناس

وفى خبر ذى القرنين أن مراكبه وقعت الى جزيرة بيضاء نقية ذات أنهار وأشجار وأثمار ؛ وفيهم خلق على خلق الانسان فى الانتصاب ، رءوسهم مثل رءوس السباع والكلاب ؛ فلما دنوا منهم غابوا عن أبصارهم ؛ وبوسط الجزيرة نهر شديد البياض بشاطئه شجرة عظيمة فيها من كل ثمرة طيبة لذيذة الطعم مشرقة بأنواع الألوان ورقها كالخلال[1] كبراً ولينا وحسناً ؛ والشجرة تسير بسير الشمس من الغد والى الزوال ، فاذا زالت الشمس تقلصت وانحطت بانحطاط الشمس ، وغابت بعد نبتها ؛ وثمرها أحلى من العسل وألين من الزبد ؛ وورقها أطيب رائحة من المسك ؛ فجمعوا من ورقها كثيراً ليحملوه الى الاسكندر ، فضربوا وظهرت عليهم آثار الضرب ولم يروا من يضربهم وصيح بهم « ردوا ماقد أخذتم من هذه الشجرة ولا تتعرضوا لها فتهلكوا » فردوا ما كان أخذوه من ذلك وركبوا مركبهم وساروا

ودخل الاسكندر جزيرة العباد فوجدها قفارا[2] غير حشيش فيها وغدران ووجد فيها قوما قد نهكتهم العبادة وصاروا كالحم من سواد الألوان؛ فوقف بهم وسلم عليهم فردوا عليه ؛فقال لهم ماعيشكم فى بلادكم هذه؟ فقالوا مايأتينا من رزق من أسماك البحر وضروب الحشيش ؛ وما نشربه من ماء هذه الغدران ؛ قال فلا أنقلكم الى موضع أخصب لكم من هذا المكان ؛ فقالوا وما نصنع به إن عندنا فى جزيرتنا هذه ما نغنى به عن جميع العالم ؛ ويكفيهم لو أنهم وصلوا إليه قال وما هو؟ قال فانطلقوا به إلى واد لهم يسرح من ألوان الدر والياقوت فوق

---

١) كالحلك ٢) فى ب غفاراً

ماتتوهم النفس ، وأخرجوه من هناك إلى أرض واسعة كثيرة الفواكه فيها من أصناف الثمرات مالا يوجد مثله ببلد من البلدان . فقالوا له أتصل بنا إلى اكثر من هذا ؛ قال والله ولا إلى بعضه ؛ فقالوا فهذا بين أيدينا فما نلتفت إلى شيء منه ، وإنا لنؤثر الحشيش عن هذه الفواكه ؛ فذهب أصحابه ليأخذوا من ذلك الجوهر شيئا فمنعهم ، وودع القوم وانصرف إلى مركبه متعجبا منهم

وحكى أنه ذكرت له جزيرة فى البحر الأخضر فيها قوم حكماء فصار إليهم فرأى قوما سرابيلهم ورق الشجر وبيوتهم الكهوف ؛ وعليهم السكينة فسألهم عن مسائل من الحكمة فأجابوه فقال لهم سلونى ماأحببتم ؛ فقالوا له إنا نسألك الخلد فقال أنى لى به ؛ ولا أقدر على زيادة نفس واحد فى أنفاسى ! ؛ فقالوا فعرفنا بقية آجالنا ؛ فقال أنا لاأعرف بقية أجلى ؛ فكيف لى بمعرفة أجل غيرى ! قالوا فامنحنا منحة تبقى لنا مابقينا . فقال وهذا ماأبلغه لنفسى فكيف لغيرى ! قالوا فدعنا نطلب ذلك ممن يقدر عليه !

وجعل الناس منهم يتطاولون بالنظر الى عساكر الاسكندر ؛ وكان على شاطىء البحر رجل حداد لايرفع بصره اليه ، ولا الى شيء من عساكره. فعجب الاسكندر من ذلك فأقبل عليه وقال له مامنعك من النهوض الى والنظر الى عسكرى ؟ فقال له لا يعجبنى ملكك فأنظر اليه ! قال ولم ؟ قال انى عاينت قبلك ملكا لا يبلغ ملكك ملكه ؛ وكان فى جوارى رجل مسكين لايملك شيئا ؛ فمات الملك والمسكين فى يوم واحد ؛ ودفنا فى ناحية واحدة فكنت أتعاهدهما حتى بليت أكفانهما وبقيت رممهما ؛ ثم اختلطا فجهدت أن اعرف الملك والمسكين فلم أقدر على ذلك ؛ فهان علىّ كل ملك بعد ذلك

قال فصناعتك تكفيك ؟ قال انا اكسب بها ثلاثة دراهم كل يوم أنفق درهما واقضى درهما وأسلف درهما ؛ فالدرهم الذى انفق هو مؤنتى ومؤنة عيالى ؛ والدرهم

الذى اقضيه عما يلزمنى فى كراء بيتى ومؤنة عملى ، والدرهم الذى اسلفه هو الذى انفقه على ولدى لينفقه على اذا كبرت

قال أفلا تنفق ذلك على اصحابك ؟ قال هم لا يحتاجون الى ذلك ، وانا لا أحتاج اليه ، وانما يحتاج الى ذلك من لا ينصف عن نفسه ، فأما من انصف منها فلا يحتاج الى شيء !

فعجب ذو القرنين من حكمهم وانصرف عنهم

ذكر آدم عليه السلام وولده

أجمع أهل الأثر أن آدم عليه السلام خلق يوم الجمعة لست خلون من نيسان وكساه الله لباساً من ظفره ، وأسجد له ملائكته فسجدوا إلا إبليس ، وكان ملكا على الأرض يصعد الى السماء متى شاء فأبى من السجود لآدم ، وقال أنا كنت خليفتك على الأرض وهو من تراب كنت أطؤه ، وأنا من نار وهو من طين . فلى عليه الفضل من كل جانب ، وأفضله بالاجنحة التى أغشى بها اقطار الارض فى اقل من لمح البصر ، فلما امتنع من السجود أبلسه الله ولعنه

وخلق حواء وألبسها لباسه واسكنهما الجنة لثلاث ساعات مضت من ذلك اليوم واباحهما جميع مافى الجنة الا الشجرة التى نهاهما عنها ، وهى على قول أكثر اهل العلم البر ، وكانت الحبة بقدر الأترجة فألقتهما الحية ، وكانت من أحسن دواب الجنة ، وكانت ذات قوائم

ولما رأى آدم ما أعطيه من الكرامة اشتاق الى الخلود فطمع فيه ابليس ، فاحتال حتى ادخله الجنه

فخاطب حواء فيها وقال (مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا

[ملكين أو تكونا] من الخالدين ؛ وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين) ولم يزل بحواء حتى اكلت من الشجرة واطعمت منها لآدم فأكل ؛ فلما اكلا منها انكشف لباسهما عنهما الى اطراف اصابعهما وبدت لهما سوآتهما ؛ وهرب آدم فى الجنة يمينا وشمالا لايدرى ما يصنع ؛ فتعلقت به شجرة الاترج وحبسته بناصيته ومعه حواء ؛ فطفقا يأخذان من ورق الجنة ويستتران بها فقال الله عز وجل قد جعلت هذه الشجرة غذاء لكما ولذريتكما ؛ يعنى الشجرة التى اكلا منها عاصيين فاهبطوا جميعا انتما وابليس والحية فان بعضكم لبعض عدو

ونزع الله من الحية قوائمها فهبطوا ، فكان مقام آدم فى الجنة مع حواء ثلاث ساعات ؛ مقدار مائتين وخمسين سنة من ايام الدنيا ؛ وهو ربع يوم من أيام الآخرة الذى هو ألف سنة

فأهبط آدم على جبل سرنديب وعليه الورق المخصوف من الجنة . فلما جف الورق وذهبت رطوبته تقطع وسقط فسفته الريح وطرحته الى كل جهة فنبت منه بأرض الهند أنواع الطيب والأفاويه . والتمر الذى لايوجد إلا هناك . وفيه العود ودواب المسك ؛ وحوله أصناف اليواقيت والماس ؛ وفى بحره مغايص اللؤلؤ

وسمى الله آدم عبد الله وكناه أبا محمد وكان طويلا جعد الشعر أحسن من خلق الله تعالى ؛ فلما نزل الى الأرض نقص من لونه وحسنه وطوله

وكان يتكلم بالعربية فحول الله عز وجل لسانه الى السريانية . وانتزع منه ماعلمه ثم رده الله سبحانه وتعالى بعد توبته إليه

وأهبط حواء على جدة وبيدها قبضة من جوهر الجنة فتناثر منه من يدها شيء فكانت الجواهر منه ؛ ونقص أيضا من حسنها وبهائها

وأهبط إبليس ومعه قبضة من النار وعصا من بعض شجر الجنة يقال إنه

العوسج ، ويقال إنها كانت من آس الجنة ، وهي التي صارت الى موسى عليه السلام

وأنزل معه ثلاثين قضيبا من ثمار الجنة وجعلها إكليلا على رأسه : منها عشرة ظاهرة القشور وهي : الجوز واللوز والبندق والفستق والخشخاش والبلوط والقسطل وجوز الهند والرمان والموز

وعشرة لها نوى وهي الخوخ والمشمش والآجاص والتمر والزعرور والغبيرا والقراصيا والشاه باوط والنبق والمقل

وعشرة لاقشور لها ولا نوى وهي : التفاح والسفرجل والكمثرى والعنب والتوت والأترج والخرنوب والخيار والبطيخ والبر[1] وكان أول ماخلق الله تعالى في الارض الكمثرى

وتاب الله سبحانه وتعالى على آدم عليه السلام بعد مائة سنة ؛ أتاه جبريل عليه السلام وعلمه الكلمات ، وهي لا إله إلا أنت عملت سوءا فاغفر لي وأنت خير الغافرين

وقيل في طوله إنه كان يبلغ السماء فلما أهبط الى الارض . جعل طوله مائتين وسبعين ذراعا . وعلم استخراج الحديد وسبكه وعمل الزبدة والمطرقة والكلاليب والمدية وآلات الأرض وما يحتاج اليه من جميع الآلات

وعلم ما يأكله من دواب الأرض ، وما يجتنبه وأمر بالمسير الى مكة ؛ وكان موضع قدمه عمرانا وما بينهما مفاوز ؛ وأتى جدة فوجد بها حواء تبكي فقال لها هذا عملك[2]

وقيل له إيت الكعبة فطف بها ، فمشى إليها فتلقته الملائكة بالأبطح فقالوا له حياك الله يا آدم ؛ لقد طفنا قبلك هذا البيت بألفي عام ولسنا بأول من حجه ،

١) في الأصول والتبر ٢) في الأصول عملكي

وعلمه جبريل عليه السلام المناسك ؛ وأنزلت عليه إحدى وعشرون صحيفة ؛ وفرض عليه الصلاة والزكاة والاغتسال من الجنابة والوضوء ؛ وزرع ؛ وحصد ؛ وطحن ؛ وخبز ؛ ثم قيل هـذا دأبك أنت وذريتك ؛ فقال يا رب ما بلغت هذا إلا بشق النفس فقيل له هذا بخطيئتك

وعوقبت حواء بعشر خصال : وجع العذرة ، ووجع الولادة . وطول الحمل والحيض . وحزن الموت ؛ وقناع الرأس ؛ ومالكة الرجال للنساء ؛ وأن تكن تحت الرجال عند الجماع ؛ والولولة عند المصيبة ؛ ورقة القلب عند الحزن — وجمع بين آدم وحواء بجمع وتعارفا

وعوقب آدم بنقصان طوله . وتغير حسنه ؛ وخوفه من السباع ؛ وكانت تخافه ؛ وحتم عليه وعلى ذريته بالموت ؛ وحفظت عليه أعماله ؛ وكلف النظر فى رزقه والتعب فيه

وعوقبت الحية بقص جناحيها وعدم يديها ورجليها ومشيها على بطنها وشق لسانها ؛ وخوفها من الناس وعداوتهم لها ؛ وجعل من التراب غذاؤها . وإن طلبت أن تقتل أخرجت للناس لسانها

وإن آدم غشى حواء فولدت له قابيل وتوأمته قليما ، وكان كذلك يولد له توأمين فى كل بطن

ثم ولدت له هابيل وتوأمته لبوذا فشغل قابيل بالحرث ؛ وشغل هابيل برعى الغنم ؛ ثم أمره أن يزوج هابيل من أخت قابيل فضرب بها وقال أنا أحق بأختى منه ، فأمرهما أبوهما أن يقربا قربانا فأيهما تقبل قربانه كان أحق بأخت قابيل ؛ فرضيا بذلك . وقرب هابيل أسمن كبش كان عنده . وقرب قابيل من أرذل ما كان عنده من الغنم وكان ذلك بينهما يوم الجمعة . وجاءت النار الى القربان ؛ وأخذت الكبش الذى كان لهابيل ؛ وحملته ولم تتقبل قربان قابيل ؛ فأغضبه ذلك

وعزم على قتل أخيه بعد منصرفهما من منى ، فلم يدر كيف يقتله فتصور له إبليس لعنه الله فى صورة إنسان ، وأخذ طائرا فشدخ رأسه بحجر فقتله ، وحمله معه حتى غاب عن عينه فاغتفل قابيل هابيل حتى نام عند غنمه ، وهى ترعى فحمل حجرا فطرحه على رأسه فقتله فأصبح من النادمين ، وطال تحسر آدم عليه السلام على ابنه هابيل وعلى الجنة فأنزل الله تعالى له خيمة من خيام الجنة من ياقوتة حمراء وضعت مكان الكعبة .

ولمائتين وثلاثين سنة من مهبط آدم ولد له شيث وهو هبة الله وتوأمته ، فتقول أصحاب التواريخ : إنه ولد له مائة وعشرون بطناً ، وأمر آدم عليه السلام بكتب الصحف ، وعلم اللغات كلها ، وعلم الأسماء التى قهر بها الجان والشياطين وعلم حساب الأزمنة وسير الكواكب .

وسأل ربه أن يريه الدنيا وما يكون فيها من خير وشر ، فمثلت له براً وبحرا فنظر اليها والى ملوكها وسكانها من ولده ، وصور الأنبياء وما يكون فى العالم ويدور فيه من خير وشر الى انقضائه .

ولما كثر ولده وولد ولده بعثه الله إليهم وأمره أن يأمرهم بما أمره الله به وينهاهم عما نهاه عنه ، ويقال إنه أُرسل وهو ابن تسعمائة سنة وسبعين سنة

ولما أراد الله سبحانه وتعالى أن يتوفاه أمره أن يسند وصيته الى ابنه شيث ويعلمه جميع العلوم التى علم بها ففعل ، وكان سبب وفاته عليه السلام أنه انصرف من الفلاحة موعوكا[1] فحُم ومرض إحدى وعشرين يوما والملائكة تختلف اليه .

ويقال إنه اشتهى قطفاً من عنب الجنة فوجه بعض ولده يسأل له ذلك ممن لقيه من الملائكة ، فلقيه جبريل عليه السلام فعزاه فى أبيه وقال ارجع فان أباك قد مات ، وكان سنه يومئذ تسعمائة وثلاثين سنة ، وقالوا تسعمائة وخمسين سنة بعد

---

١) فى ب مدعوكا وهو خطأ

ماوهب لداود منها خمسين سنة وأتاه جبريل عليه السلام بكفن وحنوط من الجنة وعلم شيث كيف يغسله ويكفنه ؛ وقيل هذه سنة لكم فى موتاكم بعده ؛ وحمل الى غار الكنز فى جبل أبى قبيس فدفن فيه ؛ وكانت وفاته عليه السلام يوم الجمعة ؛ ومات وولده وولد ولده أربعون الف بيت ورفعت مع موته الخيمة الياقوت التى كانت بموضع الكعبة

وحزنت عليه حواء حزنا شديدا وبقيت بعده سنة ثم ماتت ؛ عليه السلام والرحمة ، وصلى عليها شيث ودفنها الى جانب آدم صلى الله عليه وسلم وعلى جميع النبيين والمرسلين

ذكر شىء من أخبار ولده

كان قابيل ولد آدم عليه السلام ؛ وأول من عصا وقتل وكفر ولما قتل أخاه هرب عن ذلك الجبل بأخته وبنى قرية يقال لها خلوا وسكنها ، وقابيل أول من عبد النار ؛ وقيل إنه أشقى البرية وإن عليه نصف عذاب الخلق ؛ وقيل إنه متى سفك دم بغير وجه حق كان شريكا لصاحبه فيه

شيث بن آدم بعثه الله الى ولد أبيه وأنزل عليه سبعاً وعشرين صحيفة عليه وعلى أبيه ؛ وأمره ببناء البيت هو وولده بالحجاز ؛ وأمره بالحج والعمرة ؛ وكان أول من اعتمر ، وأمر بجهاد ولد قابيل إلا أنه لايبرح بين تهامة ومكة

وولد الأنوش بن شيث عليهما السلام وهو بكره ووصيه ؛ ومن ولد آنركين[1] ابن شيث يغوث ويعوق ونسر وسواع وود ؛ فكان هؤلاء النفر قوماً صالحين ؛ فلما ماتوا حزن عليهم أبناؤهم حزنا شديدا فتمثل لهم إبليس وصور لهم صورهم من المرمر ؛ وجعلها فى بيوتهم ليتذكروا[2] بها ويتأنسوا ويخف حزنهم عليهم ؛ فلما

---

١) لعل الصواب انوش ٢) ليتذكرون

ملكوا ونشأ غيرهم صور عندهم إبليس أنها آلهة ؛ وأن آباءهم كان يعبدونها واستهواهم فعبدوها ؛ وكان عمر شيث سبعمائة سنة وإثنا [١] عشرة سنة ؛ وولد له وهو ابن مائة وخمسين سنة

وأوصى الى ابنه قينان وقد كان علمه الصحف وبين له قسمة الارض ، وما يكون فيها ؛ وأمره باقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والحج ، وبجهاد ولد قابيل ففعل ماأمره به أبوه ؛ ومات قينان وله سبعمائة سنة وعشرون سنة

وأوصى الى ابنه مهلايل ووصاه بما أوصاه به ؛ وكان عمر مهلايل ثمانمائة سنة وخمسة وسبعين سنة

وأوصى إلى ابنه بوارد وعلمه الصحف وعلمه قسمة الارض ؛ وما يحدث فى العالم ودفع إليه كتاب سر الملكوت الذى علمه مهلاييل [٢] الملك لآدم عليهما السلام وكانوا يتوارثونه مختوما لاينظرون فيه

وولد لبوادر وهو ابن مائة سنة ابنه خنوخ ؛ ويقول بعض أهل التاريخ إنه تم للعالم فى وقته ألفان وستمائة سنة واربع سنين .

وخنوخ هوادريس النبيعليه السلام ونبأه الله تعالى وسمىإدريس لكثرةدرسه لكتاب الله عز وجل ؛ وسنن الدين وأنزل الله سبحانه وتعالى عليه ثلاثين صحيفة فكملت الصحف المنزلة يومئذ ثلاثين صحيفة ؛ وعهد بوارد إلى خنوخ ورفع إليه وصية أبيه وعلمه العلوم التى كانت عنده ودفع اليه مصحف السر فلم يدفعه بعد شيث غير ادريس عليهما السلام

وفى بعض الاخبار أنه أول من كتب [من ولد] آدم عليه السلام

وقال آخرون إنه لم يخل قط جيل ولا أمة من الكتابة لأن إدريس بدت فيه النبوة وعلم عدة خطوط وأمربجمع المصاحف وتركها فى الهيكل وأمر بنى آدم

١) ب وأثنى ٢) فى ب وابيل

وغيرهم بدرسها ؛ وفى بعض الاخبار انهم كانوا يلبسون القمص من فاخر الحرير والخز وغيرها من الملونات والمنسوجات بالذهب والمنظومات بالجوهر ويلبسون التيجان

وقد كانت حواء أمرت بالنسج والمغزل ؛ فغزلت القطن والكتان والوبر ونسجت وكست أولادها ؛ وقد لبس آدم عليه السلام من غزل حواء

ويقال إنه لما ولد ادريس عليه السلام ضعف أمر عبادة الأصنام من أولاد قابيل ؛ وسقط عظيم من أصنامهم الذين كانوا يعبدونه ويعتكفون عليه ويذبحون وكان ملكهم يومئذ يحويل ؛ فاجتمعوا اليه ليتداولون فيما ظهر لهم ؛ فجاءهم ابليس فى صورة شيخ قد كثر شيبه ؛ وكان الشيب عندهم عجيباً لأنهم لم يكونوا رأوه ؛ إذ لم يكن قبل ذلك شيب ولا ظهر لهم إلا بعد نوح عليه السلام بعد الطوفان

وقيل أول من شاب ابراهيم عليه السلام ؛ فقال يارب ماهذا ؟ قال وقار ؛ قال اللهم زدنى وقاراً

ويقال إنه أتاهم ابليس فى صورة روحانى له جناحان ؛ فقال لملكهم يحويل إنه قد ولد الآن لمهلاييل ولد يكون عدواً للآلهة وعدواً للملك ؛ وسبب فسادها ولذلك أصابكم ما أنتم به مشغولون . فقال يحويل فهل تقدر على هلاكه ؟ قال سأحرص على ذلك فوكل الله بادريس ملائكة يحفظونه ؛ فاذا أتاهم ابليس ومن معه من جنوده منعوهم منه .

وظهر فى وقته كوكب من كواكب الذوائب أقام ظاهرا نيفا وثلاثين يوما فجعله أبوه سالما الهيكل ؛ وعلمه الصحف ؛ وكان حريصا على دراستها وعلى الصوم والصلاة حتى شب فنبأه الله عزوجل على رأس أربعين سنة ؛ فأتاه ورايبل الملك يعلمه علم الفلك والكواكب وسعودها ونحوسها وصور الدرج والبروج

وقيل إنه أول من نظر في النجوم بعد آدم عليه السلام

وفى التوراة أن ادريس عليه السلام احسن خدمة الله فرفعه الله تعالى اليه

ولما راى ادريس بنى قابيل فى المعاصى وعبادة الاصنام سأل الله ان يرفعه اليه ؛ وان يطهره من خطاياه فأجابه الى ذلك ؛ وأوحى الله اليه ان يلازم الهيكل هو وشيعته اربعين يوما واوصى ادريس الى ابنه متوشلخ لأن الله اوحى اليه ان اجعل الوصية فى ابنك متوشلخ فانى سأخرج من ظهره نبيا يرتضى فعله

فقيل انه رفع إلى السماء السابعة ، وقيل إنه كانت له قصة مع ملك الموت ؛ وقد سأل الله ان يذيقه طعم الموت ؛ ثم سأل الله أن يريه رضوانا ويدخله الجنة ففعل ولم يخرج من الجنة ورفعه الله وهو ابن مائة وخمسين سنة

وأما متوشلخ فأقام مع اخونه وبنى أخيه ، أمام الهيكل يعبدون الله تعالى والنقباء السبعون معهم

ولما رفع الله تعالى ادريس عليه السلام كثر الاختلاف بعده والتنازع وأشاع عليه ابليس أنه هلك ، وأنه كان كاهنا أراد الصعود الى الفلك فأحرق ؛ وحزن عليه ولد آدم المتمسكون بدينه حزنا شديدا ؛ وأظهر ان صنمهم الأكبر أهلكه فزاد فى عبادة الاصنام وتحليتها والذبائح لها ؛ وعملوا عيداً لم يبق أحد إلا حضره وكانت لهم يومئذ سبعة أصنام يغوث ويعوق ونسر[1] وود وسواع ومزية وضمر ؛ وسنذكرها عند ذكر المتعبدات .

وانقطع الوحى بعد ادريس عليه السلام ؛ ومات أولئك النقباء ؛ فكلما مات واحد منهم صور بنوه وأهله صورته فى بيت لهم ليذكروه ويستغفروا له ؛ وكان متوشلخ أراد فساد تلك الصور فامتنعوا عليه ؛ فلما حضرته الوفاة أوصى الى ابنه

---

١) فى ب ونسراً ووداً وسواعاً

لمك ومعنى لمك الجامع ؛ وعهد اليه أبوه ودفع اليه الصحف والكتب المختومة التى كانت لادريس عليه السلام ؛ وكان عمر متوشلخ تسعمائة سنة

وانتقلت الوصية الى لمك وهو ابو نوح عليهما السلام ، وقدكان رأى أن ناراً أخرجت من فيه ، فأحرقت العالم ورأى وقتا آخر كأنه على شجرة فى وسط بحر لا غير

ولما ولد له نوح عليه السلام ذكر العلماء والكهان ذلك ليمحويل الملك وعرفوه أن العالم يهلك فى زمانه وأنه يكون طويل العمر

وقد كانوا رأوا أنه طوفان يغرق الأرض ، فأمر يمحويل أن يبنيا له المعاقل على رءوس الجبال ؛ بنيانا عاليا ليتحصنوا بها ، فعملوا منها سبعة معاقل بعدة الاصنام التى كانت لهم وعلى أسمائها ؛ وزبروا عليها شيئا من علومهم ويقال إن الملك عملها لنفسه خاصة

وكبر نوح عليه السلام فنبأه الله عز وجل وهو ابن خمسين سنة وارسله الى قومه ؛ وكان من نعته أنه آدم رقيق البشرة فى رأسه طول عظيم العينين رقيق الساعدين والساقين ؛ كثير لحم الفخذين طويل اللحية عريضها ، طويل جسيم وكان حياً بعد ادريس عليهما السلام ؛ وهو من أهل العزم من الرسل

وفى بعض الاخبار أن عمره ألف ومائتين وخمسين سنة ؛ وأنه لبث فى قومه يدعوهم الى الايمان ألف سنة إلا خمسين عاما كما قال الله تعالى ؛ وقال من ينكر طول الأعمار على مذهب الفلاسفة إن حياته لبنيه ؛ وكانت شريعته التوحيد والصلاة والصيام والحج ومجاهدة اعداء الله من ولد قابيل ؛ وأمر بالحلال ونهى عن الحرام ؛ ولم يكن فرضت عليه احكام ولا مواريث ولا حدود ، وأمر أن يدعو الناس الى الله تعالى ؛ ويحذرهم عذابه ؛ ويذكرهم آلاءه .

وعلى رأس مائتى [1] سنة من عمره هلك يمحويل ملك الكفرة وملك

١) فى ب مائتين

بعده ابنه الدرمشيل ، فشدد فى عبادة الأصنام ، وأعلى أمرها ، وجمع الناس إليها ، وأخذهم بالتعبد لها ، فأظهر نوح عليه السلام دين الله عز وجل ، وكان يدور [فى] محالهم وأسواقهم وهيا كلهم يدعوهم الى الله تعالى وكانوا [1] يطوون ذلك عن مليكهم ، ويزجرون مع ذلك نوحا ويهددونه ، ويهولون عليه. إلى أن جلت قصته ، وعظم أمره ، وتحاماه الناس ، وتخاطبوا فى أمره ، إلى أن اتصل ذلك بمليكهم [2] فأحضره وانتهره ، وتقدم اليه أن لا يعاود .

ويقال إن الذى فعل هذا يمحويل ، وإنه حبسه ، وبعد ثلاث سنين من حبسه هلك يمحويل

وولى الدرمشيل ، فأخرجه من الحبس ، وتقدم اليه أن ينتهى عن إفساد الدين وسب الآلهة ، فكان لكل صنم من أصنامهم الكبار عيد فى وقت من أوقات السنة يحضرون وينحرون له ويطوفون به ، فحضر عيد يغوث ، فاجتمع الناس اليه من كل مكان ، فأتاهم نوح عليه السلام ، فقام فى وسطهم وناداهم أن قولوا لا إله إلا الله ، فوضعوا أصابعهم فى آذانهم ، وأدخلوا رءوسهم تحت ثيابهم وسقطت الأصنام عند ندائه عن كراسيها ، فوثبوا عليه فضربوه وشجوه ، حتى سقط على وجهه وسحبوه الى قصر الملك حتى أدخلوه عليه ، وكان فى مجلس مزخرف بأنواع الألوان ، وبدائع التصاوير والأصباغ ، مفروش برفيع الحرير ، على سرير مصفح بالذهب ، منظوم بالجوهر

فلما مثل بين يديه قال له : ألم أعهد إليك وأنهك عن التعرض لشىء من أمور الآلهة ، و [أن] تدعوهم الى مالا يعرفونه ، وزاد أمرك حتى سجدت الآلهة .وألقيتها عن كراسيها ، ومواضع شرفها وعزها ؟ من علمك ذلك ؟ ومن أين وصل إليك ؟

---

١) فى ب وكان ٢) فى ب لمليكهم .

فقال له نوح عليه السلام وهو مخضوب بدمائه : لو كانت آلهة لما سقطت ، فاتق الله يادرمشيل ، ولا تشرك بالله فانه يراك ! فقال له الملك : فكيف قدرت أن تخاطبنى بهذا الخطاب ! فأمر بحبسه الى أن يحضر عيد الصنم الآخر ، فيذبحه له تقربا به اليه، وأمر برد الأصنام على كراسيها .

وأن الدرمشيل رأى رؤيا هالته فى أمر نوح عليه السلام ، فأمر باخراجه وتخلية سبيله ، وأخبرهم أنه مجنون لا حرج عليه

وكان فى زمانه سويدين الكاهن فعرفهم بأمر الطوفان ، وقرب زمانه ، وكان يأمر بقتل نوح عليه السلام والله يعصمه منهم .

فولد لنوح بعد خمسمائة سنة من عمره سام وبعده حام وبعده يام وبعده يافث ، وطال أمر نوح معهم فلم يؤمن به إلا نفر يسير من العالم ، وقيل له أنؤمن بك ، واتبعك الأرذلون[1] .

وقيل كانوا من أهل صنعته ، وكان صلى الله عليه وسلم نجارا ، ومضت لهم ثلاثة قرون ، قرن بعد قرن ، ونوح عليه السلام يذكرهم ويدعوهم إلى الله تعالى فلا يزدادون إلا طغيانا وعتوا وتجبرا واستكبارا ، وقتل من كان اتبعه فكان يدعوهم الى الله سبحانه فأوحى الله اليه (إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) فحينئذ يئس منهم ودعا عليهم ، فقال (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا)

وأمر نوح عليه السلام بعمل السفينة وقد قطع الله عن قومه النسل ، وكثر عليهم القحط ، وقلت عمارتهم وكانوا يستعينون على عبادتهم بأصنامهم ولا تنفعهم

وابتدأ نوح بعمل السفينة ، أقام فى قطع خشبها من الساج وفى عملها ثلاث سنين ، ثم صنع المسامير وأعد كل ما يحتاج اليه ونصبها فى رجب ، وأمر أن يجعل

---

١) فى الأصل الأذلون وقد رسمناها كما وردت فى القرآن الكريم

طولها ثلاثمائة ذراع ، وعرضها خمسين ذراعا ، وعمقها سبعين ذراعا

ويقال إنه لم يدر كيف يعملها فأتاه جبريل عليه السلام ، وأمره أن يعملها على صورة الدجاجة وكانوا يهزءون منه وهو يصنعها فيضحكون منه ، ويرمونه بالحجارة وجعل بابها فى جنبها ، فأقامت بعد أن فرغ منها فى البر سبعة أشهر الى أن أخذ من أصحاب نوح الذين كانوا معه ثلاثة رجال فذبحوا الأصنام تقربا ليندفع عنهم القحط فيما زعموا ، فحق عليهم العذاب . وأمر نوح عليه السلام أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين من جميع الحيوان ، وكانت الطبقة السفلى للدواب والأنعام والوحوش ، والثانية للطعام والشراب ، والثالثة لهم

وكانوا ثمانين نفسا نوح وبنوه عليه السلام سام وحام ويافث ، وأهله وناسه ، وحملت الملائكة تابوت آدم عليه السلام من خشب فيه جسده ، وكان معهم فى السفينة ، وكان التابوت بتهامة ، وكان معه فى السفينة[1]

وركب معه المؤمنون من والد أبيه وجده إدريس عليه السلام ، فلما نزلوا من السفينة بنوا قرية وسموها سوق ثمانين ، فهى اليوم تعرف بذلك هناك

ويقال أنه لما اتصل الخبر بدرمشيل ، أن نوحا قد ركب السفينة وحمل زاده قال وأين الماء الذى يحملهم ؟ فركب فى عدة من أصحابه وسار إلى السفينة ، وقد أجمع[2] على إحراقها ، فنادى نوحا عليه السلام فاستجاب له ، فقال وأين الماء الذى يحمل سفينتك ؟ قال هو يأتيك فى مقامك هذا ، فقال وهذا أعجب ، إنك تقول إنه يكون فى أرض يبس ماء غمر يحمل مثل هذه السفينة ، انزل منها أنت ومن معك وإلا أحرقتكم أجمعين ، فقال له نوح عليه السلام ما أكثر اغترارك بالله عزوجل ، فعجل الايمان ، واخلع أنداد الله تعالى تسلم وترشد ، وإلا فالعذاب بين يديك .

---

١) هكذا وقع التكرار بالمعنى فى الأصول ٢) فى ب جمع والأصح ماذكرناه

فهو فى محاورته إذ أتاه من أخبره أن امرأة كانت تخبز فى تنور لها ؛ فنبع الماء منه ؛ فقال وما عسى أن يكون من ماء نبع من تنور

فقال له نوح عليه السلام ويحك إنه علامة السخط ؛ وكذلك أوحى إلى ربى ؛ وآية ذلك أن الارض تتخلخل من جميعها فأزل فرسك من موضعه ؛ فان الماء ينبع من تحت قوائمه ؛ فأزال الملك فرسه من موضعه ؛ فاذا الماء ينبع من تحت قوائمه ؛ فسار إلى موضع آخر فكان كذلك ؛ وعادت رسله تخبره أن الماء كثر وفار ؛ فرجع الى داره ليأخذ أهله وولده ويمضى الى المعاقل التى كان عملها لنفسه

وقيل إن علم الطوفان كان عندهم إلا أنه لم يأت وقته . لما أراد الله تعالى وكان قد جعل فى تلك المعاقل طعاما ؛ فاراد الصعود الى الجبال ؛ فاذا الصخور تنحط على رءوسهم من أعلى الجبل ، وانفتحت أبواب السماء بما لا يعلم قدره إلا الله تعالى من الماء ؛ فساروا لا يدرون أين يتوجهون ويقال انه كان الماء حاراً منتنا

ويقال إن يام بن نوح ممن سار الى السفينة مع الدرمشيل ؛ فناداه أبوه (يابنى اركب معنا ، ولا تكن مع الكافرين ؛ قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء مع الملك وأصحابه (قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) وقد كان رأى التنور يفور .

وقيل إن السفينة أقامت فى الماء خمسين ومائة يوم ؛ وقال قوم من أهل الاثر إنها أقامت أحد عشر شهرا ؛ وقال آخرون كان الطوفان فى رجب ووقفت على الجودى فى المحرم

وفى التوراة أن الله تعالى آلى على نفسه أن لا يعذب أمة بعدها بالغرق ؛ وكان بين مهبط آدم عليه السلام وبين الطوفان وفور الماء أربعون يوما ؛ فأمر نوح أن تفتح أبواب السفينة ؛ ثم أرسل الغراب لينظر له فمضى ولم يعد اليه ؛ فدعا

عليه أن يكون مباعدا ، وأن يكون رزقه فى الخوف . ثم أرسل الحمامة فرجعت وقد انصبغت رجلاها بالطين ، فدعا لها أن تكون إلفا لبنى آدم ومنقارها ورجلاها مصبوغة من يومئذ ، ولم تكن كذلك قبل، ثم أرسلها بعد أيام فرجعت وفى مناقرها ورقة خضراء من الزيتون ، وقيل كانت من عشب الارض .

وفى التوراة أن الارض جفت فى سبعة وعشرين من الشهر الحادى عشر ، ولما تغيب الماء ووقفت السفينة على الجودى أوحى الله تعالى إلى نوح عليه السلام أن يخرج من السفينة هو ومن معه ، فأخرج البهائم والهوام .

وقالوا هم الاسد أن يعبث فى السفينة نصاح به نوح عليه السلام ، فألقى الله الحمى فى جسده ، وأن النجو آذاهم فاطم الفيل فعطس خنزيرا ، فالتقط ذلك النجو [فهو] يعيش منه ، وأن الفأر آذاهم فلطم الأسد فعطس هراً

ونزل نوح عليه السلام من السفينة وبنوه سام وحام ويافث ويحطون ، وهو الذى ولد له فى السفينة ، ولما خرجوا ليستقروا على الأرض بنوا قرية سموها سوق ثمانين فسكنوها ، فقال لهم الله أكثروا واملأوا الأرض واعمروها فقد باركت فيكم ، ورفعت اللعنة عن الأرض ، وآذنت بركاتها وأخرج ثمرها وكلوا مما رزقناكم حلالا طيبا ، واجتنبوا الأوثان والميتة والدم ولحم الخنزير وما ذبح لغير الله ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق

ووجه نوح التابوت الذى فيه جسد آدم عليهما السلام إلى غار الكنز بمكة فدفن فيه

ولما كثر ولد نوح عليه السلام قسم الأرض بينهم ، فدب إبليس اليهم ليرمى بينهم العداوة والبغضاء ، فقال لبنى حام ويافث إن اباكم أعطى ساما وولده خير الأرض ومنعكم منها وأعلاهم عليكم ، ولم يزل بذلك فيهم حتى قتل بعضهم بعضا

فالآن نبدأ بذكر بنى نوح عليه السلام وأنسابهم وتفرقهم فى البلدان ،

وما ولد كل واحد منهم من الأمم . فنبدأ بذكر حام ، وبعده بذكر يافث ، وبعده بذكر يحطون ، وبعده بذكر سام ، متصلا بالعرب والأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين

حام بن نوح عليه السلام

يقول أهل الأثر إن نوحا عليه السلام دعا عليه بتشويه الوجه وسواده ، وأن يكون ولده عبيداً لولد سام

فولد له بعد كنعان كوش ، فكان أسود ، فهم أن يقتل امرأته فمنعه سام ، وذكره دعاء أبيه عليه فغضب ، ونزغ الشيطان بين الاخوة وحمل بعضهم على بعض ، وكان آخر أمر حام أن هرب إلى مصر ، وتفرق بنوه ، ومضى على وجهه يؤم المغرب حتى انتهى إلى السوس الأقصى ، الى موضع يعرف اليوم بأصيلا ، وهو آخر مرسى تبلغه مراكب البحر من نحو الأندلس إلى ناحية القبلة ، وليس بعده للمراكب مذهب

فيقال ان بنيه اغتموا لمكانه ، وندموا على تركه ، فخرجوا على أثره يطلبونه فى النواحى التى قصدها ، فيقال ان منهم طوائف وقعت عليه ، فكانوا معه إلى ان مات وقطنوا ذلك البلد ، وسكنوا به . وهم أصناف السودان ، فكل طائفة من ولده بلغت موضعا فى طلبه فانقطع خبره عنهم أقاموا بذلك الموضع وتناسلوا فيه ، ولم يصل اليه إلا بنوه فقط

ولما مات حام خرج بعضهم من ذلك الموضع فأقاموا بمكان البربر ، وكان عمر حام أربعمائة سنة واحدى واربعين سنة

ولما مات دفنه [1] بنوه فى صخرة منقوبة فى جبل أصيلا

---

١) فى ب دفنوه وهى جائزة عربية على لغة ضعيفة

ذكر كنعان بن حام

هو أكبر ولد حام وهو أول من غير دين نوح عليه السلام ، وألقى العداوة بينه وبين بنى جده من الجبابرة والكنعانيين الذين كانوا بالشام ؛ ويقال فراعنة مصر منهم ؛ وجالوت منهم الذى قتله داود عليه السلام فهؤلاء العمالقة لأن العمالقة هم من ولد حام ومن هؤلاء الكنعانيون الذين قاتلهم موسى عليه السلام؛ ويوشع ابن النون[1] من بعده ؛ وهم الذين عنى الله عز وجل بقوله (إن فيها قوما جبارين) وكانت خلقهم عظيمة

وفيما يقال ان كنعان الأصغر رتبهم فى ناحية الشام والجزيرة ومن ولده فوسطن وصبرا ونهما وسمساوس ؛ ومن ولده نبيط ، والنبيط هو السواد وقيل سموا بذلك لأنهم استنبطوا الأرض وعمروها وكانوا أصحاب عمارة وتدبير

ومن ولد سودان بن كنعان أمم منهم الاشبان والزنج وأجناس كثيرة تناسلت بالمغرب نحو سبعين جنسا ، وهم مختلفون فى افعالهم ، ولهم ملوك .

ومنهم اجناس يلبسون الجلود وهم عراة ، ومنهم من يتزر بالحشيش ؛ ومنهم قوم يعملون لرؤوسهم قرونا من عظام الدواب ؛ وعندهم فأر أبيض يأكلونه ويسمونه منّ السماء

ويتزوج الواحد منهم عشر نسوة يبيت كل ليلة عند اثنين منهم ، فإن جامعهن على ما تحب وإلا طلقهن الملك بعد ثالثة

وربما أجدبوا ؛ فاذا ارادوا أن يستسقوا جمعوا عظاما فكوموها كالتل ، ثم أضرموها بالنار ، وداروا حولها ورفعوا ايديهم إلى السماء ، وتكلموا بكلام فينزل المطر ويسقوا

---

١) المعروف فى كتب التاريخ أنه يوشع بن نون

فاذا اعرس احدهم لطخوا وجهه بشيء يشبه الحبر ، ثم اجلسوه على تل ، وجلسوا على تل ، واجلسوا المرأة بين يديه وجعلوا قصبا مثل القبة ، وستروها بشيء من الحشيش ، واقاموا حولها ثلاثة ايام يشربون نبيذ الذرة ، ويلعبون ثم ينصرفون ويأخذ الزوج امرأته ويسير بها الى موضع سكناه

ويلبسون حلق النحاس فى ايديهم وآذان نسائهم ، ويحمل اليهم الكرداونية التى تصبغ بالحمرة يلبسونها ولا يلبسها منهم إلا الملك

ولهم شجرة عظيمة يعملون لها عيدا فى كل سنة يجتمعون عندها ، ويلعبون حولها حتى يسقط عليهم ورقها فيتبركون به ويزينون المرأة بحلق النحاس والودع فى شعرها

ومن ولد سودان الكركر وبهم سميت المملكة ، التي هى اعظم ممالك السودان واجلها قدرا ، وكل ملك لهم يعطى ملك الكركر حق الطاعة ، وتنسب الى الكركر ممالك كثيرة

ومملكة عانة وملكها ايضا عظيم الشأن ، ويتصل ببلاد معادن الذهب وبها منهم امم عظيمة ، ولهم خط لا يجاوزه من صدر اليهم فاذا وصلوا الى ذلك الخط جعلوا الأمتعة والأكسية عليه وانصرفوا ، فيأتون اولئك السودان ، ومعهم الذهب فيتركونه عند الأمتعة وينصرفون، ويأتى اصحاب الأمتعة فأن ارضاهم وإلا عادوا ورجعوا فيعود السودان ، فيزيدونهم حتى تتم المبايعة كما يفعل التجار الذين يبتاعون القرنفل من أهله سواء [بسواء] ، وربما رجع التجار بمدزوالهم[1] مختفين فوضعوا النيران فى الأرض ، فيسيل الذهب فتسرقه التجار . ثم يهربون لأن الارض كلها ذهب عندهم ومعدن ظاهر ، وربما فطنوا لهم فيخرجون فى آثارهم ، فان أدركوهم قتلوهم .

---

١) فى هامش ب رواحهم وفوقها اشارة إلى انها نسخة أخرى

وفى صحاريهم معادن الأشبار سسم ويكبر حتى يظهر مثل الحصى الظاهر فى الرمل وكل مايحصل للتجار من الذهب يضربونه بمدينة سجلماسه ، وهى مدينة كبيرة فيها أربعة[١] جوامع وشارع يسار منه نصف يوم ، وفيها نخيل كثير وفيها يضربون الدنانير

وتحت يد ملك غانة عدة ملوك وممالك كلها فيها الذهب ظاهر على الارض يستخرجه أهله ، ويعملونه مثل اللبن .

ومن الأجناس المشهورة[٢] منهم ملك الدهدم يسار اليها من كركر على شاطىء البحر مغربا من هؤلاء ويحارب بعضهم بعضا ، ويأكلون الناس ، ولهم ملك كبير تحت يده ملوك ، وفى بلده قلعة عظيمة فى صورة امراة يتأهبون لها ويحجون اليها .

ومملكة الزغاوة واسعة كبيرة، منها على النيل مما يحاذى النوبة ، ويحاربون النوبة

ومملكة توان وهى كبيرة ؛ ويسار فيها يوما واحدا[٣] فيوجد فيها مومياء[٤] فى أبيار غير أنها تتحرك مثل الزئبق ؛ وهذه الآبار[٥] فى بقعة واحدة مقدارها نصف ميل بنوا عليها حصنا وهم يستعملون المومياء

ويقال البقعة بغفرا من الصحراء . ومماالك النوبة وهم من ولد نوبا بن قوط ابن مصر بن حام لأنهم لما صار جدهم الى مصر مع مصر مات مصر وبقى بنوه فتولى امره بعده قبطم وثبت القبط بمصر ، وهو من أولاد قبطم بن مصر . ووجه قبطم اخوته يسعون فى البلاد لطلب ممالك وعيش ، فخرج نوب بن قوط بأهله وولده وسار على عبر النيل فملكوا هنالك

---

١) فى ب أربع جوامع ٢) فى ب المشهور ٣) فى ب يوم واحد

٤) فى ب موميا ٥) ب البيار

ويقال لمدينتهم العظمى دنقلة ؛ وبلادهم بلاد نخل وزرع ومقدار اتساعها شهران ؛ وهم نصارى على دين اليعقوبية .

ويكون هؤلاء مملكة النوبة من ناحية الصعيد ؛ وهم أوسع ملكا وأعظم خطرا وأصفى لونا ؛ ومسيرة ملكهم ثلاثة أشهر ومدينتهم العظمى يقال لها دخلولة وهم أيضا نصارى وملكهم جليل ؛ ولهم لباس وأساورة والذهب ايضا عندهم يظهر على الارض ، ولهم أيضا نخل وكرم وهم أجناس كثيرة ولهم ملوك وبلدهم واسع .

مملكة البجة وهى تلى النوبة وهى أيضا ممالك عديدة ؛ وهم بين النيل والبحر وفى كل مملكة ملك فأول ممالك البجة من حد السودان وهى آخر عمل المسلمين ؛ والمسلمون يعملون عندهم فى المعادن ؛ ووراء ذلك ممالك ومدن

وتتصل بهم الحبشة وهم من ولد حبش بن كوش بن حام ؛ وأكبر ممالكهم مملكة النجاشى وهو على دين النصرانية واسم مدينتهم الكبرى كفر ولم تزل العرب على قديم الايام تأتى هذه المملكة للتجارات

وتتصل بمملكة الحبشة مملكة الزنج ؛ وهم على البحر المالح ؛ ولهم ممالك واسعة ؛ وهم من ولد سودان بن كنعان ؛ ولهم أيضا ملوك عدة وممالك واسم ملكهم الأكبر كوخه يكون بموضع يقال له نكد ؛ وهو على البحر ، يحدون أسنانهم حتى ترق ؛ وهم كبار الأفواه نظاف الثغور على كثرة اكلهم السمك

ولهم افيلة يبيعون انيابها من تجار البلدان التى تقرب منهم ولهم الجزائر التى يخرج منها الودع ويتحلون به ؛ ويبيعونه . وهم أجناس كثيرة ولهم ممالك

وأما الكوكة فهم أمة لهم اربعة أملاك ملكوا الى أيلة الحجاز وبنى كل واحد منهم مدينة سماها بأسمه ؛ وجعلوا سائر الارض خيما ؛ وقسموها على ثلاثين كورة مقسومة على اربعة أعمال لكل عمل ثمانون كورة ، ولكل عمل ملك يجلس

فى مدينته على منبر من ذهب ، وفى كل عمل بربا وهو بيت الحكمة ؛ وهيكل لأحد الكواكب وفيه أصنام ذهب مرتبة له

وكانت الاسكندرية لهم واسمها راقودة وجعلوا لها خمس عشرة كورة [1] وجعلوا فيها كبار الكهنة ونصبوا فى هيا كلها من أصناف الذهب أكثر مما فى غيرها ، وكان بها مائة صنم من ذهب ، وقسموا الصعيد ثمانين [2] كورة على أربعة أقسام

وكان عدد [مدن] مصر الداخلة فى كورها ثلاثين مدينة فيها جميع العجائب والكور مثل اخميم وقفط وقوص والفيوم

[ذكر يافث بن نوح

وأما ولد يافث بن نوح فقال اصحاب التاريخ ان جميع اللغات اثنان وسبعون لغة منها سبع وثلاثون فى ولد يافث ؛ وثلاث وعشرون فى ولد حام ، واثنتا عشرة فى ولد سام ، فذكروا ان ولد يافث من ظهره سبعة وثلاثون لكل واحد منهم لغة يتكلم بها هو ونسله

وكان فى قسم ولد يافث أرمينية وما جاوزها إلى الابواء فمنهم الأشبان والروس والبرجان والخزر والترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج وفارس ومزنان واصحاب جزائر البحر والصين والبلغار وأمم لا تحصى

[ذكر يأجوج ومأجوج]

فأما يأجوج ومأجوج فانه لا يقدر على استقصاء ذكرهم لكثرة عددهم وقد زعم أن مقدار ربع الأرض مسيرة مائة وعشرين سنة

---

١) فى ب خمسة عشر ٢) فى ب ثمانون

فذكروا أن تسعين منها ليأجوج ومأجوج واثنى عشر للسودان ، وثمانية للروم ، وثلاثة للعرب ، وسبعة لبقية الامم

وسمى أصحاب التاريخ يأجوج ومأجوج أربعين أمة مختلفى الخلق والقدود ، فى كل أمة منها ملك ولهم زى ولغة ، فنهم من طوله الشبر والشبران وأطول من ذلك ، ومنهم المشوهون ، ومن يفترش إحدى أذنيه ويتغطى بالأخرى ، ومن له ذنب وقرن وأنياب بارزة ، ومنهم من مشيه وثب ويأكلون الحيتان والناس والخشاش والطير كله والرخم والحدأة ، وبعضهم يغير على بعض

ومنهم من لا يتكلم إلا همهمة وفيهم شدة وبأس ، وأكثر طعامهم الصيد، وكانوا يغيرون على الأمم التى تليهم ويخربون بلدانهم ، حتى عمل ذو القرنين السد وهم يستفتحونه آخر الزمان كما قال الله عز وجل

وربما أكل بعضهم بعضا ، والزلازل عندهم كثيرة ، وذكر أن عندهم أمم تعرف المناسك

وسئل النبى صلى الله عليه وسلم عن يأجوج ومأجوج هل بلغتهم دعوتك ؟ فقال « جزت ليلة أسرى بى عليهم فدعوتهم فلم يستجيبوا »

ذكر الصقالبة

وأما الصقالبة فهم عدة أمم فنهم النصارى ، و [من] يقولون بالمجوسية ويعبدون الشمس ، ولهم بحر حلو يجرى من ناحية الشمال إلى الجنوب ، ولهم أيضا بحر يجرى من المشرق إلى المغرب حتى يتصل ببحر آخر يجىء من ناحية البلغر ، ولهم أنهار كثيرة ، وهم كلهم فى ناحية الشمال ، وليس لهم بحر مالح لأن بلدهم بعيد عن الشمس ، فماؤهم حلو ، وما قرب من الشمس مالح ، وما جاوزهم من الشمال لا يسكن لبرده وكثرة زلازله ، وأكثر قبائلهم مجوس

يحرقون أنفسهم بالنار ويتعبدون لها

ولهم مدن كثيرة وبلاد ؛ ولهم كنائس فيها أجراس معلقة يضربونها كالنواقيس

ومنهم أمة بين الصقالبة والافرنج على دين الصابئين ؛ يقولون بعبادة الكواكب ؛ ولهم عقول وصناعات لطيفة من كل فن ؛ وهم يحاربون الصقالبة وبرجان والترك

ولهم سبعة[1] أعياد فى السنة بأسماء الكواكب ؛ وأجلها عندهم عيد الشمس

ذكر اليونانيين

وأما اليونانيون نهم الروم الأولى من ولد يونان بن يافث بن نوح وهم حكماء الامم ؛ ولهم النجامة ؛ والحساب ؛ والهندسة ؛ والطب ؛ وصناعات المنطق ؛ والصناعات اللطيفة ؛ وكل حكم مذكور

وكانت الأندلس والأسكندرية ومن جاورهم من الامم يدينون بطاعتهم إلى أن غلب عليهم رومى بن ديقطون من ولد عيصو بن إسحاق بن ابراهيم عليهما السلام ؛ لأن عيصو لما فارق أخاه يعقوب سار إلى العدوة القريبة وهى مساكن الروم اليوم فغلب عليها ، وهم الذين بنوا رومية وإليهم تنسب وهم بنو الأصفر

وكان آخر ملوك اليونانين ايلاوبطره[2] بنت بطليموس صاحب كتاب الحكمة والطلسمات ؛ ثم رجع الملك إلى الروم وقد كان ملك قبلهما منهم كثير

ومنهم الحكماء الذين تكلموا فى علم الفلك والهندسة والطب والحساب والموسيقا والمرائى العجيبة والطلسمات والحيل الروحانية والزيجات[3] وكل حكمة

---

١) فى ب سبع ٢) هى كيلوبطره ٣) فى ب والجزيات

وكان أبقراط منهم وأبقراط الثانى وهرمس وسقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس واقليدس وجالينوس وجماعة يطول الكتاب بذكرهم

ذكر الصين

وقطع قوم من بنى عامر بن يافث الى ناحية الصين وكان زعيمهم قد عمد إلى مراكب على حكاية سفينة جده نوح عليه السلام فركب هو وأهله وولده فيها ، وقطع البحر إلى الصين ، فعمروه وبنوا المدن وعملوا الحكم ودقاق الصناعات ولطيفها ، وأثاروا معادن الذهب فيها ، وملكوا ثلاثمائة سنة

وملك بعده ابنه صانى مائتى سنة ، وبه سمى الصين فجعل جسد أبيه فى تمثال ذهب ، وأقاموا يطوفون به وهو على سرير من ذهب ، فصار ذلك رسم كل ملك يملكهم ، وصوروا صورهم فى هياكلهم ، وهم على دين الصابئين ثم عبدوا الذرة ، بعد ذلك اقتداء بالهند ومن ذلك عبدوا ملوكهم وكانوا يجعلون أجسادهم فى تماثيل ذهب ويسجدون لها

ومنهم حكماء تكلموا فى الفلك والطب والصنعة وكثير من علوم الهند ، وبلد الصين واسع يقال إن فيه ثلثمائة مدينة ونيفاً عامرة سوى القرى والرساتيق وبها عجائب كثيرة ، ومن خرج فى البحر قطع سبعة [1] بحار لكل بحر منها ريح ولون سمك ليس لما يليه

أولها بحر فارس وملكهم اليوم اليعقوفز وهو فى مدينتهم العظمى التى يقال لها انصوا ، وبينها وبين خانقوا التى تتراءى لها مراكب التجار ثلاثون يوماً

ومن سيرتهم أن عمال الملك وأصحاب خراجه وجيوشه خدم، وذلك أن المرأة إذا لم تكن محصنة وأرادت الفجور رفعت أمرها إلى الملك تذكر حالها

(١) فى ب شبع

فيدفع إليها خاتم نحاس من خواتم الملك فجعلته فى عنقها ولبست المصبغات ؛ وعملت ما شاءت علانية ؛ وإذا ولدت الذكور خصوا واستعملهم الملك فى داره وأعماله وان ولدت أنثى كانت على رسم أمها

وأهل الصين بيض الى الصفرة فطس ؛ ومن سنتهم أن أحدهم اذا تظلم إلى الملك من بعض عماله كشف عن أمره ؛ فان كان صادقا أنصفه وعاتب ظالمه ، وإن كان كاذبا ضرب بالخشبة ضربا شديداً لاجترائه على عمال الملك بالكذب

ومن سنتهم أنه إذا أراد خادم من خدم الملك شيئا ضرب جرس كبير يدخل الناس دورهم ؛ ويخلون له الطرقات لئلا يرونه

ومن سنتهم أن تقسم المدينة قسمين فيكون الملك وأهل بيته وعماله وحشمه فى القسم الواحد والعامة والرعية وأسواقهم فى النصف الآخر لا يدخل أحد منهم إلى ناحية الملك

ومن سنتهم أن يورثوا الأنثى أكثر من الذكر ؛ ولهم عندحلول الشمس الحمل عيد كبير يأكلون فيه ويشربون سبعة أيام

وأشرف حليهم من قرون الكركند ، وهو الموشان ، لأنها إذا استوت ظهر فيها صور عجيبة مختلفة فيتخذون منها مناطق تبلغ المنطقة أربعة آلاف مثقال من ذهب

والذهب عندهم كثير حتى يتخذون منه لجم دوابهم وسلاسل كلابهم ، ولهم ثياب الحرير المنسوجة بالذهب

[ذكر الاهترده]

وأما الاهترده فهم من ولد عامر بن يافث نزلوا بين الروم والافرنج ومماسكتهم واسعة ، وملكهم جليل القدر ولهم مدن كثيرة وأكثرهم اليوم

نصارى ، ومنهم من لا دين له وهم يحاربون الافرنج والصقالبة الذين يجاورونهم ويطردونهم ؛ وزيهم زى الروم ، ومنهم صنف يحرقون أنفسهم

[ذكر الأفرنج]

وأما الافرنج فهم أيضا من ولد يافث ومملكتهم واسعة كبيرة ؛ ولهم ممالك يجمعها ملك واحد ومدينتهم الكبرى يقال لها دريوه ؛ وهم أيضا نصارى وهم اليوم أربع عشرة قبيلة ووراءهم أجناس [أخرى] وأكثر اعتدائهم إلى الصقالبة ، ولهم اتساع مملكة ؛ وهم يحاربون الروم والاهتردة ؛ ومنهم متجر وفيهم نصارى ؛ ومجوس وزنادقة ، ومنهم من يحرق نفسه

مملكة الأندلس

الأندلس أربع وعشرون مدينة يتملكهم ملك واحد إلا أن دينهم دين الصائبة ، ولهم فى هياكلهم أصنام للكواكب ثم انصرفوا عن ذلك وتنصروا وكانت لهم معرفة ، وحكم وكان فى دار مملكتهم بيت اذا ولى منهم ملك أقفل على بابه قفلا إلى أن ولى ملكهم لذريق ولم يكن من أهل الملك فطلب أن يفتح اقفال ذلك البيت وكانت عدتها أربعة وعشرين قفلا فاجتمعوا اليه وسألوه أن لا يفعل وبذلوا له على ذلك جميع ما فى أيديهم من الاموال فأبى إلا فتحها فلما رأوا منه الجد تشاءموا به وتركوه ؛ ففتح الاقفال ودخل البيت فوجد فيه صور العرب على الخيل والجمال ؛ وعليهم العمائم الحمر وبأيديهم الرماح الطوال والقسى وكتاب فيه « إذا فتح هذا البيت غلب على هذه البلاد قوم على صور هؤلاء » ففتحت الاندلس فى تلك السنة والتى بعدها تولى فتحها طارق بن زياد مولى موسى بن نصير فى سنة اثنتين وتسعين أيام الوليد بن عبد الملك ،

وقتل ملكهم لذريق وسباهم وغنم ؛ ووجد فى ذلك البيت مائدة سليمان عليه السلام وكانت من ذهب عليها أطواق جوهر مفصلة؛ ووجد المرآة العجيبة الغريبة التى ينظر فيها إلى الاقاليم السبعة وهي مدبرة من أخلاط؛ ووجد فيها آنية سليمان من الذهب والزبور منسوخا بخط يونانى جليل بين ورقات ذهب مفصلا بجوهر ووجد فيه اثنين وعشرين مصحفا محلاة كلها بالذهب منها التوراة ومصحفا آخر محلى بفضة فيه منافع الأشجار والأحجار ، وعمل الطلسمات ، وكان مصحف فيه عمل الصبغة وأصباغ اليواقيت؛ ووجد فيه فقاعة كبيرة من حجر مملوءة اكسير الكيميا مختومة بالذهب ؛ فحمل ذلك كله إلى الوليد بن عبد الملك

لما فتحت الأندلس نزلها المسلمون وتفرقوا فى مدنها ، وتملكوا أكثرها إلى ان صار اليها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك فى سنة ثمان وثلاثين ومائة فغلب عليها وتملكها فذريته إلى اليوم فيها

[ذكر مملكة البرجان]

وأما البرجان فهم من ولد يونان بن يافث وهى مملكة كبيرة واسعة وهم يحاربون الروم والصقالبة والخزر والترك ، وأشد [الامم] حربا لهم الروم

وبين القسطنطينية وبلاد برجان خمسة عشر يوما ، ومملكة برجان مسيرة عشرين يوما فى ثلاثين يوما ، وعلى عمل برجان كله سياج وعليه شبه الشباك من الخشب فهو كالسور على الخندق والقرى دون السياج

وأهل برجان مجوس ؛ وليس لهم كتاب ؛ ودوابهم التى للحرب راتعة أبدا فى مرج لا يركبها أحد منهم إلا فى وقت الحرب ؛ وان وجدوا رجلا قد ركب دابة حربية فى غير وقت قتلوه ؛ وإذا خرجوا للحرب اصطفوا صفوفا فجعلوا اصحاب النشاب أمامهم ، وجعلوا خلفهم جميع العيال والذرية

وليس لبرجان دنانير ولا دراهم وإنما تبايعهم وترويجهم بالبقر والغنم واذا وقع بينهم وبين الروم الصلح أدت برجان الى الروم جوارى وغلمانا من بنى الصقالبة ومن شبههم

واذا مات لأهل برجان ميت عمدوا الى ماترك من خدم وحاشية فجمعوهم وأوصوهم بوصايا واحرقوهم مع الميت ؛ ويقولون نحرقهم نحن فى الدنيا فلا يحرقون فى الآخرة

ولهم ناووس عظيم إذا مات الميت أنزلوه فيه وانزلوا معه امرأته وحشمه فيبقون هناك حتى يموتوا

ومن سنتهم اذا اذنب عبد أواخطأ وأراد مولاه ان يضربه انبطح من قبل نفسه ولم يمسكه احد فيضربه مولاه ما احب ؛ فان قام من غير ان يأذن له مولاه وجب عليه القتل ؛ ومن سنتهم أن يورثوا النساء أكثر من الرجال

[ذكر مملكة الترك]

وأما الترك فهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام ؛ وهم أجناس كثيرة وهم أصحاب مدن وحصون ؛ ومنهم قوم فى رءوس الجبال والبرارى ، فى خيم اللبود ، وليس لهم عمل غير الصيد ؛ ومن لم يصد شيئا ذبح دابته وأخذ دمها وشواه ؛ وهم يأكلون الرخم والغربان وغيرها . وليس لهم دين ؛ ومنهم من هو على دين المجوسية ومنهم من يتهود

وملكهم الأكبر خاقان ؛ وله سرير من ذهب وتاج ذهب ومنطقة ذهب ولباسهم الحرير ، وقيل ان ملكهم الأعظم لايكاد يظهر ؛ وإن ظهر لم يقم بين يديه أحد ؛ وفيهم مكر[1] وفيهم حقد ؛ وشدة وبأس

---

[1] فى ب وفيهم سحر

وللملك عندهم يوم توقد لهم فيه نار عظيمة ويأتى ويقف وهو مطل عليها ؛ ويتكلم بهمهمة فيرتفع منها وهج عظيم ، فان كان الى الخضرة كان الغيث والخصب وإن كان إلى البياض كان الجدب ؛ وإن كان الى الحمرة كانت هراقة الدماء وان كان الى الصفرة كانت علل ووباء ؛ وان كان الى السواد دل على موت الملك أو على سفر بعيد ؛ فان كان ذلك عجل بالسفر والعودة

[ذكر مملكة الروم]

وأما الروم فهم من بنى عيصو والروم لقب لهم فلما صار الأمر الى قسطنطين قال بالنصرانية وجمع الأساقفة على المعمودية [1] ثم تفرقت النصارى بعده على طبقات البطريق والاسقف والقسيس والشماس والمطران والدمستق صاحب الفرق وهم يفطرون يوم الاحد اذا صاموا ؛ ويفطرون السبت من الظهر ؛ ولا يتزوج الرجل عندهم الا واحدة ولا يتسرى عليها ؛ ولا يشرب من الخمر حتى يسكر ، والسكر عندهم حرام ؛ وتعظيم الأحد عندهم ؛ لأن المسيح قام من قبره ليلة يوم الأحد ؛ وارتفع إلى السماء يوم الأحد بعد اجتماعه مع الحواريين

ولا يرون الاغتسال من الجنابة ولا الوضوء وانما عبادتهم بالنية ولا يأخذون القربان ؛ ويقولون هذا لحمك ودمك يعنون المسيح عيسى عليه السلام ، ويعتقدون أنه ليس بلحم ولا خبز وإذا تفرقوا بعد اخذه قتل بعضهم بعضا ، ولا يتكلم إذا أخذ القربان حتى يغسل فمه ؛ ويورثون النساء جزئين والرجال جزءا ، وليس لهم طلاق

ومن سيرتهم أن لا يلبس أحد منهم خفين أحمرين إلا الملك ، فان كان ولى عهد لبس فردا أحمر وفردا أسود ، ولا يأكل ملكهم الا على الموسيقا والألحان

---

١) فى ب المعمورية

والغناء ، وأكثر طعامهم الكردبانات والمرققات والاستبدناجات والسكباجات ولهم الأرغن وفيهم الطب والحكمة وعمل الصناعات والحذق بالصور حتى أنهم ليصورون صورا يظهر عليها الحزن ؛ ويصورون أخرى يظهر عليها الفرح والسرور ، ويسمى ملكهم الملك الرحيم؛ ويظهر العدل والانصاف وهو ينوح

[ذكر مملكة الفرس]

وأما الفرس فهم من ولد يافث بن نوح ، والفرس تدفع ذلك ويزعمون أنهم لايعرفون نوحا ولاالطوفان ولا ولد نوح ويحسبون ملوكهم من كيومرت الأول وهو آدم

وزعموا أن الفرس كلها من ولد افريدون الملك ؛ وزعم قوم أن أول ملك فى العالم بعد الطوفان أوسهبد بن نوح بن عامر[1] بن يافث وأنه ملكهم ألف سنة وطلع إلى الفلك

وبعده منوشهر وهذه الطبقة الاولى إلى أن غلب الاسكندر دارا بن دارا ورتب ملوك الطوائف ؛ ثم هلكت الأكاسرة من آل أردشير بن بابك إلى انقضاء ملكهم وقد نسبهم قوم الى سام ، وبذلك جاءت الآثار

وكان دينهم دين الصابئة ثم تمسوا وبنوا بيوت النيران ، ويقال إنه كان يكسى ملكهم بيوت النيران ويذر فيها كبريتا وزرنيخا فيستوقد من نفسه لايستعملون الحطب لتلك النار الا أوقية أوقية بثلاثين فضة

ويقال إن [من] كان يريد التعبد فى تلك البيوت يقعد على كرسى وبين يديه هاون حجر كبير قد جعل فيه ماء وبيده دستج خشب يضرب به الملك أبدا ويحركه بعنف شديد وقوه واجتهاد كأنه يعذبه لعبادته النار

---

١) هكذا فى الأصل والمعروف أنه ابن لمك

وخرج إلى حران فآمن به ابن أخته لوط وسارة بنت عمه . وكان خروجه وهو ابن سبع وثلاثين سنة وتزوج سارة بوحى أتاه ، وخرج معه ثلاث صحف بالعبرانية وكانت لغته سريانية ؛ وكان فى الصحف أمثال وتسبيح وتهليل وتحميد ؛ وأمر بالمسير فعبر الفرات وسار إلى مصر وسنذكر قصته فى أخبار مصر

[ذكر اسماعيل عليه السلام]

وأما اسماعيل عليه السلام فقطن الحرم ونبع له زمزم بامر الله تعالى ؛ ونبأه الله وأرسله إلى العماليق وجرهم وقبائل اليمن ، فنهاهم عن عبادة الأوثان ، فآمنت به طائفة منهم وكفر اكثرهم ، وغلب على الحرم وتزوج فى خيرهم .

وولد له اثنا عشر ولداً ومات وهو ابن مائة سنة وسبع وستين سنة ، وأوصى إلى ابنه عدنان بأمر البيت ، فدبر امر البيت

فمن عدنان ولد محمد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، وجميع العرب العاربة من ولده

وذكر آخرون أنه من ولد قيدار بن اسماعيل ؛ واختلفوا فى ولد اسماعيل اختلافا كبيرا ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغ بالنسب الى معد ابن عدنان ؛ قال عدنان بن اعراق الثرى. ومن اسماعيل وعدنان أمم كثيرة .

حدث البلبلة

كان الناس بعد الطوفان مجتمعين بمكان واحد بأرض بابل ولغتهم السريانية ثم تفرقوا فسلك قحطان وعاد وثمود وعملاق ؛ وطسم وجديس طريقا ، وألهمهم الله تعالى هذا اللسان العربى فساقتهم الأقدار إلى اليمن فسارت عاد إلى الأحقاف

ونزل ثمود ناحية الحجر ونزل جديس اليمامة ، ثم شخص طسم فنزل اليمامة مع جديس ، ثم شخص عملاق فنزل أرض الحرم ، وسار ضخم أرم فنزل الطائف ؛ وسار جرهم فنزل مكة ؛ فهؤلاء ولدهم ونسلهم يسمون العرب العاربة .

وولد اسماعيل يسمون العرب المستعربة لأنهم تعلموا منهم وتكلموا بلغتهم

[ذكر عاد]

وأرسل الله هودا إلى عاد وهم بأحقاف الرمل وملكهم الخلجان [1] بن الوهم وكانوا يعبدون ثلاثة اصنام وكذبوه ؛ فدعا عليهم فأمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين فأجهدهم ذلك فوجهوا الى مكة رجالا يستسقون لهم فى الحرم

ولم تزل العرب تعظم موضع البيت ، وكان موضعه بعد الطوفان ربوة حمراء وأهله العماليق وسيدهم معاوية بن بكر ، فقدم عليه وفد عاد للاستسقاء وفيهم قيل [2] بن عمرو ويزيد بن ربيعة ، ونعيم بن هذال ، ولقمان بن عاد ؛ فقدموا ونزلوا على معاوية بن بكر وأقاموا عنده شهرا يأكلون ويشربون وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان كانتا لمعاوية بن بكر ؛ فلما طال أمرهم أشفق عليهم معاوية بن بكر لأنهم أخواله وخاف عليهم ؛ فصنع شعرا ينبههم به ويحثهم على ما قدموا له ؛ وأمر الجاريتين فغنتاه [3]

ألا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يمطرنا غماما
فيسقى أرض عاد إن عاداً قد أمسوا لا يبينون الكلاما
وأنتم هاهنا فيما اشتهيتم نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم ولا لقوا التحية والسلاما [4]

---

١) فى ب الخلنجان ٢) فى ب قنبل ٣) فى ب فغنيتاه

٤) الأبيات فى مروج الذهب بأطول من هذا

فانتبه القوم لما سمعوا الشعر ونهضوا يستسقون ، فلما استسقوا نشأت لهم ثلاث سحائب بيضاء وسوداء وحمراء ، ونودى قيل منها اختر لقومك قال البيضاء جهام قد فرغت ماءها ، والحمراء ريح والسوداء غيث فاختارها فقيل قد اخترت رمادا رمددا لا يبقى من عاد أحدا ، لا والدا ولا ولدا . فدخلت الريح على عاد من واديهم ، فأقامت سبع ليال وثمانية أيام حسوما ، والحسوم الدائمة حتى هلكوا عن آخرهم ، وتهدمت ديارهم ولم يمنعهم جدار ولا جبل حتى هلكوا عن آخرهم ، ولم يبق إلا رسمهم

و [روى أنه] لما استسقى وفدهم بمكة ، ساروا فى طريقهم فنودوا فى طريقهم : إن عاداً قد هلكوا عن آخرهم ، فاختاروا لأنفسكم فاختار قيل أن يلحق بقومه ، فسار نحوهم فلقيته الريح فأهلكته ، واختار مزيد براً وصدقا وكان مؤمناً بهود عليه السلام ، فأعطى ما سأل

واختار نعيم حياة ألف سنة لا يمرض ولا يهرم ، ولا تصيبه حاجة فأعطى ما اختار ، واختار لقمان عمر سبعة أنسر فأعطى ما اختار ، وكان يأخذ النسر فرخاً يربيه حتى يهلك ، ثم يأخذ عند هلاك ذلك فرخا آخر ، فيفعل به كذلك ، حتى بلغ سبعة أنسر ، وكان آخرها لبد ، وقد ضربت العرب به الأمثال فى أشعارهم قال الأعشى

ألم تر لقمان أهلكه ما مر من سنة ومن شهر
وبقى نسر كلما انقرضت أيامه عادت إلى نسر
ما مر من أمد على لبد وعلى جميع نسوره السمر
قد ابلت الأيام نضرته وأودعت لقمان فى القبر

وقال النابغة الذبيانى

أمست خلاء وأمسى أهلها انقرضوا أخنى عليها الذى أخنى على لبد

ولما قسم نوح عليه السلام الأرض بين بنيه جعل لسام وسط الأرض ، والحرم وما حوله واليمن إلى حضرموت إلى عمان والبحرين إلى عالج إلى طرف بلاد الهند ، وكان هذا كله مدنا وقرى وحصونا وقصورا ومصانع وبساتين يتصل بعضها ببعض ؛ الى ان سخط الله على قوم هود فأفسد كثيراً منها

وجعل الله فى ولد سام النبوة والبركة ، وجعل لحام بعض الشام ومصر إلى أعالى النيل وبلاد النوبة والبجة ، وأصناف السودان مع البحر الأحمر[1] إلى بلد الحبشة والهند والقوط والسند

وقسم ليافث بلاد الترك والصين ، ويأجوج ومأجوج ، والصقالبة والروم وإفرنجة والأعبورة والأندلس الى البحر المظلم . وسواحله

وجعل ليحطون صين الصين الى بلاد الشحر إلى ناحية اليمن ؛ فكثروا من كل جانب وانبسطوا الى جهة بابل ، وبورك فيهم فصاروا نيفا من سبعين ألف بيت على خلق عظيم إلى أن ضرب بينهم إبليس ؛ وكانت البلبلة فافترقوا

وكان أول ملك منهم النمرود الأول بن كوش بن حام ، وكان أسود أحمر العينين مشوها فى جبهته كالقرن ، وكان أول أسود يرى بعد الطوفان ، فكان من ولده لدعاء نوح عليه السلام على ابنه حام ، وذلك أن نوحا عليه السلام نام فانكشفت عورته ، فرآها حام فضحك ولم يغطه ، وسكت يافث ؛ ولم ينكر عليه فصاح سام عليهما ؛ وعلم ذلك نوح فدعا على حام أن يكون ولده سوداً مشوهين عبيدا لولد سام ؛ ودعا على يافث أن يكون ولده عبيداً ابنى سام ، وأن يكونوا أشرار الناس .

وكان حام من أجمل البرية وأتمهم كمالا وأطيبهم ريحا ، فاجتنب امرأته أن يطأها خوفا من دعوة أبيه ؛ فلما مات أبوه غلبه ذلك على اعتقاده ؛ فقرب منها

---

١) فى ب الاخضر وهو خطأ

فحملت بكوش بن حام وأخته ؛ فلما رآهما حام فزع منهما ؛ وأتى اخوته فأخبرهما وقال لهما قلت لامرأتى هل شيطان أو أحد غيرى أتاك ؟ فقال اخوته هذه دعوة أبيك فاغتم لذلك وترك امرأته دهرا ؛ ثم غشيها فولدت قوطا وتوأمته؛ فلما رأى ذلك هرب فى البلاد وغاب فلم يدر أين يذهب ، ولم يكن أشد تجبرا وتكبرا وعتوا من النمرود الأسود

و كان له بعض كهان فأتاه ابليس فقال له أنا كاهن من الكهان ؛ ولم أر أحدا يعادلك فى الكهانة وأنا معينك ومتمم أمرك ؛ وجاعلك ملك الملوك ؛ على أن تذبح لى ولدك قربانا، وتصلى لى ثلاث صلوات فأقلدك وأكون معك ؛ وأجعلك كاهنا كاملا تاما وأقيمك مقامى ففعل ماأمر به فأمر إبليس الشياطين بطاعته ؛ وليكون معه ، ثم أتوه بولد سام فحاربهم وعاونه إبليس فقهرهم واستعبدهم ؛ فانقادوا له وأطاعوه فبنى له إبليس قصراً وصفحه بالذهب [١] المكللة بالجوهر تضىء ماحوله ودفع اليه سيفا يتألق نوراً فى رأسه ثعبان يمتد إلى من يومىء اليه فيقتله ؛ فلما رأى [٢] الناس ذلك أذعنوا له بالطاعة ؛ ثم دعاهم إلى عبادته فأمر أن يبنى له صرح [٣] من الحجارة ومن الكلس فلم يبق أحد إلا عمل فيه وقال يكون حصنا لكم

وعاونته الأبالسة فبنى صرحا عظيما فبلغ ارتفاعه فى الجو تسعمائة ذراع ؛ ثم هندم أعلاه بأغرب بنيان وبنى فيه مجالس على أساطين غريبة ؛ وكان عرض كل حائط من حيطانه الأربع ألف ذراع وما بين ذلك من الطبقات جعلها كلها مخازن وملأ جميعها من المال والطعام والشراب وجميع الآلات وكل مايخاف أن يحتاج اليه يوما من الدهر بما يقوم به هو وأهله مدة من الدهر طويلة . وجعل مجلسه أعلاه وأمر الناس أن يعبدوه

واتخذ صاحب خبره جنيا [٤] بينه وبين الناس ؛ فاذا رفع اليه أن أحداً امتنع

١) لعل الصواب بالمذاهب ٢) ب رأوا ٣) ب صرحا ٤) فى ب حبشيا

عن عبادته أمر به فطرح من أعلا الصرح إلى أسفله .

وزعم قوم انه يكون على السحاب و يصعد إلى الفلك ؛ وكان يركب عجلة منصوبة على ظهور الشياطين وينحدر منها إلى الأرض ففرق الناس منه وافتتنوا به وعبده كثير منهم ؛ وعظم أمره . واتصل بسام أنه يريد قتله ؛ وقد عزم عليه فأخرج سام الأسماء التى علمه نوح عليه السلام إياها ؛ وقل له لا تدع بها إلا فى مهم عظيم ففيها [1] اسم الله الأعظم ؛ وقال : اللهم أنت الداعى لعبادك وبعينك ماهم فيه وما خرجوا من الفتنة اليه بغلبة هذا الجبار الذى قد استهوته الشياطين وانقيادهم له وإن لم تغثهم ضلوا وهلكوا ؛ وأنت أعلم بما يصلحهم فاحقن دماءهم وامنع هذا الجبار منهم ؛ وخذه بجريرته واكفنا أمره

فأمر الله عز وجل الرياح الأربع فاقبلت على ذلك الصرح من جوانبه فجعلته دكا واتبع ذلك ظلمة شديدة ورجفة عظيمة تزعزعت لها الجبال .

فنهض العالم على وجوههم لايرى بعضهم بعضا ؛ ولا يدرون أين يتوجهون وضعفت ألسنتهم عن الكلام

وهلك اللعين عدو الله النمروذ ؛ وهلك من كان يعبده ؛ ومشى الناس فى الظلمة هاربين ثلاثة أيام ثم لاحت لهم شعوب فيها نور يسير؛ فتشعب كل شعب فرقة هربت نحوه طالبا للنجاة ؛ وتبع كل فرقة قوم يحثونهم ؛ وهذا بلغة غير لغة الفرقة الأخرى ؛ حتى خرجت كل فرقة إلى ناحية من الأرض وقد تبلبلت ألسنتهم وكثرت لغاتهم ؛ فاذا وصلت فرقة منهم إلى موضع ناداهم مناد « هذا موضعكم الذى تكونون فيه فاعتمروا فيه وأثمروا »

فخرج بنو سام لناحية اليمن إلى الشحر وحضرموت إلى آخر خط الاستواء فنهم العرب العاربة

---

١) فى ب منها

وخرج بنو حام إلى السند والهند وبلاد أسوان[1]؛ وخرج بنو يافث إلى الشمال فمنهم الروم والخوز والترك والصقالبة والافرنج؛ ويأجوج ومأجوج

وخرج بنو يحطون إلى الصين الأقصى وأقاصي الشرق؛ فنزل[2] كل قوم في موضعهم وعمروه وتوالدوا فيه إلى اليوم

ونذكر من أخبار آدم عليه السلام ما وقع الينا في نقله بعض الخلاف؛ وفي ذكره فائدة

آدم خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته على ماتقدم ذكره، وأسكنه جنته بفضله؛ وأهبطه بذنبه إلى الأرض؛ وتاب عليه، وعلمه جميع العلوم، وملكه على الأرض؛ وكثر في جميع العالم منه أفاضلهم وأشرارهم وهو أول من صام وصلى وقرأ وكتب

وكان من أحسن المخلوقين وجها؛ وكان أمرد أجرد وأنزل الله تعالى عليه إحدى وعشرين صحيفة وتوفاه الله وهو ابن سبعمائة سنة وخمسون سنة؛ وكان عمره ألف سنة؛ فوهب لداود منها خمسين سنة لما عرضت عليه أعمارهم وصورهم فرأى عمر داود قصيرا

وأوصى بعده إلى ابنه شيث، وكان فيه وفي بنيه النبوة والدين والعبادة والقيام بحقوق الله تعالى وشرائعه.

وأنزل الله تعالى على شيث تسعا وعشرين صحيفة، وكان مسكنه فوق الجبل وسكن ولد قابيل أسفل الوادي، وكان عمره تسعمائة سنة واثنتي عشرة سنة واستخلف ابنه أنوشاً وكان عمره تسعمائة وخمسين سنة؛ واستخلف ابنه قينان وهو الذي كانت الوصية إليه وقسم الأرض بين بني أبيه فطاف وهو ابن تسعمائة وعشرين سنة؛ ودفع الوصية الى ابنه هطيل[3] وفي وقته بنيت الكعبة؛ وكان

---

١) هكذا في الاصول ٢) في ب ترك ٣) في مروج الذهب مهلائيل

عمره ثمانمائة سنة وخمسا وتسعين سنة ، وأوصى إلى ابنه يرد وعلمه وضع العلوم ، وأخبره بما يجرى فى العالم ، ويحدث بنظره فى النجوم ، وفى كتاب سر الملوك الذى أنزل على آدم عليه السلام

وولد ليرد خنوخ وهو إدريس عليه السلام ؛ وقد تقدم خبره مع يمحويل الملك ويقال إن يمحويل الملك بعث إلى أبيه أن يبعث اليه إدريس فامتنع ؛ فوجه اليه جيشا فمنعه منه أعمامه

وجميع ولد شيث فلم يصل إليه ، ولم يكن بعد شيث وحي ، حتى نبأ الله تعالى إدريس [عليه السلام]

وكان عمر يرد سبعمائة وخمسين سنة ؛ ويقال إنه أول من استوقد واستعبد وغزا بنى قابيل ، ونظر فى علم الفلك ؛ ووضع المكيال والميزان ؛ وأوتى علم الطب والنجوم ، وعلم الزيجات بحساب غير حساب الهند ؛ وسأل ربه فأراه الصور الفلكية العالية

وكانت الأرواح تخاطبه ؛ وعلم أسماء الصعود والهبوط فصعد وهبط ؛ ودار [حول] الفلك وعرف أشكال النجوم ووقف على مسير الكواكب ؛ وعرف كل ما يحدث فى العالم ؛ فزبره على الحجارة وعلى الطين

وزيد مع ذلك كل العلوم والصناعات ، وكانت له قصص تطول مع ملك الموت ومات ثم عاش ونظر الى النار ودخل إلى الجنة ولم يخرج عنها

ورفع على رأس ثلاثمائة سنة من عمره ، وكان يقال له هرمس باسم عطارد ؛ وعلم ابنه صابيا الخط فقيل لكل من كتب الخط بعده صابيا

وهو الذى أخبر بالطوفان ، ومايحدث فى العالم ودفع الوصية ، والصحف الى ابنه متوشلخ وأمر صابيا بمعونته

وكان صابيا قد بلغ مبلغا جليلا ، وعاش متوشلخ تسعمائة سنة واثنتين وثلاثين سنة

وانتقلت الوصية إلى ابنه لمك فأخذ فى البحث وجمع العلوم ، وأقبل على بنى أبيه فجمعهم وأمرهم ونهاهم وحضهم على الجور لولد قابيل ونهاهم عن قربهم وعن الاختلاط بهم ، وهو الذى رأى نارا خرجت من فيه ، فأحرقت العالم

ولما ولد له نوح عليه السلام والملك يومئذ درمشيل بن يحويل بن خنوخ بن يحمور بن قابيل بن آدم عليه السلام ، وكان قد تجبر وقهر الملوك على ما تقدم لكنا نعيد ذكره هنا لما ورد فى هذا الخبر من الزيادة والاستقصاء

وكان ابليس قد استمال الملك ودعاه إلى عبادة الكواكب ودين الصابئة ، وقال له هو دين أجدادك ، فأجابه وعمل له الشيطان هياكل واصناما عبدوها

ويقال إنه لم يستخرج أحد من المعادن والجوهر واللؤلؤ والمرجان أكثر مما كان فى وقت الدرمشيل ، وكان شديداً على نوح والله تعالى يحفظه منه وعاش الملك ثلثمائة سنة

ونبأ الله تعالى نوحا عليه السلام وهو ابن مائة وخمسين سنة وأرسله الى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ، وعاش بعد الطوفان مائة سنة ، وكان اول نبى بعد ادريس عليهما السلام

وكانت شريعته التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج وجهاد الأعداء ، فدعا قومه إلى الله تعالى وحذرهم عذابه ، وكلما قام فيهم ودعاهم عنفوه وحذروه واخفوا أمره عن الملك ، وكان يحضر هياكلهم وبيوت اصنامهم ، فاذا قال لهم قولوا لا إله إلا الله وإنى عبد الله ورسوله جعلوا اصابعهم فى آذانهم وادخلوا رءوسهم فى ثيابهم تبرءا مما يقول

ولما قال لهم يوما قولوا لا اله إلا الله وقعت الأصنام على وجوهها فقاموا اليه فضربوه حتى سقط على وجهه ، وعرف الملك خبره فأحضره وقال له ماهذا الذى بلغنى عنك من مخالفتك لدينى وما عليه بنو أبيك وسبك لآلهتنا ؟ وماهذا

السحر الذى اسقطت به الأصنام عن كراسيها ؟ ومن الذى علمك ذلك ؟

فقال له نوح عليه السلام لو كانت آلهة كما تزعم ما سقطت ، وأنا عبد الله ورسوله فاتق الله تعالى ولا تشرك به شيئا ، فانه يراك فأمر بحبسه . إلى أن يحضر عيد الأصنام فيذبحه تقربا اليه

وأمر برد الأصنام على كراسيها، وإصلاح ماتغير منها ، وحان العيدوقرب ، فنادى فى الناس أن يجتمعوا ليروا مايصنع به ، فدعا عليه نوح عليه السلام فأصابه صداع فى دماغ رأسه أذهب عقله ، فأقام اسبوعا ثم هلك فحمل على سرير ذهب ، وطيف به فى هيا كل الأصنام ، وهم يبكون عليه ثم دفنوه، وشتموا نوحا ونالوا منه بألسنتهم كل قبيح

وولى الملك ابن الدرمشيل فأخرج نوحا من حبسه ، وزعم أنه مجنون وتقدم إليه ونهاه أن لايعود الى ذلك الفعل فأقام إلى أن اجتمعوا فى بعض أعيادهم عكوفا على أصنامهم فخرج حتى أتى جمعهم

فقال قولوا لا إله إلا الله وإنى عبد الله ورسوله ، فتساقطت الأصنام وقاموا إلى نوح عليه السلام فضربوه وشجوه وسحبوه على وجهه، ثم أتوا به الملك فقال له الملك ألم أصفح عنك ، وأسرحك من حبس ابى على أن لاتعاود ؟ فقال له إنى عبدمأمور بماأفعله ، قال ومن أمرك ؟ قال إلهي، قال ومن إلهك قال إله السموات والأرض ومافيها وخالق الخلائق اجمعين ، قال وبماذا أمرك ؟ قال ادعوا الناس الى عبادته وحده ، واخلع الأصنام ، واعمل بما فرضه الله تعالى من الصلاة والزكاة والصيام قال فان لم نفعل ماتقول ، قال الأمر اليه إن شاء اهلككم وإن شاء امهلكم ، قال فاترك إلهك وما يريده وكف أنت عنا نفسك ، قال ما ينبغى لى أن أكف ولا أقدر لأنى عبد مأمور ، فأمر بحبسه إلى ان يتقرب به إلى الأصنام .

فخرج على الملك درمنديب الكاهن الجبار ، وكانت بينه و بينه حروب شغل بها عن أمر نوح عليه السلام وتشاءم بحبسه فأمر بتسريحه حتى يخلو له وجهه ثم صالح الكاهن على ناحية تركها له من عمله ؛ وعاد الى ما كان فيه من ملكه

وكان إبليس يحرضه على قتل نوح عليه السلام ، ويزينه له فيمنعه الله تعالى منه وزاد أمر نوح عليه السلام ؛ فوجه الملك إلى جميع ممالك الأرض ليوجهوا له كل كاهن ، وكل عراف لمناظرة نوح عليه السلام فشخصوا اليه من الآفاق ؛ فناظروه فغلبهم نوح عليه السلام بالحجة والبرهان .

فآمن منهم الكاهن فيملون المصرى ، واتبعه حتى دخل معه فى السفينة ؛ وأوحى الله تعالى إلى نوح عليه السلام ان أصنع الفلك بأعيننا ،فقال كيف أصنعه؟ فأهبط الله تعالى جبريل عليه السلام حتى أراه إياها ، وأمره ان يبنيها على مثل صدر البطة فأقام فى عملها عشر سنين ، وعملها من خشب الساج ، وجعل طولها ثلاثمائة ذراع وقيل دون ذلك ، وجعل ارتفاعها من الأرض خمسين ذراعا ؛ وجعلها ثلاث طبقات كما امر .

وكانوا يهزءون منه ويضحكون ، وكان الرجل منهم يأتى إليه بابنه الصغير فيحذره منه ، وربما رماه الصبيان بالحجارة فآذوه ، ولما فرغ من عمل السفينة جعل بابها فى جنبها ، وأقامت موضوعة على الأرض تسعة أشهر حتى حضر عيد لتلك الأصنام ، فاجتمعوا اليه وقربوا اليه ثلاثمائة رجل ممن آمن بنوح عليه السلام ، ذبحوهم بين أيديهم ، فحق عليهم العذاب .

وأمر الله تعالى نوحا عليه السلام أن يدخل فى السفينة من كل زوجين اثنين ، فقال يارب من أين لى أن أجمع ذلك فأمر الله تعالى الرياح فحشرت اليه كلما أراد ، وأمر به فأدخل فيها من كل زوجين اثنين .

وكانت السفينة ثلاث طبقات ، فجعل الطبقة السفلى للبهائم والدواب والطير ،

وجعل الوسطى لطعامهم ، وجعل جسد آدم عليه السلام فى تابوت فيها ؛ وجعل العليا له ولمن دخل معه .

وركب الملك إلى هيكل الأصنام فأقام فيه حينا ؛ ثم مشى إلى السفينة ؛ وقد علم بما شحنت فيه وعزم على حرقها ، فلما وقف عليها قال يانوح واين الماء الذى يحملها ؟ قال هو يأتيك فى مكانك هذا ؛ وأمر الملك فرميت السفينة بالنار ؛ فرجعت عليه وعلى أصحابه فأحرقت بعضهم ؛ وفار الماء على ماتقدم ذكره ؛ وفتحت أبواب السماء بالمطر وحيل بينهم وبين صعود الجبال ، ولم يدروا أين يتوجهون ، وكانت المرأة تحمل ولدها على عنقها ؛ فاذا لجحها الغرق طرحته ؛ فقيل لو رحم الله الكافر لرحم الصبي وأمه .

وقال أصحاب النظر فى الكواكب سلمت ثلاثة مواضع ؛ لم يدخلها الطوفان ونحن لانقول بذلك ؛ والفرس لعنهم الله لايقولون بالطوفان ولا بنبوة نوح عليه السلام ؛ ونحن لانقول بقولهم ؛ والهند يزعمون أنه لم يكن ببلدهم من الطوفان شيء وكذلك أكثر [سكان] الجزائر والبحار[1] يزعمون ذلك

وقيل إن السفينة اقامت فى الماء ستة أشهر ؛ ويقال إنها سارت شرقا وغربا وأتت موضع الكعبة ، وكانت معهم خرزة يعرفون بها الليل ومواقيت الصلوات

ولما نزلوا من السفينة على ما تقدم ذكره أمرهم نوح عليه السلام بالزراعة وغرس الشجر ، وتفقد الكرمة فلم يجدها ؛ وسأل عنها فعرفه جبريل عليه السلام أن إبليس سرقها ، لأن له فيها شركة فاقتسمها معه ؛ فقال نوح اعطه منها الربع ، قال لا يكفيه فزده ، قال فاعطه النصف ، قال لايكفيه ولكن يكون له[2] الثلثان ولك الثلث قال فنعم إذن

قال فاطبخ من عصير الكرم بالنار حتى يذهب ثلثاه ، كان حلالا لك

---

١) فى ب وكذلك اكثر جزائر والتجار ٢) فى ب لها

ولذريتك ؛ وما نقص من ذلك كان له ؛ ولمن كان من أتباعه

وقال إبليس لنوح عليه السلام إن لك عندى يداً أرعاها لك قال وما مكافأتك؟ قال وصية أوصيك بها .قال وما هى؟قال إياك والحسد والحرص والعجلة فان الحسد حملنى على أن عصيت ربى ؛ وغويت آدم حتى خرج من الجنة ؛ والحرص حمل آدم وحواء حتى أكلا من الشجرة ؛ فغضب الله عليهما .والعجلة التى حملتك على أن دعوت على قومك فأهلكتهم جميعا .

ذكر عناق بنت آدم عليه السلام

نرجع الآن الى ما يجب ذكره من بقية أخبار آدم عليه السلام ؛ ولدت عناق بنت آدم مفردة بغير أخ[1] وكانت مشوهة الخلق لها رأسان ؛ وكان لها فى كل يد عشر أصابع ، لكل أصبع ظفران كالمنجلين الحادين .

ذكرها على بن أبى طالب عليه السلام فقال : هى أول من بغى فى الأرض ، وعمل الفجور ، وجاهر بالمعاصى واستخدم الشياطين ؛ وصرفهم فى وجوه السحر

وكان الله عز وجل أنزل على آدم عليه السلام أسماء تطيعها الشياطين ؛ وأمره ان يدفعها إلى حواء فتعلقها على نفسها فتكون حرزاً لها ؛ ففعل ذلك ؛ وكانت حواء تصونها وتحتفظ بها ؛ فاغتفلتها عناق وهى نائمة ؛ فأخذتها واستجلبت الشياطين بتلك الأسماء ؛ وعملت السحر ، وتكلمت بشىء من الكهانة ؛ وجاهرت بالمعاصى وأضلت خلقا كثيراً من ولد آدم عليه السلام ؛ فدعا عليها آدم عليه السلام ؛ وأمنت حواء فأرسل الله اليها فى طريقها أسدا أعظم من الفيل فهجم عليها فى بعض المغاور فقتلها ، ومزق أعضاءها ؛ وأراح الله آدم وحواء منها .

ويقول أهل الأثر : إن عوجا الجبار [من][2] ولدها ، وإن الطوفان لم يغرقه ؛

1) ت ذكر 2) فى ب هو

ولا بلغ ماؤه إلا بعض جسده ، وأنه طلب السفينة ليغرقها فأعماه الله عنها ، وعمر الى زمان فرعون ؛ وقطع صخرة على قدر عسكر موسى عليه السلام وكان فى أكثر من ستمائة الف[1] ، وحملها على رأسه ليطرحها عليهم ، فأرسل الله فى طريقه ذلك عليه طيرا نقر ذلك الحجر حتى ثقبه ، ونزل من رأسه إلى كتفيه فصار رأسه مضغوطا فى الحجر فمنعه الرؤية ، وتعذر عليه الحركة ؛ وأمر الله تعالى موسى عليه السلام بقتله ، وكان لموسى ايدا قويا ، وكانت وثبته عشرة أذرع ، وطول عصاه مثلها وطوله كثيرا فوثب اليه فلم يضرب بطرف عصاه إلا عرقوبه . فسقط لثقل الحجر فقتله ووافق سقوطه عرض النيل . فأقام كالجسر يعبر الناس عليه والدواب كالقنطرة مدة طويلة

وفى حديث آخر أنهم جروه فى خمسة أشهر فى كل يوم ألف ثور مقرنين بعجلات مع تعاونهم عليه فى كل يوم نصف ذراع حتى طرحوه فى بحر القلزم

وقيل بل قطعوه قطعا وجروه إلى البحر ، وقيل إن سقوطه كان فى صحراء مصر فترك فى موضعه وردم عليه بالصخور والرمل حتى صار كالجبل العظيم .

ذكر أخبار الكهان من العرب

بلغ سطيح من الكهانة مالم يبلغه أحد ؛ وكان يسمى كاهن الكهان ؛ وكان يخبر بالغيوب والعجائب[2] فقيل [إن] [3]ربيعة بن نصر اللخمى رأى رؤيا هالته ، فأمر بجمع الكهان وأصحاب القيافة والزجر ؛ فلما حضروا عنده قال لهم إنى رأيت رؤيا هالتنى فأخبرونى بها ؛ فقالوا له قصها علينا نخبرك بتأويلها ؛ فقال ما أطمئن الى تأويلها إذا قصصتها عليكم ، ولا أصدق فى تأويلها إلا من عرفها قبل أن أقصها عليه

---

١) ت مائة الف ٢) ت من الغيوب بالعجائب ٣) ت ورأى ربيعة

ست عشرة [١] شرفة ارتاع لذلك ، فوجه إلى الموبذان فعرفه بذلك ، وقال إن ذلك قد هالنى وأفزعنى

قال الموبذان : أيها الملك عسى أن يكون خيراً ، وإنى أيها الملك كنت أرى البارحة ان النيران قد خمدت ، وقلعت بيوتها وهلك سدنتها وقد اغمنى ذلك ، وكنت عزمت على أن لا أخبر الملك حتى يوجه إلى فأتيته [٢]

قال كسرى فما الداعى ؟ قال الموبذان قد بلغنى ان بأرض العرب كاهنا يقال له سطيح ، يخبر بما يكون قبل كونه ، فلو أرسل اليه الملك رسولا يسأله عن ذلك ، فلعله أن يخبره بالجواب فيه

قال كسرى ومن لنا بحصيف ينفذ فى ذلك ؟ وكان على باب الملك فيمن وفد عليه من العرب رجل ، يقال له عبد المسيح من رهط سطيح ، فأشار به الموبذان على كسرى ، فأحضره ولم يخبره بما رآه ، وقال انطلق إلى سطيح ، فاسأله عن رؤيا رأيتها ، فاذا اخبرك بها ، فاسأله أن يخبرك بتأويلها ، فاذا أخبرك فارجع مسرعا ولا تتخلف ؛قال أفعل ايها الملك ، فأمر له بمال وجائزة ، وحمله جائزة الى سطيح

فركب عبد المسيح راحلته ، ومضى مبادرا يقطع المفاوز والفيافى ، حتى لحق مكان سطيح بعد ايام ، فلما بلغ بيته وجده عليلا لما به فوقف عليه وسلم

[وجعل يرتجز ويقول ليسمعه :

اصم ام يسمع غطريف اليمن

يافاصل الخطة اعيت من ومن

من أبيات] [٣] قال سطيح [مجيبا له] عبد المسيح ، على جمل فسيح ، أوفى على سطيح ، وقد أشفى على الضريح ، يسأل عن ارتجاج الايوان ، ورؤيا

١) فى ب ستة عشر ٢) لعل الصواب فأنبئه ٣) زيادة عن ت

الموبذان ، وخمود النيران

قال فالتأويل ياسطيح ؟ قال تنقضى ايامهم ، وتنقطع آثارهم ، وتملك العرب ديارهم ، عند ظهور صاحب التلاوة ، والقضيب والهراوة .

قال ومتى ذلك ياسطيح ، قال الى ان يملك منهم ملوك وملكات : على عدد الشرفات ، وقبل ذلك ينقضى امر سطيح ويواريه الضريح ، ولا يصلح [له] فيها قرار

وقد روى [هنا] الكلام على غير هذا النوع واكثر منه كلاماً[1] فرجع عبد المسيح إلى كسرى ، وقد دعى كلامه ، فعجب كسرى وسره وقال إلى أن بلى منا ستة عشر ملكا يكون سعة لدفع الهم ، ولعل ذلك لا يكون ، فرأى الملك منهم تلك العدة فى سنين قليلة حتى انقضى ملكهم فى خلافة عثمان رضى الله عنه[2]

وقيل إن الرؤيا كانت ليلة مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويقال إن سطيحا عاش أربعمائة سنة .

وأما شق الاول ، وهو شق بن حويل بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ، فهو اول كاهن فى العرب العاربة ، وارم ابو الجبابرة من عاد وثمود وطسم وجديس وغيرهم ، ويقال إنه كانت له عين واحدة فى جبهته ، ويقال إنه [كان] يشق وجهه نار

١) عبارة ت عبد المسيح ، على جمل مسيح ، يسأل عن خمود النيران ، رؤيا الموبذان وسقوط الايوان ، لاخبره بالبرهان ، اما عدد الشرفات فيلى مثلها ملوك وملكات وخمود النيران ينقضى ملكهم على الزمان ، وذلك عند ظهور صاحب التلاوة امر والقضيب والهراوة ، فتنقضى آثارهم ، وتملك العرب ديارهم ، وهناك ينقضى سطيح ، ويواريه الضريح ، ولا تكون الدنيا له بدار ولا يقر به فيها قرار ، وقديروون هذا الكلام على غير هذا السجع ٢) ت عمر رضى الله عنه

وكانت اليامة الزرقاء وعينها الواحدة أكبر من الأخرى ، فاذا اغلقت الكبرى أبصرت بالصغرى على الفراسخ الكثيرة والأمد البعيد ، وقيل إنها كانت [ترى] [1] فلك القمر ، فتخبر عنه بأشياء عجيبة

وقد كان اتصل بجديس استنصار طسم بحسان بن تبع الحميرى ، فقطنوا وقالوا لليمامة انظرى فنظرت ، وقالت أقسم بمهب الرياح ، والآكام ، والبطاح ، والمساء والصباح ، ليأتين من حمير [الجيش] الرداح ، والخيل والسلاح ، فلا ترون من بعدها فلاح .

فلما أصبحوا فى اليوم الثانى قالوا لها انظرى فنظرت ، وكان حسان لما قرب من جو بأربعة أيام قال لأصحابه إن اليمامة ستراكم على البعد الكثير فتنذر بكم ، فليحمل كل واحد منكم غصناً من شجرة أعظم ما يقدر عليه ليسدل اغصانه عليه وجوانبه ، ففعلوا ذلك

فقالت اليامة لما رأت ذلك: ياجديس قد أتتكم الشجر، تخبط المدر فاستعملوا منها الحذر فكذبوها ، وقالوا لها اتسير الشجر

فلما كان فى اليوم الثالث قالوا لها انظرى ، فنظرت فقالت أرى رجلا فى كتفه كتف ، او نعل يخصفه فكذبوها ، وقالوا قد تغير نظرها ، وكيف ترى على هذا البعد مالم يتصل بنا خبره ، فكان حسان يسير بالليل ويكمن بالنهار ، إلى أن صبحهم فقتلهم أبرح قتل ، وهدم منازلهم واستباح نساءهم

وأخذ اليامة ، وقال لها ألاعرفتيهم بمسيرى ؟ قالت قد فعلت لوقبلوا ، ونظر فرأى فى عينها عروقا سوداء ، فقالت لها بم كنت تكتحلين ؟ فقالت له بحجر الأثمد ، مربى بماء المطر . فقيل انه قطع يدها ورجلها ، وقلع عينها وصلبها فيقال إن رئيها من الجن لطمه فاعوره ، ومنعه النوم فلم يكن ينام

---

١) عن ت

وقد ذكرت الشعراء اليمامة فأكثروا : قال الاعشى يذكرها فى القصيدة التى اولها

بانت سعاد فأمسى حبلها انقطعا

فقال يذكرها ونظرها

ما نظرت[1] ذات أشفار كنظرتها حقا كما نظر الربى إذا شجعا
فكذبوها بما قالت فصبحهم جيوش حسان تزجى الموت والسلعا

و إياها عنى

واحكم كحكم فتاة الحى إذ نظرت إلى حمام شراع وارد الثمد
تحفه جانبا بير ويتبعه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد
قالت الا ليتما هذا الحمام [لنا] إلى حمامتنا أو نصفه فقد
فحسبوه فألفوه كما حسبت تسعا وتسعين لم تنقص ولم تزد
فكملت مائة منها حمامتها واسرعت حسبة فى ذلك العدد

وقصتها فى حديث الحمام مشهورة ؛ وهذا هو القول الذى سجعت هى به

ليت الحمام ليه إلى حمامتيه
أو نصفه قديه [تم الحمام ميه]

ذكر عجائب مصر وأخبار ملوكها وكهانها

لما ذكرنا الكهان وجب علينا أن نذكر كهنة مصر ؛ لأنهم كانوا أعظم الكهان قدرا ؛ وأجلهم بالكهانة علما[2] وكان حكماء اليونانيين يصفونهم بذلك ؛ ويقولون أخبرنا حكماء مصر بكذا ، واستفدنا منهم كذا وكذا

وكان هؤلاء ينحون فى كهانتهم نحو الكواكب ، ويزعمون أنها هى التى

---

١) من هنا إلى ذكر عجائب مصر لا يوجد ٢) فى ت حذقاً

تفيض عليهم العلوم وتخبر بالغيوب ؛ وهى التى علمتهم أسرار الطبائع ؛ ودلتهم على العلوم المكتومة فعملوا الطلسمات المشهورة ؛ والنواميس الجليلة وولدوا الاشكال[١] الناطقة ، وصوروا الصور المتحركة ؛ وبنوا العالى من البنيان ؛ وزبروا علومهم من الطب فى الحجارة ؛ وانفردوا بعمل البرابى ، وعملوا من الطلاسم مانفوا به[٢] الاعداء عن بلادهم وعجائبهم ظاهرة ، وحكمتهم واضحة

وكانت مصر خمساً وثمانون كورة منها بأسفل الارض خمس وأربعون ؛ ومنها بالصعيد أربعون وكان فى كل كورة رئيس من الكهنة ، وهم الذين ذكرهم الله تعالى فى قصة فرعون لما أشار عليه أصحابه ؛ وقالوا (ابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم) يريد هؤلاء الرؤساء

وكان الذى يتعبد منهم لكوكب من الكواكب السبعة المدبرة سبع سنين يسمونه ماهرا ؛ والذى يتعبد منهم للكواكب السبعة لكل واحد منهم سبع سنين ؛ فمن بلغ هذه المرتبة منهم سمي قاطراً[٣] وصار يجلس مع الملك ويصدر الملك عن رأيه ؛ وإذا رآه قام إجلالا له ؛ وكان زيهم أن يدخل كل يوم إلى الملك فيجلس الى جانبه فتدخل الكهنة ؛ ومعهم أصحاب الصناعات فيقفون حذاء القاطر ، وكل واحد من الكهنة منفرد بكوكب يخدمه لا يتعداه إلى سواه ، ويسمى بعبد كوكب كذا ، كما كانت العرب تسمى عبد الشمس ؛ فيقول القاطر لأحد الماهرين أين صاحبك ؟ فيقول فى البرج الفلانى فى الدرجة الفلانية فى دقيقة كذا ، ويسأل الآخر فى حذائه ، حتى إذا عرف مستقر الكواكب ، قال للملك ينبغى أن يعمل الملك اليوم كذا وكذا ، ويأكل كذا وكذا ، ويجامع فى وقت كذا ، ويقول له جميع ما يراه صلاحا ، والكاتب قائم بين يديه يكتب

---

١) فى ت وأولدوا الدلالات ٢) فى ت ومنعوا بها الأعداء

٣) فى ب ناظر وقد رسم هكذا فى كل موضع جاء فيه والصواب ماذكرناه

جميع ما يقول

ثم يلتفت الى أهل الصناعات [فيقول انقش أنت صورة كذا على حجر كذا فتى رسم على أهل الصناعات][1] فيخرجون إلى دار الحكمة ، فيضعون أيديهم فى الأعمال التى يصلح عملها فى ذلك اليوم :

ويستعمل الملك جميع ما قاله القاطر ، ويؤرخ جميع ما جرى من هذا وشبهه فى ذلك اليوم فى صحيفة ، وتطوى وتودع فى خزائن الملك فعلى ذلك جرت أمورهم .

وكان الملك إذا حزبه[2] أمر بجمعهم بخارج مصر ، ويصطف لهم الناس بخارج المدينة ثم يقدمون ركبانا ، يتقدم بعضهم بعضا ، ويضرب بين ايديهم بطبل الاجتماع ، فيدخل كل واحد منهم بأعجوبة . فمنهم من يعلو وجهه نور مثل نور الشمس فلا يقدر أحدهم النظر اليه ، ومنهم من يكون على يديه جوهر أخضر وأحمر على ثوب من ذهب منسوج ، ومنهم من يكون راكبا على أسد متوشحاً بحيات عظام ومنهم من تكون عليه قبة من نور أو جوهر فى صنوف من العجائب الكثيرة ، إلا أن كل واحد إنما يصنع ما يدل عليه كوكبه الذى يعبده ، فاذا دخلوا على الملك قالوا أرادنا الملك لأمر كذا ، وأضمر الملك كذا ، والصواب فيه كذا .

*
* *

وكن بمصر القديمة واسمها أمسوس ملك كاهن يقال له عيقام من ولد عرباق[3] ابن آدم فتحكى اهل مصر عنه حكايات كثيرة تخرج عن العقل

وكان قبل الطوفان وقد رأى فى علمه كون الطوفان ، فأمر الشياطين الذين

---

١) الزيادة عن ت ٢) فى ب إذا أحزبه ، وفى ت إذا جربه ، والصواب ماذكرناه ٣) فى ب عراب

تطيعه ان يبنوا له مكانا خلف خط الاستواء ، بحيث لا يلحقه شيء من الآفات ، فبنوا له القصر الذى [على] سفح جبل القمر ، وهو قصر النحاس الذى فيه التماثيل من النحاس ، وهي خمسة وثمانون تمثالا ، يخرج ماء النيل من حلوقها ، وينصب الى بطحاء مصر

فلما عمل له ذلك القصر أحب أن يراه قبل ان يسكنه ، فجاس فى قبة ، وحملته الشياطين على اعناقها اليه ، فلما رآه ورأى حكمة بنائه ، وزخرفة حيطانه ، وما فيها من النقوش وصور الأفلاك ، وغير ذلك من العجائب ، وكانت المصابيح تسرج فيه ، وتنصب فيه موائد يوجد عليها من كل الاطعمة ، ولا يرون من يعملها ، وكذلك لا إنس به

وفى وسط القصر بركة من ماء جامد الظاهر ترى حركته من وراء ما جمد منه ، وأشياء كثيرة من هذا المعنى ، وإن كانت تنبوا عنها العقول

فاعجبه مارأى ورجع الى مصر فاستخلف ابنه عرباق[1] وأوصاه بما يوجبه الملك وولده على مكانه ، ورجع هو الى ذلك القصر ، وأقام به حتى هلك هناك

واليه تعزى مصاحف القبط ، التى فيها تواريخهم

قونية الكاهنة

وفى مصاحف القبط أنها كانت تجلس على عرش من نار ، فاذا ما احتكم اليها الرجل ، وكان صادقا شق[2] على النار حتى وصل اليها ولم تضره

وكانت تتصور عليهم فى أشكال كثيرة من الصور ، إذا شاءت[3] ثم بنت لنفسها قصرا واحتجبت فيه عن الناس ، وجعلت حيطانه من نحاس مجوفة ، وكتبت على كل أنبوب فيها من الفنون التى يتحاكم اليها فيه فكان الذى

١) فى ت عريان ٢) فى ت خاض النار ٣) ت كيف شاءت .

يتحاكم اليها يأتى إلى الأنبوب الذى كتب عليه ذلك الفن ؛ فيتكلم بما يريده ، ويسأل ذلك ما قصد له بصوت خفض غير عال ؛ فاذا فرغ من كلامه جعل هو أذنه على ذلك الأنبوب ؛ فيأتيه الجواب منه بكل ما يريده ؛ فلم يزالوا مستعملين ذلك ؛ الى أن خرب بخت نصر البلد

وكان عرباق بن عيقام الملك قد تكهن بعد ابيه وعمل عجائب كثيرة ؛ منها شجرة من صفر لها اغصان حديد بخطاطيف حادة ؛ إذا تقرب الظالم الى الملك تقدمت اليه تلك الخطاطيف ؛ وتعلقت به وشبكت يديه؛ ولم تفارقه حتى يحدث عن نفسه بالصدق ؛ ويعترف بظلمه ؛ ويخرج من ظلامة خصمه

ومنها صنم من صوان أسود سماه عبد أفرويس [1] أى عبد زحل ؛ كانوا يختصمون اليه ؛ فمن زاغ عن الحق ثبت مكانه ؛ ولم يقدر على القيام حتى ينصف من نفسه ؛ ولو أقام سنة او اكثر

ومن كانت له حاجة منهم او طلب شيئا عند ذلك الصنم ؛ نام ليلا ونظر الى الكوكب ؛ فذكر اسم عرباق وتضرع ، فيصبح وقد وجد حاجته على باب منزله

وكان ربما حملته أطيار عظام ؛ وهو فى مرتبته فيمر بهم وهم يرونه فى الهواء فيزدادون له عبادة وهيبة ، وربما علا على ناس منهم فملأ ماءهم من الاقذار ، وسلط عليهم وحوش الأرض وسباعها وهوامها .

وكان من كهانهم فيلمون ؛ وقد ذكرنا خبره مع نوح عليه السلام ؛ وكان منهم شيمون [2] وهو الذى كان يوقد النار ؛ ويتكلم عليها ؛ فتطلع منها صورة نارية ، وكانت الكهانة عندهم عمل المعجزات ؛ ولم يزل هذا كاهنا إلى وقت فرعون ملك مصر الذى كان الطوفان فى أيامه ؛ وكان يسكن الهرم المحوسى [3]

---

١) فى ت قرويش ٢) ت سيمون ٣) فى ت البحرى

وكان هيكل الكواكب ، وكانت فيه صورتا الشمس والقمر[١] تنطقان ؛ [وكان الهرم الثانى ناووساً لأجساد الملوك الذى نلقها إليه سورند ؛ وفيه العجائب التماثيل والمصاحف][٢] وكان فيه التمثال الذى يضحك وكان من جوهر اخضر ، وخزنوا ذلك فيه خوفا من [تلفه فى] الغرق

[خبر الكهان بعد الطوفان]

وأما الكهان بعد الطوفان[٣] إلى خراب مصر فكثير ، وأول من تكهن بمصر بعد الطوفان ابن فليمون كان قد ركب السفينة مع أبيه وأخيه وأخته وهى التى زوجها من ينصو بن حام ؛ وهم الذين خرجوا إلى مصر وكانوا موحدين على دين نوح عليه السلام ؛ ولم يكن اسم الكهانة عندهم عيبا ، بل كان الكاهن كالحاكم الذى لايعصى له أمر

وأول من تحقق بالكهانة ؛ وغير الدين وتعبد الكواكب البودشير بن قفطويم ابن ينصو بن حام ، وكان ملكا بعد أبيه ؛ وذكره جميع الكهنة فى مصاحفهم فانه كان من أجل كهانهم ؛ وممن عمل النواميس العظام ؛ وأقام أصنام الكواكب وبنى هياكلها

وتزعم القبط أن الكواكب خاطبته وأنه عمل عجائب كثيرة، منها أنه استتر عن الناس بعد سنين من ملكه ؛ وكان يظهر لهم وقتا بعد وقت مرة فى كل سنة وهو وقت نزول الشمس فى برج الحمل ؛ ويدخل الناس اليه فيخاطبهم ويرونه ؛ ويأمرهم بما يعملونه وينهاهم ويحذرهم مخالفة أمره ؛ وكان يجلس لهم فى بعض أوقات السنة فيخاطبهم عند دخولهم عليه ؛ وينهاهم وهم لايرونه

---

١) ب ، وكانت فى صورة الشمس والقمر

٢) جميع الزيادات عن ت ٣) خبر الكهان بعد الطوفان

والمكان الذى يكلمهم منه غير خفى عنهم ، ولا يبعد منهم ، ثم بنيت له قبة من فضة مموهة بالذهب وزخرف ما حولها ، وكان يجلس لهم فى أعلى القبة فى صورة الوجه العظيم ، فيخاطبهم بمثل ماكان يخاطبهم ، وكان يجلس لهم فى أعلى السحاب بوجه فى صورة إنسان عظيم . فأقام كذلك مدة ثم غاب عنهم فلم يروه

وأقاموا برهة ليس لهم ملك ، إلى أن رأوا صورته فى هيكل الشمس عند دخول الشمس الحمل ، وأمرهم أن يقلدوا الملك لعديم بن تفطويم وأعلمهم أنه لا يعود إليهم ، ففعلوا ذلك

وأما بديرة[1] الكاهنة فانها امرأة من أهل بيت الملك ، يقال إنها أخت البودشير ، وأنه ألقى إليها الكهانة فهي [التى] عملت أكثر الطاسمات والبرابى ، وهي التى عملت القبطية[2] الناطقة بمنف

وكانت الكهانة فى أهلها وولدها يأخذونها كابرا عن كابر ، وهى التى حكى المصريون عنها أنها عملت طلسمات منعت الوحوش والطيور أن تشرب من النيل فمات أكثرها عطشا

وأن الله تعالى أرسل اليها ملكا فصاح بها صيحة ارتجت لها الارض [وتشققت جبالها][3] فماتت من تلك الصيحة [ويقال انها كانت تطير فى الهواء والملائكة تضربها بأجنحتها إلى أن سقطت فى البحر][4]

وأما شؤن الأشمونى فيقال انه هرمس الاول ، الذى بنى بيت التماثيل الذى يعرف بها مقدار النيل الذى عند جبل القمر وعمل للشمس [هناك][5] هيكلين[6] وتحكى القبط عنه حكايات كثيرة ، تخرج عن العادة ، وتنكرها العقول ، فكان يخفى عن الانسان فلايرونه وهو معهم ، وهو الذى بنى الاشمون

---

١) في ت ندورة ، وفى بعض كتب التواريخ تدورة ٢) فى ت الاصنام وهى الصواب ٣، ٤، ٥، ٧) زيادة عن ت ٦) في ب هيكلين وفي ت هيكلا

ويقال إنها مدينة فى شرقى مصر كان طولها اثنى عشر ميلا وجعل عليها حصنا بنى فيه قصراً عظيما [يقال إنه بنى أنصنا واتخذ فيها] الاعلام والملاعب.

واتخذ فى سفح الجبل مدينة يقال لها طهراطيس[١] وجعل فيها من العجائب شيئا كثيراً ؛ وجعل لها اربعة ابواب من كل جهة باب واحد ؛ وجعل على الباب الشرقى صورة عقاب وعلى الباب الغربى صورة نسر[٢] وعلى الباب الجنوبى صورة اسد وعلى الباب الشمالى صورة كلب وملك[٣] فيها الروحانيات وكانت تنطق إذا قصد اليها القاصد ولا يصل احد إلى الدخول فيها دون استئذان الموكلين بها وغرس فيها شجره تحمل كل صنف من الفواكه

وبنى منارا طوله ثمانون ذراعا وعلى رأسه قبة تتلون فى كل يوم لونا حتى تنقضى سبعة أيام بسبعة الوان ثم تعود إلى اللون الاول وتكتسى المدينة ذلك اللون وجعل حول ذلك موضع ماء فيه سمك كثير ؛ وجعل حول المدينة طلسمات من كل صنف تدفع عن اهلها المضار

وكانت ايضا تسمى مدينة البوسق[٤] باسم الشجرة المنصوبة فيها

أول من بنى الاهرام

كان سوريد بن فيلمون[٥] ،وكان ملكا على مصر قبل الطوفان بثلاثمائة[٦] سنة فرأى فى منامه كأن الأرض قد انقلبت بأهلها ؛ وكأن الناس يهربون على وجوههم وكأن الكواكب تتساقط ، ويصدم بعضها بعضا بأصوات هائلة مفزعة فرجف قلبه وأزعجه ذلك وأرعبه ؛ ولم يذكره لاحد ؛ وعلم أنه سيحدث

---

١) فى ت وعمل فى الجبل الشرقى مدينة ، ويقال لها أو طبراطايش

٢) فى ت صورة ثور ٣) فى ت واسكن ٤) فى ت اليوس

٥) فى ت سورند بن شهلوق ٦) فى ت بألف وثلاثمائة

فى العالم أمر عظيم

ثم رأى بعد ذلك كأن الكواكب الثابتة نزلت الى الأرض فى صورة طيور بيض كأنها تخطف الناس، وتلقيهم بين جبلين عظيمين، وكأن الجبلين قد انطبقا عليهم؛ وكأن الكواكب النيرة مظلمة كاسفة فانتبه أيضاً مذعوراً فزعا

فدخل إلى هيكل الشمس، وجعل يتضرع فيه ويمرغ خديه فى التراب؛ ويبكى فلما أصبح أمر رؤساء الكهنة من جميع أعمال مصر؛ وكانوا مائة وثلاثين فخلا بهم وحكى لهم جميع ماراٰه فأعظموه وأكبروه وتأولوه على أمر عظيم يحدث فى العالم.

فقال فيلمون عظيم الكهان، وكان فيلمون إذ ذاك كبيرهم، وكان لا يبرح من حضرة الملك لأنه رأس الكهنة كهنة أشمون، وهى مدينة مصر الأولى، قال إن فى رؤيا الملك عجبا؛ وأمرا كبيرا؛ وأحلام أهل الملك لا تجرى على محال ولا كذب لعظم أقدارهم؛ وكبير أخطارهم، وأنا اخبر الملك برؤيا رأيتها منذ سنة لم أذكرها لأحد من الناس

فقال له الملك قصها على يا فيلمون قال رأيت كأنى قاعد[1] مع الملك على رأس المنار الذى فى أشمون؛ وكأن الفلك قد انحط من موضعه، حتى قارب رءوسنا وكأن علينا كالقبة المحيطة بنا؛ وكأن الملك رافع[2] يديه إلى السماء، وكواكبا قد خالطتنا فى صور شتى مختلفة؛ وكأن الناس يستغيثون بالملك وقد انجفلوا إلى قصره؛ وكأن الملك رافع[2] يديه إلى أن يبلغ رأسه؛ وأمرنى ان أفعل مثل فعله، ونحن على وجل شديد إذ رأينا منه موضعا قد انفتح وخرج منه ضياء يضىء؛ ثم طلعت علينا منه الشمس فكأنا استغثنا بها فخاطبتنا بأن الفلك سيعود إلى موضعه إذا مضت له ثلاث وستون دورة. وهبط الفلك حتى كاد أن يلصق

١) فى الأصلين قاعدا ٢) فيهما رافع فى الموضعين

بالأرض ثم عاد إلى موضعه ، فانتبهت فزعا

فقال لهم الملك خذوا ارتفاع الكواكب وانظروا هل من حادث ، فبلغوا غايتهم فى استقصاء ذلك ، فأخبروه بأمر الطوفان ؛ وبعده بالنار التى تحرق العالم

فأمر الملك ببناء الأهرام ، فلما تمت على ما دبروا حكمه ، نقل اليها ما أحب من عجائبهم وأموالهم وأجساد ملوكهم ؛ وأمر الكهان فزبروا[١] فيها علومهم ، وحكمهم وأشرف ولد حام القبط والهند هم الحكماء .

ذكر ملوك مصر قبل الطوفان

وكان اول من ملك مصر قبل الطوفان بقراويس[٢] وذلك أن بنى آدم لما بغى بعضهم على بعض وتحاسدوا ، وتغلب عليهم بنو قابيل ابن آدم تحول[٣] بقراويس الجبار بن مصرايم بن مواكيل بن داويل بن عرباق بن آدم عليه السلام فى نيف وسبعين راكبا من بنى عرباق جبابرة ؛ كلهم يطلبون موضعا ينقطعون فيه عن بنى آدم ، فلم يزالوا يمشون حتى وصلوا إلى النيل فأطالوا المشى عليه ؛ فلما رأوا سعة البلد وحسنه أعجبهم وقالوا هذا بلد زرع وعمارة ، فأقاموا فيه واستوطنوه ، وبنوا الأبنية والمصانع المحكمة .

وبنى بقراويس مصر ، وسماها باسم أبيه مصرايم[٤] تبركا به وكان بقراويس جبارا له قوة زائدة وبطش وكان مع ذلك عالما له رئى من الجن ؛ فملك بنى أبيه ولم يزل مطاعا فى أمره ، وقد كان وقع إليه من العلوم التى علمها درابيل لآدم عليه السلام ، فقهر بها الجبابرة الذين كانوا معه .

---

١) فى ب فدبروا ، والزبر والكتابة ٢) فى تاريخ القرمانى : نقراوش الجبار بن مصرايم بن مركابيل بن روابيل بن عرياب بن آدم عليه السلام

٣) فى ب تحمل والتصحيح عن القرمانى ٤) فى ب مصريم

وهم الملوك الذين بنوا الأعلام ، واقاموا الأساطين العظام ، وبنوا المصانع الغريبة ، ووضعوا الطلسمات العجيبة ، واستخرجوا المعادن ، وقهروا من ناوأهم من ملوك الأرض ، ولم يطمع فيهم طامع ؛ وكل علم جليل هو فى أيدى المصريين ، إنما كان من علوم أولئك ، كانت مزبورة على الحجارة

فيقال إن فيلمون الكاهن الذى ركب مع نوح عليه السلام فى السفينة هو الذى فسرها لهم ، وعلمهم كتبها ، وسنذكر خبرها فى موضعه إن شاء الله عز وجل

ثم أمرهم بقراويس حين ملك ببناء سموها أمسوسا[1] وأقاموا لها أعلاما طوالا طول كل علم منها مائة ذراع ، وزرعوا وعمروا الأرض ، وأمرهم ببناء المدائن ، والقرى ، وأسكن أهل كل بيت ناحية من أرض مصر

وهم الذين حفروا النيل حتى أجروا ماءه إليهم ، ولم يكن قبل ذلك معتدل الجرى ، وإنما كان ينبسطح ويتفرق فى الأرض ، فوجه إلى النوبة جماعة حتى هندسوه ، وشقوا منه أنهاراً إلى مواضع كثيرة من مدنهم التى بنوها .

وشقوا منها نهراً إلى مدينة أمسوس يجرى فى وسطها وغرسوا فيها عليه الغروس وكثر خيرهم وعمرت أرضهم ، وتجبر بقراويس لما ملك قومه ، وكان عظيمهم .

وبعد عشرين ومائةسنة خلت من ملكه أمر باقامة الأساطين ، وزبروا عليها علومهم .

---

١) فى القرمانى أسوس

ذكر دخولهم البلدة ، وكيف خرجوا اليها ونزلوا بها وحروبهم لمن حاربهم من الملوك

ثم أمر ببناء قبة على أساطين مثبتة بالرصاص ، طولها مائة ذراع ، وجعل عليها مرآة زبرجد أخضر ، قدرها سبعة أشبار ترى خضرتها على أمد بعيد .

وفى مصاحف المصريين أنه سأل الربىء الذى كان معه أن يعرفه فخرج [الى شاطىء] النيل ، فحمله حتى أجلسه على خاف خط الاستواء على البحر الأسود الزفتى [والنيل يخرج] مثل الخيوط حتى يدخل تحت جبل القمر ، ثم يخرج إلى بطائح هناك

ويقال إنه بنى بيت التماثيل هناك ، وعمل هيكل الشمس ، ورجع الى أمسوس وقسم البلد بين بنيه ، فجعل لبقراوس الجانب الغربى ، ولسوريد الجانب الشرقى ، ولابنه الاصغر وهو مصر ام مدينة سماها يربيان ، وأسكنه فيها ، وأقام أساطين كثيرة ، وشق اليها نهرا وغرس فيها غروسا .

وعمل بأمسوس عجائب كثيرة ، منها طائر يصفر كل يوم عند طلوع الشمس مرتين وعند غروبها مرتين ، تصفيرا مختلفا ، يستدلون به على ما يكون من الحوادث ، فيتأهبون لذلك ، وأجرى لهم الماء على مجرى ينقسم منه على ثمانية وعشرين قسما .

وعمل فى وسط المدينة صنمين حجراً أسود ، إذا قدم المدينة سارق لم يمكنه أن يزول عنها حتى يهلك بينهما[1] فاذا دخل بينهما انطبقا عليه ، ولهذين الصنمين أعمال عجيبة غير هذا

---

١) فى القرمانى ان يزول عنهما

وعمل بربيا صورة من نحاس مذهب على منار عال ؛ لا يزال عليها السحاب يطلع ؛ فمن استمطرها أمطرت غايه ما شاء ، فهلكت هذه الصورة فى الطوفان

وعمل على حدود بلدهم أصناما من نحاس مجوفة ، وملأها كبريتا ، ووكل بها روحانية النار ، إذا قصدهم قاصد بسوء أرسلت تلك الأصنام من أفواهها ناراً فأحرقته .

وكان حد بلدهم إلى ناحية الغرب مسافة أيام كثيرة عامرة بالقصور والبساتين ، وكذلك فى البحر ؛ ومن الصعيد إلى بلاد علوة

وعمل فوق جبل بطرس مناراً يفور بالماء ويسقى ما حوله وما تحته من المزارع وملكهم مائة وثمانين سنة .

فلما مات لطخوا جسده بالأدوية الممسكة ؛ وجعلوه فى تابوت من ذهب وعملوا له ناووسا مصفحا بالذهب ؛ وجعلوه فيه ؛ وجعلوا معه كنوزا لا تحصى كثرة ولا تحصر قيمة

ومن الأنواع النفيسة [من] الجوهر وتماثيل الزبرجد ، وكثيرا من أكسير الصنعة المعمول المفروغ منه ؛ ومن الذهب والأوانى المعمولة من الذهب ما لا يحصى كثرة ، ولا تعلم قيمته

وزبروا على البيوت تاريخ الوقت الذى مات فيه ملكهم ، ثم جعلوا على ذلك كله طلسمات تدفع عنه الهوام والحشرات المفسدة ، وصور كل طالب من الانس والجن .

ثم ملك بعده ابنه براوس[١] الملك فتجبر وعتا وعلا أمره وبنى مدينة يقال لها جلجلة وجعل فيها جنة ؛ وصفح حيطانها بصفائح الذهب والحجارة الملونة ، وغرس فيها أصناف الفواكه والغروس تحفها الأنهار

---

١) تقدم اسمه بقراوس وفى كتاب القرمانى نقاوش

وأمر بأقامة أساطين جعلها معالم ؛ وكتب عليها جميع العلوم . وصور أصناف العقاقير بها ، وزبروا عليها أسماءها ومنافعها

وكان له شيطان يعمل له التماثيل العجيبة فهو أول من عمل بمصر هيكلا ، وصور فيه صور الكواكب السبعة ؛ وكتب على رأسه تجاربها . وما عملت من المنافع والمضار ، وألبسها الثياب ؛ وأقام للهيكل كاهنا وسدنة .

وخرج مغربا حتى بلغ البحر المحيط ، وعمل عليه أعمالا ؛ وبنى أساطين جعل على رءوسها أصناما تسرج عيونها كالمصابيح فى الليل ، ورجع على بلاد السودان إلى النيل . وأمر ببناء حائط على جانب النيل . وجعل على شرفها حجارة ملونة شفافة .

وجعل فى مدينة منها خزائن للحكمة ؛ وهى أول عجائب الأرض وأغربها ففى إحدى هذه المدن صنم للشمس . الذى هو أعظم أصنامهم . وهى معلقة عليه فى بيت شرفها وهو صورة إنسان جسده جسد طائر من ذهب أزرق مدبر وعيناه جوهرتان صفراوان ، وهوجالس على سرير مغنطيس . وفى يده مصحف من العلوم .

وفيها صنم آخر رأسه رأس إنسان وجسده جسد طائر ، ومعه صورة امرأة جالسة من زئبق معقود لها ذؤابتان ، وفى يدها مرآة ؛ وعلى رأسها صورة كوكب . وهى رافعة يدها بالمرآة الى وجهها ومظهرة فيها سبعة ألوان من الماء السائل . لا تختلط ولا يؤذى بعضها لون بعض ولا يغيره ، وفيها شيخ جالس من الفيروزج بين يديه صبية جلوس كلهم من أصناف العقيق والجوهر

وفى الخزانة الثانية صورة هرمس وهو مكب ينظر الى مائدة به يديه من نشادر على قوائم كبريت أحمر ، وفى وسطها مثل الصحفة من جوهر أحمر فيها شىء من الصنعة

وفيها صورة عقاب من زمرد أخضر، عيناه من ياقوت أحمر، وبين يديه حية زرقاء من فضة قد لوت ذنبها على رجليه . ورفعت رأسها كأنها تريد أن تنفخ عليه ؛ وفى ناحية منها صفة المريخ راكب على فرس بيده سيف مسلول من حديد أخضر ، وفيها عمود من جوهر أخضر عليه قبة من ذهب فيها صورة المشترى وفيها قبة من اللازورد على أربعة أعمدة من جزع أزرق ؛ وفى سقفها صورة الشمس والقمر يتحدثان فى صورتى رجل وامرأة ، وقبة من كبريت احمر فيها صورة الزهرة على صورة امرأة ممسكة بضفيرتها وتحتها رجل من زبرجد أخضر فى يده كتاب فيه علم من علومهم ، كأنه يقرؤه عليها

وجعل فى كل خزانة من بقية الخزائن من الأموال والجواهر والكنوز والحلى ما لا يعد ولا يقدر قدره

وجعل على باب كل مدينة طاسما ؛ يمنع دخولها فى صور مختلفة ، لا يشبه بعضها بعضا

وملأ كل مدينة بالجوهر النفيس والزبرجد الخطير والذهب والفضة ، والكبريت الاحمر ، واكسير الصنعة ، وصنوف الادوية المؤلفة ، والسموم الفاتكة ، وعلم كل باب منها بعلامة تعرف بها

وانفذ اليها خازنا تحت الأرض وجعلها من تحت جلجلة ، وهى مدينته التى عمل فيها الجنة

وبين كل مدينة من تلك المدن الثلاث عشرون ميلا ، وبين الثلاث سبعة أميال

وكان له من مدينته الى هذه المدائن اسراب تحت الارض يصل منها اليها ، وكذلك من بعضها الى بعض

وصفات هذه المدائن وعجائبها فى كل قرية بمصر على تلك الحجارة ، وفى

جميع مصاحفهم القديمة ، وأكثر ذكرها فى هياكل الكواكب خاصة ؛ وقرىء فى مصحف لبعض الكهان القدماء ذكر بقراوش الملك بكل ما ذكرناه ، وأنه عمل مع ما ذكرناه عجائب كثيرة أزالتها الطوفان وركب هذه الرمال لزوال طلسماتها ، فأقام بقراوش ملكا مائة سنة وسبع سنين ، ثم مات فعمل له ناووس ، وجعل معه من العجائب ما يطول ذكره

وولى بعده ابنه مصرام الملك بن بقراوس ، فبنى للشمس هيكلا من المرمر وموهه بالذهب ، وجعل فى وسط الهيكل كالفرس من جوهر أزرق عليه صورة الشمس من ذهب أحمر ، وأرخي عليه وعليها حلل الحرير الملون ، وأمر أن يوقد عليها بطيب الريحان ؛ وجعل فى الهيكل قنديلا من الزجاج الصافى ؛ وجعل فيه حجرا مدبرا يضىء اكثر مما يضىء السراج ، وأقام له سدنة ؛ وعمل له أربعة أعياد فى السنة

وقيل إن مصر سميت به ، وسمى به مصريم بن حام ، بعد الطوفان لأنه وجد اسمه مزبورا على الحجارة

وكان افليمون الكاهن يخبرهم بأخبار هؤلاء الملوك ؛ وكان مصرام هذا قد ذال الأسد فى وقته ، وكان يركبه ، وصحبه الجنى الذى كان مع أبيه ؛ لما رأى من حرصه على لزوم الهياكل ، والقيام بأمر الكواكب

وأمره أن يحتجب عن الناس ، وألقى على وجهه [من سحره][1] نوراً شديدا لا يقدر أحد على النظر اليه

وادعاه إلها ؛ واحتجب عن الناس ثلاثين سنة ، واستخلف عليهم رجلا من ولد عرباق ؛ وكان كاهنا

ويقال إن مصرام لما ركب فى عرشه ؛ وحملته الشياطين حتى انتهى إلى وسط

---

١) زيادة عن ق

البحر ؛ فجعل له ؛فيه القامة البيضاء ، وجعل عليها صنما للشمس ؛ وزبر عليه اسمه وصفة ملكه . وعمل[1] صنما من نحاس وزبر عليه « أنا مصرام الجبار ، كاشف الاسرار ، الغالب القهار ، وضعت الطلسمات الصادقة ؛ وأقمت الصور الناطقة ؛ ونصبت الاعلام الهائلة ؛ على البحار السائلة ؛ ليعلم من بعدى أنه لا يملك أحد ملكى »

وكل ذلك فى أوقات السعادة ؛ وقد كان عمل فى حنقه شجرة مولدة ؛ تؤكل منها جميع الثمار

وعمل فيها قبة من زجاج احمر على رأسها صنم يدور مع الشمس، ووكل بها الشياطين إذا اختلط الظلام أن لا يخرج أحد من ملكه إلا هلك

وهو اول من عمل الحمام ؛ وأحب أهل مصر أن يروه فسألوا خليفته ذلك ؛ فأمرهم أن يجتمعوا فى مجلس عال كان له ؛ فاجتمعوا وجلسوا عنده ؛ فظهر لهم فى صورة هالتهم ؛ ؛ ملأت قلوبهم رعبا ؛ فخروا له على وجوههم ودعوا له فأمر باحضار الطعام والشراب فأكلوا وشربوا ورجعوا إلى مواضعهم ؛ ثم لم يروه بعد ذلك وبلغ فى كهانته الى ما لم يبلغه أحد من آبائه وأجداده

وملك بعده عيقام الكاهن ؛ فعدل فيهم ؛ وعمل مدينة عجيبة قرب العريش وجعلها لهم حرما؛ وعمل لهم طلاسم عجيبة وعجائب كثيرة ، وقيل ان ادريس عليه السلام رفع فى وقته ولم يطل عمره

وملك بعده ابنه عرباق بن عيقام فتجبر واقبل على صيد السباع والوحش وعمل عجائب

منها أنه عمل شجرة من حديد ذات أغصان ، ولطخها بدواء مدبر ، فكانت تجاب كل صنف من السباع والوحش اليها فيتمكن من صيدها كيف شاء

---

[1] فى ب وجعل وهذه رواية القرمانى

وفى كتب المصريين : أن هاروت وماورت كانا فى وقته بمصر ، فعلما أهل مصر أصنافا من السحر ؛ فنقلا بعد الطوفان إلى أرض بابل وتعلم عرباق من علمها فاحتالت عليه امرأة من المغصوبات فسمته فهلك وبقى مدة لا يعرف خبره وكان رسمه إذا خلا بالنساء لا يقربه أحد

فلما تأخر خبره عن الناس هجم عليه فتى من بنى بقراوس يقال له لوحيم [1] ومعه نفر من أهله ، فوجدوه ملقى على فراشه جيفة ، فأمر أن توقد له نار يحرق فيها فأحرقه ، ثم جمع النسوة اللاتى كن فى الجنة ؛ فمن كانت من نسائه أحرقها معه ، ومن كانت من المغصوبات سرحها إلى أهلها ففرح الناس لما نزل بهم

وملكهم لوحيم الملك فخرج ولبس تاج أبيه ؛ وجلس على سرير الملك ؛ وأمر بجمع الناس . فلما اجتمعوا قام فيهم خطيباً . وذكر ما كان عليه عرباق الأثيم من سوء السيرة واغتصاب النساء وسفك الدماء . ورفض الهياكل والاستخفاف بالكهنة ؛ وأنه لميراث ابيه وجده وأحق به من غيره وضمن للناس العدل والاحسان والقيام بأمرهم ؛ ودفع كل أذى عنهم فرضى الناس منه بذلك ؛ وقالوا له انت أحق بالملك فلا زلت دائم السعادة ، طويل العمر . وانصرفوا مسرورين

فأمر بتجديد الهياكل وتعظيمها ؛ وقرب كثيراً من الكهان ، وأكرم جميعهم ؛ وسار فى الناس بالعدل

وكانت الغربان والغرانيق [2] قد كثرت فى وقته فأهلكت الزرع ؛ فعمل اربع منارات من نحاس فى جوانب أمسوس ؛ وجعل فى كل منارة صورة غراب فيه حية قد التوت عليه فلم يقربهم شىء من تلك الطيور الى أن كان الطوفان فأزال تلك المنارة

ومن ملوكهم حصليم ، وكانت له أخت حكيمة ؛ وكان فى جواريها جارية

---

١) فى ق لوحيم بالمعجمة ٢) فى ب والغرانب والتصحيح عن ق

فائقة العقل والجمال ؛ فعشقها الملك ، وسأل أخته أن تهبها له ؛ فأبت فألح عليها في طلبها ؛ فغضبت واعتزلت ، وبنت هيكلا وتعبدت فيه للزهرة مدة ثم إنها رأت الزهرة تناجيها وتكلمها ، وتأمرها أن تسلم الجارية الى أخيها ؛ وتنهاها أن تمنعه من ذلك ، ففعلت ذلك

ولما صارت الجارية عند الملك حظيت عنده ؛ وفضلها على سائر نسائه فحسدنها وولدت من الملك ولداً ذكراً لم يكن له ولد غيره ؛ فزاد حسدهن لها ، وجعلن يطلبن أذاها ؛ ويطلبن الغوائل لها

وكان أجل وزراء الملك لما يعلم من محبة الملك لها يأتيها في كل يوم فيقضي ما عرض لها من حوائجها ، إجلالا لها ، فلما قصدن ضراتها[1] [إذايتها] لم يجدن أنجع من أن يرمينها بذلك الوزير ؛ وكان ذلك حسدا وبغيا ، فحققن الأمر عند الملك بما أمكنهن من الحيل ؛ فلما وقف الملك على ذلك أمر بقتلها وقتل الوزير ؛ ولم يشاور في ذلك أخته ولا احداً من الحكماء

فلما نفذ أمره بذلك بادر من وقف على ذلك الى أخته فأعلمها فأسرعت الى الذى امر بقتلهما تأمر باستبقائهما ؛ حتى يرى الملك في امرهما

ودخلت على الملك فقالت له ما هذا الذى أمرت به في وزيرك وجاريتك ؟ فقال اتصل بي عنهما كذا وكذا ، قالت أتحدث حدثا عظيما من القتل على ما لم تتحققه ؛ وعن غير مشورة لأهل الحكمة والثقات من اهل المملكة ؟ قال لم أملك صبرى ؛ قالت إن الملوك ليس لهـا ان تعجل حتى يتبين لهم الامر ! فامر باستبقائهما ، وبحث عن أمرها ؛ فوقف على الكذب فيه . فأمر بكل من سعى فيه من ضراتها فأخرجن من القصر

وحصليم هذا هو أول من عمل مقياسا لزيادة النيل ، وذلك أنه جمع اصحاب

---

١) في ب ضراتها فتاها

العلوم والهندسة ؛ فعملوا بيتا من زجاج على حافـة النيل وجعل فى وسطه بركة من نحاس صغيرة فيها ماء موزون ؛ وعلى حافة البركة عقابان[1] من نحاس ذكر وأنثى

فاذا كان فى أول الشهر الذى يزيد فيه الماء ، وفتح البيت وحضر الكهان بين يدى الملك ، وتكلم أمير الكهان بكلام حتى يصفر أحد العقابين ، فان صفر الذكر كان الماء تاما زائدا وإن صفرت الانثى كان الماء ناقصا ؛ ثم يعبرون الماء ،وكل أصبع تزيد فى تلك البركة فهوزيادة ذراع فى النيل؛ فاذا علموا ذلك حفروا للزرع وأصلحوا الجسور وعمل على النيل القنطرة التى ببلاد النوبة اليوم ؛وكان يسمى ابنه هوصال اى خادم الزهرة للرؤيا التى رأتها اخته ؛ وكفلت الغلام عمته وادبته احسن التأديب ؛ وزوجته عشرين امرأة من بنات الملوك العظام . وبنت له مدينة وجعلت فيها عجائب كثيرة احتفلت فيها ؛ وزينتها بأحسن النقش والزينة والعمارة ؛ وعملت فيها حماماً على أساطين يرتفع الماء فيها اليه حاراً من غير وقيد

وهلك حصليم[2] فدفن فى ناووسه ، وملك بعده ابنه هوصال الملك ، وتحول هوصال إلى السرب فسكنه ؛ وبنى مدينة هى إحدى المدائن ذوات العجائب ، وعمل فى وسطها صنما للشمس يدور معها ؛ ويبيت مغربا ، ويصبح مشرقا

ويقال إنه أول من اتخذ تحت النيل سرباً ؛ وهو أول من عمل ذلك، وخرج منه متنكرا يشق الأرض والأمم إلى أن بلغ بابل ، ورأى ماعمـله الملوك من الأعاجيب ؛ وعلم حال ملكها فى الوقت وسيرته ؛ ومجارى أموره

ويقال إن نوحاً عليه السلام ولد فى وقته ؛ وولد لهوصال عشرون ولداً ، وجعل مع كل واحد منهم قاطراً[3] وهو رأس الكهنة

---

١) فى ب عقربان وقد كتبناها عقابان لما يذكره بعد ثلاثة أسطر

٢) فى ب خصليم وقد تقدم بالحاء ؛ وفى ق بالجيم ٣) فى ب ناظرا

وتقول القبط انه من بعد مائة وسبع وعشرين سنة من ملكهم لزم الهيكل الذى كان أقطعه أبوه لايشركه فيه غيره ، وأمور الناس جارية على سداد ، فأقاموا كذلك سبع سنين ، ثم وقع بين الاخوة تشاجر واختلاف : فأجمع رءوس الكهنة على أن يجعلوا أحدهم ملكا ، ويقيم كل واحد منهم فى قسمته ، واجتمعوا لذلك فى دار المملكة

وقام رأس الكهان فتكلم ، وذكر هوصال وفضائله وسعادتهم فى أيامه وما شملهم معه من الخير ، وأخبر بما رأته الجماعة من تقليد أحدهم : فان كان هوصال حيا ورجع إليهم لم ينكر مافعلوه : لأنهم لم يريدوا إلا حفظ ملكه . ورفع المكاره عنه ، وإن لم يرجع كان الأمر على ماسلف ملك بعد ملك فاستحسن الناس ذلك القول ورضوا به رأيا ، وعملوا به

فعقدوا الملك على أكبر ولده سنا وهو فدرشان[1] الملك فسار سيرة أبيه فحمد الناس أمره فعمل فى أيامه قصراً من خشب ونقشه بأحسن النقوش وصور فيه الكواكب ، وبجله بالفروش وحمله على الماء ، وكان يتنزه فيه

فبينما هوفيه ذات يوم إذ هبت ريح عظيمة ، وزاد النيل زيادة كبيرة فانكسر القصر وغرق الملك ، وهلك وقد كان نفى إخوته إلى المدائن الداخلة

واقتصر على امرأة واحدة ، من بنات عمه فولدت ولدا ولم يكن له ولد غيره وكانت ساحرة فسحرته حتى هام بها وانفرد بحبها واستخلف بعض وزرائه على الملك ، واقبل على لذاته ولهوه معها

فلما كان من أمره ما كان من هلاكه كتمته امرأته ، وكان أمره ونهيه يخرج إلى الوزير عنه ، فأقام الناس على طاعته تسع سنين لايعلمون بأمره

فلما رأى إخوته طول غيبته جمعوا [عليها] جموعا عظيمة وقدموا على أنفسهم

---

١) فى ق تدرسان

حدهم وهو نمرود الجبار

وساروا إلى أمسوس وبلغ ذلك الساحرة امرأة قدرشان : فأمرت الوزير على أمر الملك على عادتها بالخروج إليهم وبمحاربتهم ، ففعل فهزموه وقتلوه وقتلوا كثيراً ممن كان معه

ودخلوا مدينة أمسوس وأتوا دار الملك فلم يروا له خبراً : فأيقنوا بموته ؛ وكانت الحيلة وقعت من امرأته الساحرة

فجلس على سرير الملك نمرود [1] بن هوصال أخود وملك النـاس ووعـدهم بحسن السيرة فيهم وتقييد ما كانوا ينكرونه ، من أفعال أخيه واستولى على أمواله وخزائنه ففرقها على اخوته واقطعهم جميع ما كان أخوه ادخره لنفسه

وطلب امرأته الساحرة وابنها ليقتلهما فلم يقع لهما على خبر لأن أمه ذهبت به إلى مدينة أهلها بالصعيد وكانوا كلهم سحرة وكهانا

فامتنعت بهم وداخلت الناس واعلمتهم أن ابنها هو الملك بعد أبيه لان أباه قلده الملك وأمرها أن تدبر الناس ، وأعلمتهم فصدقوها وأجابوها وقالوا ان الغلام مغلوب على ملكه وان النمرود متغلب غاصب فاجتمع من حمايتها ونصرتها بشر كثير

وزحف ابن الساحرة الى نمرود بجموع كثيرة وقد عمل له السحرة أصنافا من التماثيل المهلكة والنيران المحرقة فخرج اليه نمرود واخوته فيمن معهم من الاجناد والاتباع فنهزم الملك واخوته وتعلقوا ببعض الجبال

ونزل ابن الساحرة بدار الملك وجلس على سريره ولبس تاج ابيه وطافت به بطارقته وكان اسمه توسدون [2] ملك وهو حدث وكانت أمه تدبر أمره فقتل كل من كان صحب النمرود وجد فى طلبه ومحاربته حتى ظفر به وسيق اليه أسيرا

---

١) فى ق شمرود ٢) فى ق توميدون

واجتمع الناس لينظروا اليه فشدت رأسه برأس اسطوانة قائمة وشدت رجله[١] باسطوانة اخرى ، وكان طوله فيما تذكره القبط عشرين ذراعا واودعته بيتا ووكلت به رجالا من حرسها لتقتله يوم عيدها وكان قويا فصاح فى الليل صيحة مات منها بعض الحرس ، وهرب الباقون فلما بلغها ذلك امرت بانزاله واحضرته وامرت بنار توقد فأوقدت وجعلت تأمر فيقطع منه عضو بعد عضو فيلقى فى النار حتى فرغ منه

وكبر ابنها فخرج كاهنا منجما ساحراً ، فعملت له الشياطين قبة من زجاج كرية[٢] مدبرة دائرة على دوران الفلك وصوروا عليها صور الكواكب ، وكانوا يعرفون بها أسرار الطبائع ، وعلوم العالم بطلوعها وأفولها

وبعد ستين سنة من ملكه ماتت أمه الساحرة ، وأوصت أن يجعل جسدها تحت صنم القمر بعد أن يطلى بما يدفع عنه النتن ، وكانت وهى ميتة تخبرهم بالعجائب وتجاوبهم على كل مايسألون فهاب الناس لابنها وفزعوا له . وكان يتصور لهم فى صور كثيرة وملكهم مائة سنة ، ولما حضرته الوفاة أمر أن يعمل له شكل صنم من زجاج يكون شفيفا[٣] ويطلى جسده بالأدوية الممسكة له ، ويدخل فى تلك الصورة التى من الزجاج ، ويلحد ما بين الشفتين وينام فى هيكل الأصنام ويعمل له فى كل سنة عيد تقرب فيه القرابين ، وتدفن تحته كنوزه ، ففعل ذلك كما أمر

وملك بعده ابنه سرباق[٤] الملك فعمل بسيرة ابيه وجدته ، واجتمع عليه ، وزحف رجل من بنى طربيس بن آدم من ناحية العراق فتغلب على الشام

وأراد أن يزحف إلى مصر فعرف أنه لايصل إليها لسحر أهلها ، فأراد أن

---

١) فى ق رجليه ٢) فى ب كورية ٣) فى ق من زجاج على شقين فلعل الصواب إذن : شقيا ٤) فى ق شرباق

يدخلها متنكرا ليعرف أهلها ؛ ويقف على سحر بعض أهلها ؛ فخرج ومعه نفر حتى وصلوا إلى حصن من أول حدود مصر ؛ فسألهم الموكلون به عن أمورهم فعرفوهم أنهم تجار يقصدون بلداً يسكنونها ، ومعهم اموالهم ليحترفوا كيف ظهر لهم بها ، فحبسوهم وأرسلوا إلى الملك بخبرهم

وقد كان رأى الملك فى منامه كأنه كان قائما على منار لهم عال ، وكأن طائراً عظيما قد انقض عليه ليختطفه فحاد عنه حتى كاد[1] أن يسقط عن المنار ؛ فجاوزه الطائر ولم يضره فانتبه مذعوراً ؛ وبعث إلى رأس الكهنة ، فقص عليه رؤياه فعرفه أن ملكا يطلب ملكه ؛ فلا يصل إليه

فنظر فى علمه فرأى ذلك الملك الذى يطلب ملكه قد دخل بلده ووافق ذلك دخول الرسل من ذلك الحصن بذكر القوم ؛ فعلم الملك أنه فيهم فوجه بجماعة من أصحابه معه ؛ فاستوثقوا منهم وحملوهم إليه

وقد كان الملك أمرهم أن يطوفوا بهم على أعمال مصر[2] كلها ؛ ليروا مافيها من الطلسمات والأصنام والعجائب والمعجزات فبلغوا بهم إلى الاسكندرية ، ثم ساروا بهم إلى أمسوس ، فأوقفوهم على عجائبها ثم ساروا بهم إلى الجنة التى عملها مصرام وأمر السحرة باظهار التماثيل فجعلوا يتعجبون مما يرون حتى وصلوا إلى سرباق الملك ، والكهنة حوله قد أظهروا صنوف العجائب ؛ وجعلوا بين يديه ناراً لا يصل إليها إلا من كان من خاصته . ولا تضرُّ الا من أضمر للملك غائلة وأمر فشقوها واحدا بعد واحد فلم تضر منهم أحد

وكان ذلك الملك آخر من دخلها منهم . فلما دنا من النار أخذته فولى هاربا فأتى به سرباق فسأله عن أمره وتوعده ، فأقر فأمر بقتله ؛ وحمله الى الحصن الذى أخذ به فصلب هناك من جهة الشأم على اسطوانة عظيمة من حجر وزبر

---

١) فى ب كان ٢) فى ب الجمال بمصر

عليها هذا فلان بن فلان المتغلب على الشأم أضمر غائلة للملك . وطلب مالم يصل إليه تعديا منه عليه وظلما له . فعوقب بهذا

وأمر باطلاق الباقين . وقيل لهم قد وجب عليكم القتل ؛ لصحبتكم لمن أراد الفساد فى الأرض . ولكن الملك بفضله عفا عنكم وأمر أن تخرجوا من بلاده ، ولا تعودوا إليها ابداً فخرجوا هاربين . مسرورين بالسلامة فكانوا لا يمرون بأحد إلا حذره بما رأوا من العجائب . فانقطعت أطماع الملوك فى الوصول الى مصر والتعرض لها . وعملت فى وقت سرباق عجائب كثيرة .

منها أنه عمل عرباق فى مدينته بطة من نحاس قائمة على اسطوانة ، فاذا دخل الغريب من ناحية من النواحى أو باب من الأبواب صفقت بجناحيها ؛ وصرخت فيؤخذ [الداخل] ويكشف عن أمره ومقصده وشق الى مدائن الغرب نهراً من النيل ، وبنى على عبريه منازل وأعلاما ، وغرس فيها عروسا يتنزه عليها وملكهم مائة سنة وثلاثين سنة .

وملكهم بعده ابنه سهلون بن سرياق ، وكان سهلون عالما منجما كاهنا ، وأفاض العدل وقسم ماء النيل قسما موزونا ؛ صرف الى كل ناحية قسطا ؛ ورتب الدولة وجعلها على سبع طبقات .

(الطبقة الأولى) الملك وولده وأهل بيته ومن يلى عدله ، ورأس الكهان ، والوزير الاكبر ، وصاحب خاتم الملك ؛ وصاحب خزائنه .

(والطبقة الثانية) مراتب العمال والمتولين لجباية الأموال ، والأشراف على النفقات ؛ فى أمر المملكة ؛ ومصالح البلاد والعمارات ؛ وقسمة المياه

(والطبقة الثالثة) الكهان وأصحاب الهياكل وخدمتها ؛ ومتولى الفراش والمشرف على مايقرب من بوادر الفاكهة والرياحين وصغار البقر والغنم والفراريج الذكور ، وما يعرف من مثل ذلك فى طعام الملك وخوابى الشراب ، وغير ذلك

مما يشبهه .

(والطبقة الرابعة) المنجمون ، والأطباء ، والفلاسفة ، ونحوهم

(والطبقة الخامسة) أصحاب عمارة الأرض ، والمتولون أمر الزراعة ، والغرس .

(والطبقة السادسة) أصحاب الصناعات والمهن ، والمغيدون فى كل سنة فى كل فن ، والمشرفون على أعمالهم ، ونقل مايستحسن من أعمالهم إلى خزائن الملك .

(الطبقة السابعة) أصحاب الصيد من السباع والوحش والطير والهوام ، والمشرفون على أخذ دمائها ومرارتها وشحومها ، وحملها الى الأطباء لاصلاح العقاقير ، وتأليف الأدوية .

وتقدم اليهم ألا يدخل أهل صناعة فى دلسة ، ولا مهنة فى غير ما هو فيه ومن قصر فى عمله عوقب ، ومن أحسن فى عمله جوزى

وكانت رتبة أهل الملاهى والألحان فى قسمة الملك

وتقدم فى بناء المدائن ونصب الاعلام والمنارات ، وابتدع مايستغرب من الصناعات ، وإجراء المياه ، وتوليد غرائب الاشجار

وأقام على أعالى الجبال سحرة يقسمون الريح ، ويمنعون من أراد بلدهم بأذى ، وكذلك يمنعون كل طائر وسبع ووحش وهوام ، وجرى فى الناس على السداد والاعتدال

وجعل لكل صنف من الناس صنفا من الكهنة يعلمونهم الدين ، ودينهم يومئذ الصابئة الأولى ويرفع كل صنف منهم ما يجرى من جميع مايقولونا إلى الملك فى كل يوم وعمل البيت ذى القباب النورية ، وأوقد فيها النار الدائمة تعظيما للنور .

والقبط تزعم أنه أول من عمل بيتاً لتعظيم النار ؛ وقيل إن حمير[١] الفارسى بنى بيتاً للنار ، وهو أول من عمل ذلك للفرس اقتداء بسهلون الملك بمصر

وكان السبب لعمل سهلون أنه رأى فى منامه كأن أباه أتاه ؛ فقال له انطلق إلى جبل كذا من جبال مصر ؛ فان فيه كوة من صفتها كذا ؛ فانك واجد على باب الكوة أفعى لها رأسان ، فانها إذا رأتك كشرت فى وجهك ، فليكن معك طائران صغيران ذكر[٢] وأنثى ؛ فاذا رأيت الأفعى فاذبح لها الطائرين وألقهما إليها فانها تأخذ برأسيهما ؛ وتنحاش بهما إلى سرب قريب من الكوة فتدخل فأذا غابت عنك فادخل الكوة تنتهى فى آخرها امرأة عظيمة من نور حار يابس ؛ فسوف يسطع لك وجهها وتحمى بحرارتها ؛ فلا تدنو إليها فتحترق وقف حذاءها ؛ وسلم عليها ؛ فانها تخاطبك ؛ واسكن الى خطابها ؛ وانظر ماتقوله لك فاعمل به فانك تتشرف به

وهى حافظة كنوز جدك مصرام التى رفعها تحت مدائن العجائب المعلقة وهى تدلك عليها ؛ وتنال مع ذلك شرفاً وطاعة من قومك ورعيتك ، ثم مضى وتركه .

فانتبه سهلون ، وجعل يتفكر فيما رأى وتعجب منه وعزم أن ينفذ ما أمره به فمشى إلى الجبل وحمل الطائرين معه وامتثل ماأمره به أبوه إلى أن وقف حذاء المرأة فسلم عليها ؛ فقالت له أتعرفنى ؟ قال لا ، لأنى مارأيتك قبل وقتى هذا ؛ قالت له : أنا صورة النار المعبودة فى الأمم الخالية ؛ وقد أردت أن تحيى ذكرى ، وتتخذ لى بيتا وتوقد لى فيه ناراً دائمة ؛ بقدر واحدة ، وتتخذ لى عيداً فى كل سنة تحضره أنت وقومك ، فانك تتخذ بذلك عندى أنلك بها شرفا الى شرفك ؛ وملكا إلى ملكك ؛ وامنع عنك وعن قومك من يطلبك ويعمل

١) لعل الصواب جمشيد ٢) فى ب ذكرا

الحيلة عليك ، وأدلك على كنوز جدك مصرام

فضمن لها أن يفعل ذلك فدلته على الكنوز التى كنزها جده تحت المدائن المعلقة ، وكيف يصير اليها ، وكيف يمتنع من الأرواح الموكلة بها وما ينجيه منها .

فلما فرغ مما أراده من ذلك قال لها فكيف لى بأن أراك فى الأوقات التى أريد وأحتاج أن أسألك عما يطرأ من الأمور فأسير اليك ؟ قالت له اما هذا المكان فلا تقرب به بعد وقتك هذا ، ولكن إذا احببت ان ترانى فدخن فى الوقت الذى علمته لك بكذا وكذا ، اشياء ذكرتها له : منها عظام مايقرب به من القرابين والذبائح ، وصموغ الأشجار . فانى اتخيل لك واخبرك بكل حق وباطل يكون فى بلدك

فلما سمع ذلك منها سر به سرورا عظيما ، وغابت الصور ، وظهرت الافعى ، وخرج هاربا ، فلما نجا جعل على الكوة سداً ، ولم يؤخر مافعلته به

وأخرج كنوز جده وعمل بأمسوس وغيرها من العجائب مايطول به الذكر

فمنها القبة المركبة على سبعة أركان ، فى بعض مصاحف القبط أن هذه القبة يقال لها قبة القضاء

وكان السبب فى بنيانها أن بعض الكهنة جار فى قضية قضاها ، وذلك أن بعض العامة أتاه يشكو امرأته ، ويذكر أنها تأباه وهو يحبها وتبغضه ، وسأل أن يقومها له بالاظهار ، وكانت المرأة من اهل بيت الكاهن ، فأمالها عن زوجها وأمره بتخليتها فلم يفعل ، وحبسه وشدد عليه ، وكان من اهل الصناعات

فاجتمع من اهل صناعته من كان قد عرف حاله ، وحال المرأة معه ، وأنها ظالمة له وهو لها منصف ، وعلموا ظلم الكاهن له فاستعدوا عليه عند خليفة الملك فأحضره وسأله عما ذكروه فذكر أنه لم يحكم إلا بواجب

فأحضر بعض رؤساء الكهنة ، وأظهر القوم الذين شهدوا للرجل ؛ فوقف على ظلم الكاهن

فأخرج الرجل من الحبس وحبس الكاهن مكانه ، وامر بالمرأة أن تعاقب وترد عليه

ورفع ذلك إلى الملك ، فأمر أن يخرج ذلك الكاهن من رسم الكهان ؛ وأن يحبس إلى أن يرى رأيه فيه ، واهتم الملك لذلك وخاف أن يجرى من غير ذلك الكاهن مثل ما جرى منه ؛ وأن يكون ما قد أبرمه من امر المملكة و هاءها لا يتحكم له حسبما أحب ؛ وبات مهموماً مفكرا

فلما أصبح اصطبح وتطيب وتكلم ودخن بالدخنة التى أمر بها فتجلت له تلك الصورة وخاطبته فسألها أن تعمل له عملا يقف به على حقيقة الظلم وخفيه ؛ ويعرف المظلوم من الظالم

فأمرته أن يبنى بيتا مركبا على سبعة اركان ، ويجعل له سبعة ابواب ؛ على كل ركن بابا ، ويعمل فى وسطه قبة من صفر ؛ ويصور فى أعلاها صور الكواكب السبعة

ويعمل على الباب الاول من القبة مثال اسد رابض وحذاءه من الجانب الآخر لبوة رابضة من صفر ويقرب لهما جرو أسد ، ويبخرهما بشعره

وعلى الباب الثانى : تمثال ثور وبقرة ، ويذبح لهما عجلا ، ويبخرهما بشعره

وعلى الباب الثالث صورة خنزير وأنثاه ، ويذبح لهما خنوصا ؛ ويبخرهما بشعره

وعلى الباب الرابع صورة جمل وشاة ، ويذبح لهما سخلة ؛ ويبخرهما بشعرها

وعلى الباب الخامس صورة ثعلب وحدأة وانثاه ، ويذبح لهما فرخ عقاب ، ويبخرها بريشه ؛ ويلطخ وجوه جميعها بدم القربان ، ثم يحرق بقية القرابين ويجعل رمادها تحت عتبة أبواب القبة ، ويجعل لها سدنة يوقدون فيها المصابيح

ليلا ونهاراً سبعة ايام

فاذا فرغت من ذلك كله فاجعل لكل مرتبة من تلك المراتب التى قسمتها ، وجعلتها على سبع طبقات بابا من تلك الأبواب ، وليكن باب الاسد لاهل المملكة وسائر الأبواب لسائر المراتب ، فانه إذا تقدم إلى شىء من تلك الصور أهل الخصومات التصق الظالم بها ، وشدت الصورة عليه شدا عنيفا وآذته وآلمته حتى يخرج لخصمه من حقه ؛ الذكر للذكر ، والأنثى للانثى ؛ فتعرف بذلك الظالم من المظلوم

ومن كان له قبل أحد حق ودعاه إلى بعض الصور فلم يجىء معه ، فأتاها المظلوم فعرفها بذلك أقعد الظالم من رجليه وخرس لسانه ، ولم يتحرك من مكانه حتى ينصف صاحبه

فلم يؤخر الملك عمل القبة على ما أمرت به وشرع فيها من حينه ، وأتمها على ما أحسن ما يكون هيئة وصلاحا واستراح من الاهتمام بأمور الناس ؛ فلم يتظلم بعضهم من بعض

وعلم أنه لا يجوز لبعضهم ظلم بعض ، مع تلك الصورة ، فلم تزل تلك الصورة باقية إلى أن أزالها الطوفان مع ما أزال من اعمالهم وعجائبهم

وعملت فى وقت سهلون اعمال كثيرة ؛ وكتب سيرته وما ابتدعه من العجائب فى مصحف ، وعمل ادوية وعقاقير كثيرة وتماثيل متحركات

وأمر أن يحمل ذلك كله مع المصحف الذى كتب فيه سيرته ومع كنوزه وذخائره إلى ناووسه الذى يجعل فيه إذا مات ، وهو قد عمله فى الجانب الغربى ووضع فيه غرائب وحكمة فلما مات عمل فيه ذلك

وملك بعد ابنه سوريد بن سهلون الملك ، وحزن عليه هو واهل مملكته ورعيته ، حزنا عظيما لم يحزن على ملك قبله ، وكان ملكه مائة وتسعا وتسعين سنة

وأقام دولته ورعيته عند ناووسه شهرا ينوحون ويبكون ، وأقاموا فى ناووسه خدمة يخدمون أموره وسدنة يحفظون ما يجب حفظه منه ؛ وجلس ابنه على سرير الملك ، واقتفى سيرة أبيه فى العدل والصلاح وعمارة الأرض ؛ وسياسة الناس والانصاف بينهم ، والأخذ لهم من نفسه وأهل بيته

وهو أول من جبى الخراج بمصر ؛ وألزم أهل الصناعات على أقدارهم ، وأول من أمر بالانفاق على المرضى والزمنى من خزائنه وبنى المنارات ؛ ونصب الأعلام والطلسمات والهياكل ؛ وحسن عمارتها على أحسن ما تقدم لسواه فأحبه الناس وحمدوا أمره ؛ وعمل مرآة من أخلاط كثيرة ، كان ينظر اليها فيرى الاقاليم ؛ وما أخصب منها وما أجدب ؛ وكما يحدث فيها . وكانت على منارة من نحاس فى وسط مدينة أمسوس

وتقول القبط إنه عملها لمصر خاصة ؛ وكان يرى فيها جميع من يقصدها من كل ناحية ، ويعلم بذلك جميع من يقصدها[1] فكان يأخذ أهبته لذلك ؛ وهو أول من عمل صحيفة فى كل يوم يكتب فيها جميع ما يكون فى يومه ، وما يعمل فيه ثم ترفع إليه وتودع فى خزائنه يوما فيوما ، فاذا مضى الشهر نقلت صحائف أيامه إلى مصحف الملك وختم بخاتمه ؛ وخلد فى خزائنه وما صلح منه أن يزبره فى الحجارة زبره

وكذلك ما عمل من الصنائع وما أحدث منها ؛ وكان يعطى الرغائب على الصناعات العجيبة والحكم الغريبة

وعمل وسط المدينة صورة امرأة جالسة فى حجرها صبي كأنها ترضعه ؛ فكل امرأة أصابتها علة فى جسمها مست من جسد تلك الصورة الممثلة ، فيزول عنها ما تجده على ما كان

---

١) هكذا فى الأصول مع هذا التكرار

وكذلك إن قل لبنها : مسحت ثديها فكثر ، وكذلك إن أحبت أن تعطف عليها زوجها مسحت وجهها بدهن طيب : وقالت لها افعلى كذا وكذا وإن قات حيضتها وفرقت منه مسحت تحت ركبها ، وان اصاب ولدها شيء فعلت بالصبي كذلك فيبرأ ، وإن عسرت ولادتها مسحت رأس الصبي سهل ، وكذلك البكر يسهل عليها افتضاضها ، وإذا وضعت الزانية يدها عليها ارتعدت حتى تكف عن فجورها : وما كان من أعمال الايل يحدث ليلا ، وما كان من النهار يحدث نهارا : وكانت تعمل اعمالا كثيرة إلى ان ازالها الطوفان

وفى بعض كتب القبط انها وجدت بعد الطوفان : وانهم استعملوها وعبدوها وصورتها فى جميع برابى مصر مصورة برسمها ملونة ، والذى دلهم عليها كانوا قرابات فيلمون الكاهن : ودلوهم على جميع اعمال مصر ، وسنذكر خبرهم فى هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

وعمل ايضا سوريد فى وقته غرائب كثيرة منها الصنم الذى يقال له بكوس المعمول من الأخلاط الكثيرة فى الطب وكان يعمل اعمالا كثيرة فى دفع الأسقام والعلل عن أهلها : ويعرفون به من يبرأ منهم فيعالجونه فيعيش : و[يعرفون من يموت] بعلامات تظهر منه ، فيقصرون عن علاجه ، وكان يزيل الاوصاب بأن يغسل الموضع بأزاء أصحاب العلل منه ، ويسقى ذلك الماء الذى يغسل به لصاحب الداء فيزول عنه وكثير من هذه الأعمال

وهو أول من عمل الابرقات الايرونيات ، وزبر عليها جميع العلوم

وهو الذى بنى الهرمين العظيمين المنسوبين الى شداد بن عاد ، والقبط تنكر أن تكون العادية دخلت بلدهم ، والعمالقة تقول سحرهم ومنعهم من ارادتهم بشر ما يريدونه بهم ، وبذلك يقول الحرانيون ، وقد نقل ذلك ابو معشر فى كتاب الألوف

وكان سبب بناء سوريد للهرمين انه رأى رؤيا ، أثبتها فى موضعها ، فأحضر كهنته ومنجميه ، وقص عليهم من نزول المرآة فى صورة امرأة وانقلاب الأرض بأهلها ، وانكساف الشمس بأسرها ، وهى الرؤيا بعد فأخبروه خبر الطوفان أنه يكون على الصورة التى كان ، وذلك مذكور فى كتاب تاريخ يرويه المقربون عن آخرين من القبط وجد فى بعض ذراريهم على صدر ميت ، وذكر أنها من ولد رجل من اهل مصر الأوائل ممن نجا من الطوفان وركب مع نوح عليه السلام فى السفينة ، وكان ممن آمن به وحمل ابنيه وقيل بن مصرام بن حام وكان أبدع الناس فهما فى العلوم

وكان فى الكتاب أن الملك سوريد بنى فى الصعيد ثلاث مدائن وعمل فيها عجائب كثيرة ، وسنذكر شيئا من أخبار هذين الأخوين إن شاء الله تعالى

وكان فى الكتاب أن الملك سوريد بن سهلون ملك مصر لما رأى فى منامه مارأى أخبر فيلمون رأس الكهنة بما رآه من الأمور ، أمرهم ان ينظروا فيما تدل عليه الكواكب من احداث فى العالم ، فتصيب اكثره ، فأقاموا لها فى وقت مسألته اياهم مسألة امعنوا فيها النظر ، فدلت على آية تنزل من السماء ، وتخرج من الارض فتعم اكثر الأرض ، وهو طوفان عظيم لا يبقى به شيء

قال فانظروا هل ينجز ذلك ويعود أم يبقى هو معمولا دائما ؟ فنظروا فظهر انه يعود العمران والملك ، وكل شيء كما كان وعرفوه بذلك ، فأمر حينئذ ببناء بربى وأعلام عظام له ولأهل بيته ، تحفظ أجسادهم ، وما أودعوه بها من أموالهم وزبروا فيها وفى سقوفها وفى حيطانها واسطواناتها ، جميع العلوم الغامضة . التى يدعيها أهل مصر بين جميع الأمم ، وصور فيها صور الكواكب العظام منها وصور الصغار منها ، ورسم ذلك بعلامات تعلم بها

وزبر فيها أسماء العقاقير ومنافعها ، وعمل الطاسمات وأشكالها ، وعلم الحساب

والهندسة ، وغير ذلك مماينتفع به مزبورا ومفسرا لمن عرف كتابهم ولغتهم

وقالوا إن هذه نازلة وكائنة إذا كانت تكون من جميع أقطار العالم إلا اليسير منه ، وذلك كائن إذا نزل قلب الأسد بأول دقيقة من رأس السرطان ؛ وتكون الكواكب عند ذاك فى هذه المواضع من الفلك يكون القمر مع الشمس فى أول دقيقة من الحمل ، وراوس وهو المشترى فى سبع وعشرين درجة من الحوت والمريخ فى ثمان وعشرين درجة وخمس دقائق من الحوت ، وأفرودين وهو الزهرة فى سبع وعشرين درجة وثلاث دقائق من الحوت ، وهرمس وهوعطارد فى سبع وعشرين دقيقة من الحوت ، وزحل والجوزاء فى الميزان وأوج القمر فى الأسد على خمس درجات ودقائق

فلما علموا ذلك وتحققوه قال انظروا أيضا هل يكون بعد هذه الآفة آفة أخرى تنزل من السماء إلى الأرض تكون ضد الأخرى التى تنزل أولا . وهى النار التى تحرق أقطار العالم ؛ فعرفوه فقال انظروا متى يكون الكون الآخر وهو المضمر؟ فنظروا فوجدوا أنه يكون إذا نزل قلب الأسد فى آخر دقيقة من الدرجة الخامسة عشرة من الأسد فتكون الشمس معه فى دقيقة واحدة متصلة بزحل تثليث الرأس ؛ ويكون المشترى فى الأسد غير مستقيم السير ؛ وعطارد معه فى دقيقة ، ويكون القمر فى الدلو متصلا بالذنب فى اثنى عشر جزءاً ؛ وتكون الزهرة فى بعدها الأبعد مستقيمة السير ويكون المريخ فى الأسد مستقيم السير ، ويكون فى ذلك الشمس تنطبق منه [على] الأرض [انطباقا] لم يعهد مثله

فعرفوا الملك بما ظهر لهم من ذلك ؛ وقالوا إن قلب الأسد إذا قطع ثلاثة أدوار لم يبق من حيوان الأرض شىء متحرك إلا تلف وهلك واذا استتم أدواره تحللت أمر الفلك ، فأمر الملك بقطع الاساطين العظام وبنشر البلاطات الهائلة واستخراج الرصاص من أرض المغرب ؛ وإحدار الصخور من ناحية اسوان

وكانت سوداء عظاما تساق فى العجل: فجعل منها آساس الاهرام الثلاثة الشرقى والغربى والملون وجميعه من الحجر الملون الأسود والابيض

وقيل كانت لهم صحائف من خواص اشياء وعليها كتابات ، فاذا قطع الحجر وتم احكامه وضعوا عليه تلك الاشياء وضربوه فيغدو بتلك الضربة مايغيب به عنهم ثم يعاودون ذلك حتى يصل

فوضعت آساس الاهرام بالدهشور منها الهرم الشرقى والهرم الغربى والهرم الملون

وكانوا يمدون البلاطة ويجعلون في وسطها قضيب حديد قائم ، ثم يركبون عليها بلاطة اخرى مثقوبه الوسط ، فيدخــــل ذلك فى ذلك الثقب ، ثم يذاب الرصاص ويصب حول البلاطة وفى الثقب بهندمة واتقان بعد تأليف مافيها من النقوش والكتابة والصور ، حتى بلغوها من ذلك إلى ما يحار فيه الوهم : وجعل ابوابها تحت الارض بأربعين ذراعا فى آزاج مبنية بالرصاص والحجارة: طول كل أزج منها مائة وخمسون ذراعا

فأما باب الهرم الشرقى : فأنه من الناحية الشرقية على مقدار مائة ذراع من وسط حائط الهرم

وأما باب الهرم الغربى فمن الناحية الغربية : وهو أيضا على قياس مائة ذراع من وسط الحائط : حتى تنزل الى باب الأزج المبنى فتدخل منه

وأما باب الهرم الملون بلونين من الحجارة فمن الناحية الجنوبية يقاس أيضا من وسط الحائط الجنوبى مائة ذراع ، ويحفر حتى يوصل الى باب الأزج والمبنى له ، ويدخل منه إلى باب الهرم ، وجعل طول كل واحد منهما فى الهوى مائة ذراع بالذراع الملكى ، وهو خمسمائة ذراع عندنا بذراعنا اليوم ، وجعل ضلع كل واحد من جهاته مائة ذراع ورفعها فى الاستواء حتى بلغ أربعين ذراعا فوق الارض ،

ثم هندمها من كل جانب حتى تحددت أعاليها عند آخر طولها

وكان ابتداؤهم لبنائها فى وقت سعد اجتمعوا عليه وتخيروه ، فلما فرغ منها كساها ديباجا ملونا من فوقها الى أسفلها ، وعمل لها عيدا لم يبق فى المملكة أحد إلا حضره

ثم أمر بعمل ثلاثين مخزنا بنيت من حجارة صوان ملونة فى الهرم الغربى ، وملئت بآلات الزبرجد والتماثيل المعمولة من الجواهر الغالية ، والطلسمات الغريبة ، وآلات الحديد الفاخر والسلاح الذى لايصدأ ، والزجاج الذى يطوى فينطوى ولا ينكسر ، وأصناف العقاقير المفردات والمؤلفات ، والسموم القاتلات وغير ذلك مما يطول وصفه ، ولا يدرك عده

ونقل إلى الهرم الآخر وهو الشرقى أصنام الكواكب والقباب الفلكية ، وما عمل أجداده من التماثيل والدخن الذى يتقرب بها اليها ومصاحفها ، وما عمل لها من التواريخ والحوادث التى مضت والأوقات التى تحدث منها ماينتظر ، وذكر من يلى مصر إلى آخر الزمان ، وكون أدوار الكواكب الثابتة وما يحدث فى دورانها وقتا وقتا ، وجعل فيها المطاهر التى فيها المياه المدبرات وما أشبه ذلك من هذه الأشياء

وجعل فى الهرم أجساد الكهنة فى توابيت صوان أسود ، ومع كل كاهن مصحف فيه عجائب صنعته وعمله وسيرته وما عمل فى وقته

وكانوا على مراتب المرتبة الاولى القاطرون [1] وهم الذين تعبدوا للكواكب السبعة لكل كوكب سبع سنين ، ومعنى القاطر عندهم جامع العلم

والمرتبة الثانية لمن تعبد لستة وله أيضا اسم ، والمرتبة الثالثة لمن تعبد لخمسة والمرتبة الرابعة لمن تعبد لأربعة ، والمرتبة الخامسة لمن تعبد لثلاثة ، والمرتبة

---

١) فى ب الناظرون وقد مضى أن الصواب القاطر بالقاف والطاء

السادسة لمن تعبد لاثنين والمرتبة السابعة لمن تعبد لواحد [1] ولكل واحد من أصحاب المراتب السبعة اسم يعرف به

وجعل فى جهة من الهرم مرتبة من هذه المراتب فى توابيتهم ، وجعل مع أجسادهم مصاحفهم كتبوها فى ورق الذهب ، ذكروا فيها جميع ما كان ومايكون وما قد عملوه من العجائب ، وجعل فى الحيطان من كل جانب كما تدور أصناماً تعمل بأيديها جميع الصناعات ، على مراتبها وأقدارها وصفة كل صنعة وعلاجها ، وما يصلح لها

وكتب مزبورا على الصور جميع علاجات الأشياء كلها ، وعلم النواميس ، وعلم كل علم ثم جعل فيها أموال الكواكب التى أهديت إليها ، وأموال الكهنة وقدر ذلك لا يحصى عددا ولا وزنا

وجعل لكل هرم منها خازنا ؛ فصاحب الهرم الشرقى صنم مجزع من جزع أسود وأبيض له عينان مفتوحتان براقتان ، وهو جالس على كرسى ؛ ومعه شبه الحربة إذا نظر اليه ناظر سمع من جهته صوت يكاد ينزع قلبه فيهيم على وجهه ويختلس عقله ، ولا يكاد يفارقه الهم حتى يموت منه .

وجعل خازن الهرم الغربى صنما من حجر صوان مجزعا واقفاً معه شبه الحربة على رأسه حية مطوقة ، من قرب منه وثبت اليه من ناحية قصده ، فتطوقت على عنقه فقتلته ثم عادت إلى رأس الصنم

وجعل خازن الهرم الملون صنما صغيرا من حجر البهت على قاعدة منه قائما ، من نظر إليه اجتذبه الصنم حتى يلصق به ، فلا يفارقه حتى يموت

فلما فرغ من ذلك ضمدها بالأرواح الروحانية ، وذبح لها الذبائح لتمنع من أنفسها من أراد الوصول إليها ، إلا من قرب لها وعمل لها بأعمال الوصول

---

[1] تقدم أن الذى يتعبد لكوكب واحد كان يسمى ماهراً

وذكرت القبط أن عليها كتابا منقوشا تفسيره بالعربية « أنا سوريد الملك الملك : بنيت هذه الأهرام فى وقت كذا من الزمان ، وأتممت بنيانها فى ست سنين : فمن أتى بعدى ، وزعم أنه ملك مثلى فليهدمها فى ستين سنة ، وقد علم أن الهدم أيسر من البنيان ، وإنى قد كسوتها بالديباج فليكسها من أتى بعدى حصيرا ! »

فوجدوا أنه لا يقوم بهدمها شىء فى الأزمان الطوال ، وأن كسوتها أيضا بالديباج مما يشق على الملك ، ويتعذر إلا بفساد عظيم ، وبما لم يكن [فيه] صلاح

فنها أن الرشيد لما دخل مصر ، فرأى الاهرام أحب أن يهدم بعضها ليعلم مافيه : فقيل له إنك لا تقدر على ذلك ، فقال لا بد من فتح شىء منه ففتحت الثلمة المفتوحة بنار توقد وخل يرش ومجانيق يرمى بها وحدادين يعملون ما فسد منها وأنفق عليها مالا عظيما فوجدوا عرض الحائط قريبا من عشرين ذراعا : فلما انتهوا إلى آخر الحائط وجدوا خلف النقب مطهرة خضراء فيها ذهب مضروب وزن كل دينار أوقية من أواقينا ، وكان عددها ألف دينار فعجبوا من ذلك ولم يعرفوا معناه ، فأخبروا بذلك الرشيد ، وأتوه بالذهب والمطهرة فجعل يعجب من ذلك الذهب : ومن جودته وحسنه وحمرته : ثم قال ارفعوا إلى حساب ما أنفقتموه على هذه الثلمة ففعل ذلك فوجدوه بأزاء ذلك الذهب الذى أصابوه لا يزيد ولا ينقص : فعجب من معرفتهم بذلك على طول المدة : وأنهم يستفتحونه من ذلك الموضع بعينه وعجب من معرفتهم بقدر ما ينفق عليه ، ومن تركهم ما يوازى فى الموضع عجباً شديداً كأن لهؤلاء القوم من العلوم منزلة لا نوازيها ولا ندركها نحن ولا أمثالنا

وقيل ان المطهرة التى وجد فيها المال كانت من زبرجد ، فأمر بحملها إلى خزائنه وكانت أحد ما حمله من عجائب مصر

ومن عجائبها وما يستغرب منها أن الرشيد لما فتح تلك الثلمة من الهرم أقام

الناس سنين يقصدونه ويدخلونه ، وينزلون فيه من الزلاقة التى فيه ، فمنهم من يسلم ، ومنهم من يهلك ، وأن جماعة من الأحداث اتفقوا وكانوا عشرين رجلا على أن يدخلوا الهرم ، ولا يبرحون منه إلى أن يصلوا إلى منتهى آخره أو يموتوا عن آخرهم فيه

فأخذوا معهم من الطعام والشراب ما يكفيهم لشهرين ، وأخذوا الأكل والوقيد والشمع والحبال والفؤوس ، وما احتاجوه من الآلات والحديد للحفر ، دخلوا الهرم ونزل أكثرهم فى الزلاقة الأولى والثانية ، ومضوا يمشون فى أرض الهرم ، فرأوا خفافيش على قدر العقبان تضرب وجوههم ، وانتهوا إلى ثقب تخرج منه ريح باردة ولا تفتر ، فذهبوا ليدخلوه فانطفأت مسرجهم فجعلوها فى فذهبوا ليدخلوه فاذا الثقب على قاعة كبيرة فارغة ، فعلموا أن أجساد موتاهم فى ذلك الموضع ، وأن معها كنوزهم وأموالهم ، فراموا أن ينزلوه فلم يستطيعوا على ذلك

فقال أحدهم شدونى بالحبال ، وأنزلونى فى هذا الثقب حتى أصل إلى قعر هذه القاعة ، ولعلى أعلم منها بعض ما تريدون ، ففعل القوم بصاحبهم ذلك ، وشدوا الحبال فى وسطه وتعجم الثقب فأبطأ فيه ، وهم يمسكون الحبال حتى انطبق الثقب عليه ، فجذبه أصحابه بجهدهم وقوتهم فلم يقدروا على نزعه وسمعوا عظامه تتكسر وسمعوا صيحة هائلة سقطوا منها على وجوههم لا يعقلون ، فقاموا وطلبوا الخروج ، وضاق بهم الأمر وصعدوا فسقط بعضهم من الزلاقة عند صعودهم فترك وهلك

وخرج من بقى منهم من جميع الهرم ، وجلسوا فى صيحة متعجبين ، فبينما هم كذلك إذ أخرجت لهم الأرض صاحبهم من بين أيديهم حيا يتكلم بكلام كاهنى لم يفهموا معناه فسره لهم بعض أصحاب الدرايات بالصعيد بأنه « هذا جزاء من

طلب ماليس له » ثم سقط ميتا فحملوه ، وفطن بهم فأخذوا وحملوا إلى الوالى ، فحدثوا عن أنفسهم ذلك

وفى حديث آخر أن قوما دخلوا الهرم وانتهوا إلى أسفله وطافوه فعرض لهم مثل الطريق ، فساروا فيه فوجدوا كالمطهرة يقطر منها ماء يسير ثم يفيض فلم يدروا ماهو ، ثم وجدوا موضعا كالمجلس المربع حيطانه من حجارة مربعة ملونة عجيبة صغار فى نهاية من الحسن ، فقلع أحدهم منها حجراً وجعله فى فيه فانسدت أذنه من الريح ، ولم يزل يتصبر وهو معهم حتى دخلوا مكانا فيه كالقوارة العظيمة فيها ذهب مضروب كثير أعمدته كلها فى غاية من الاتقان زنة كل واحد منها الف دينار ، فأخذوا منها واحداً فلم يقدروا أن يتحركوا ، ولا أن يمشوا حتى تركوه من أيديهم ، ولم يصلوا منه إلى شيء

ووجدوا فى مكان آخر كالصفة فيها صورة شيخ من صنم أخضر ، مشتمل شملة ، وبين يديه تماثيل صغار فى صورة الصبيان ، وكأنه يعلمهم ، فأخذوا منها واحداً فلم يقدروا أن يتحركوا

وساروا أيضا في تلك الطريق ، فوجدوا بيتا مسدوداً فيه دوى هائل وزمزمة ، فلم يتعرضوا له ، ومضوا فوجدوا مثل المجلس المربع فيه صورة ديك من جواهر قائم على اسطوانة خضراء ، وله عينان يسرج المجلس منهما ، فلما دنوا منه صوت بصوت مفزع ، وخفق بجناحيه فتركوه ومضوا حتى وصلوا إلى صنم من حجر أبيض فى صورة امرأة منكسة الرأس ، وعن جانبيها أسدان من حجارة كأنهما يريدان أن يلتقماها ، فجعلوا يتعوذون ويقرأون إلى أن تجاوزوهما وساروا الى أن لاح لهم نور ساطع ، فاتبعوه فاذا هم بهوة مفتوحة ، فخرجوا منها ، فاذا هم فى الصحراء

وإذا على باب الهوة تمثالا[ن] من حجر اسود معهما كالمزراقين فعجبوا من ذلك

ووجدوا شبه الطريق فساروا عليه يوما كاملا إلى أن وصلوا إلى الأهرام من خارج

وكان ذلك فى زمان يزيد بن عبد الله والى مصر فأخبروه بذلك فاستعد ووجه معهم من يدخل الهوة فأطافوا أياما فلم يجدوها ، وأشكل عليهم أمرها ، ولم يكن لهم إليها سبيل ولا وجدوا فيها حيلة ، والذى أخرج ذلك وحده جوهرة نفيسة باعها بمال خطير

وذكر أن قوما فى وقت أحمد بن طولون دخلوا الهرم فوجدوا فى طاق من أحد بيوته أشنانة زجاج فأخذوها وخرجوا بها فافتقدوا رجلا منهم فدخلوا فى طلبه إذ خرج عليهم عريانا يضحك ويقول «لاتتعبوا فى طلبى» ورجع هاربا إلى داخل الهرم : فعلموا أن الجن قد استهوته وشاع أمرهم

وقيل إن أحدهم سعى بهم فأخذ الاشنانة منهم ، ومنع الناس من دخول الهرم وأنهم وزنوا ذلك الأشنان فوجدوا فيه سبعة أرطال من زجاج أبيض صاف : فانتبه رجل من أهل المعرفة ، وقال لم تتخذ الملوك هذه لباطل وما عملت إلا لشيء ، ثم ملأ الأشنان بالماء ثم وزنه فوجده ملآن مثل وزنه فارغا لا ينقص ولا يزيد

وحكى أن قوماً دخلوا الهرم ومعهم غلام يعبثون به ، فخرج عليهم غلام أسود فى يده عصى ؛ فأخذ يضربهم ضرباً وجيعاً فخرجوا هاربين وتركوا طعامهم وشرابهم وبعض ثيابهم ، وقد أصاب قوم فى بربا اخميم مثل ذلك

وحكى أن رجلا وامرأة دخلا للفجور فصرعا جميعا فلم يزالا مصحوبين مشهورين الى أن ماتا

وفى بعض مصاحف القبط أن سوريد الملك لما أخبره كهنته بخبر النار المحرقة ، التى تخرج من برج الأسد فتحرق العالم فعمل فى الاهرام مسارب يدخل منها النيل الى مكان بعينه ثم يفيض الى موضع من أرض العرب وأرض الصعيد وملأ

تلك عجائب وطلسمات وأصناما تنطق

وحكى بعض القبط أن سوريد الملك لما أخبره منجموه بما أخبروه قال انظروا بلدنا هذا هل تلحقه آفة ؟ فنظروا وقالوا يلحقه طوفان يأتى على أكثره ، ويلحقه خراب يقيم فيه عدة سنين ؛ ثم يغلب عليها العمران

قال وكيف يكون خرابها ؟ قال يقصدها ملك يقتل أهلها ويغنم مالها ؛ قال ثم ماذا؟ قالوا يكون عمارتها [على يد] من قتله قال ثم ماذا ؟ قالوا يقصدها قوم مشوهون من ناحية النيل فيملكون أكثرها قال ثم ماذا ؟ قالوا انقطع نيلها وتخلوا من أهلها، فأمر أن يكتب ذلك ويزبر على الأهرام والاسطوانات والحجارة العظيمة

وذكر رجل من أهل المغرب ممن يختلف إلى الواحات ، ويحمل الاسماك إلى الواحات على جمل له أنه بات قرب الهرم، فمازال يسمع الضوضاء والغطغطة فهاله ذلك ؛ وتباعد عن الهرم بجمله ذلك ، فكان يرى حول الهرم شبه النيران تتألق ، فلم يزل مذعوراً إلى أن غلبته عيناه فنام ، فلما أصبح فى الموضع الذى فيه السمك رأى سماكا آخر بحياله موضوعا فعجب من ذلك وشد سمكه على جمله وكر راجعاً إلى الفسطاط ، وحلف أن لا يقرب من الهرم بعد ذلك

وأما البرابى فلها أخبار يطول ذكرها وشرحها ، وتحكى القبط فى أمور الروحانيين الغالبين على الاهرام والبرابى

فذكرو أن روحانى الهرم الجنوبى فى صورة امرأة عريانة مكشوفة الفرج حسناء لها ذؤابتان ، فاذا أرادت أن تستهوى الانسان ضحكت فى وجهه واجتلبته الى نفسها فيدنو اليها فتستهويه ويزول عقله ويهيم

وقد رأى جماعة هذه المرأة تدور حول الهرم وقت القائلة ، وعند غروب الشمس

وروحانى الهرم الآخر غلام أمرد أصفر عريان له ذؤابتان ، وقد رأوه أيضا

[بعد المغرب][1] مراراً يطوف حوله

وروحانى الهرم الملون فى صورة شيخ نوتى عليه قرطلة[2] ، وفى يديه مجمر من مجامر الطاس وهو يبخره وكذلك فى جميع الأبرونيات

وأما بربا أخميم فمعروف عند أهلها ان روحانيها غلام أسود عريان

وروحانى بربا سميرا هو فى صورة شيخ أدم طوال أشيب صغير اللحية .

وأما بربا قفط فروحانيته فى صورة جارية سوداء ، تحمل صبيا أسود صغيرا .

وأما بربا دنونية فروحانيته فى صورة إنسان رأسه رأس أسد وله قرنان

وأما بربا بوصير فهو فى صورة شيخ ابيض عليه زى الرهبان ، ومعه مصحف يحمله

وأما بربا عدنا فروحانيته فى صورة راع عليه كساء ومعه عصا

ولأهرام دهشور روحانيون يراهم من قرب منها من نواحيها على طول الأيام ، ولكلها قرابين وبخور يظهر بها كنوزها ، وتؤلف بين الناس وبين الروحانيين الذين بها

فأقام سوريد مائة سنة وسبع سنين ، وقد كان كهانه عرفوه الوقت الذى يموت فيه ، فأوصى إلى ابنه هوجيف[3] وعرفه بما احتاج اليه وأمره أن يدخل جسده الهرم ويجعله فى الجرن الذى قد اعده لنفسه ويغشيه بكافور ، ويحمل معه ما اعد من فاخر المتاع ومن السلاح والآلات ، فامتثل هوجيت[4] جميع ما امره به

وتولى امر الملك بعده ابنه هوجيت الملك فسار سيرة ابيه فى العمارة والعدل والرفق والرأفة بالناس فأحبوه

وبنى الهرم الأول من أهرام دهشور ، وحمل إليه كثيرا من الأموال والجوهر ، وكان غرضه جمع المال وعمل الكيمياء وإخراج المعادن ودفن كل ما

---

١) عن ق ٢) هكذا فى الاصول ٣ ، ٤) فى ق هرجيب

تهيأ له من الكنوز فى كل سنة

وكانت له قصة مع بعض جواريه [1] فنفاها إلى ناحية الغرب ، وأمر فبنيت لها هناك مدينة وأمر أن يقام فيها علم ويزبر عليها اسمها وقصتها ، وأسكن معها كل امرأة مسنة من أهل بيته .

وشج فى أيامه رجل رجلا فأمر بقطع أصابعه ، وسرق سارق مالا لرجل فملك رقه للذى سرق منه .

وعمل منارات ومصانع وطلسمات ، وملكهم تسعا وتسعين سنة ومات وملك عليهم ابنه مناوس الملك ، وكان جباراً عظيما وعذابا أليما [2] فآذى الناس ، وسفك الدماء ، واغتصب النساء ، واستخرج كنوز بابل ، وبنى قصورا بذهب وفضة ، وفجر فيها الأنهار ، وجعل حباءها من صنوف الجواهر وتخرق فى الهبات على غير مايجب ، وأغفل العمارات

وأباح أصحابه غصب نساء العامة ، وكان هو يفتض النساء قبل أزواجهن ، وأطاف به أهل الشر من كل ناحية ، فأبغضه الناس وكرهوا أيامه

وامتنع عليه قوم فى شىء أمرهم به فأحرقهم بالنار ، وسلط رجلا من الجبارين يقال له قرناس من ولد إدريس بن آدم على محاربة الأمم القريبة فى الماء فقتل منهم عالما كثيراً وحده

وكان أشجع أهل زمانه ، ثم هلك فاغتم عليه الملك ، وأمر أن يدفن مع الملوك فى الهرم ، ويقال بل عمل له وأقام عنده أعلاما ، وزبر عليه اسمه وما عمل فى وقته من الحروب

وأقام مناوس ملكا ثلاثا وسبعين سنة ، ومات وجعل فى الهرم مع أجداده

---

١) فى ق وكانت له بنت أفسدت مع بعض خدامه فنفاها

٢) فى ق وكان جباراً أثيما ، شيطانا رجيما

فى حوض من صوان أبيض مصفح بالذهب و الجوهر ؛ وجعل معه كثير[١] من ذخائره وأمواله وعجائبه

وملك عليهم ابنه افراوس[٢] الملك ؛ وكان عالما محنكا فخالف أباه فى فعله ، وعدل فى الناس ورد النساء اللاتى غصبهن أبوه إلى أزواجهن

وعمل فى وقته قبة طولها خمسون ذراعا وعرضها مائة ذراع ؛ وركب فى جوانبها أطياراً تصفر بأصناف الاصوات المطربة لا تفتر وعمل فى وسط المدينة مناراً من صفر عليه صورة رأس إنسان من صفر كلما مضت ساعة من الليل والنهار صاح ذلك الرأس فيعلم بصياحه دخول ساعة ويعرف من كل سمعه عدة الساعات

وجعل مناراً آخر وجعل فيه قبة من صفر مذهب ولطخه بلطوخات ؛ فاذا غربت الشمس اشتعلت تلك القبة نوراً فيضىء لها كثيرا من المدينة مشبهها بالنار لا تطفيها الرياح ؛ ولا الأمطار ؛ فاذا كان النهار قل ضوؤها لنور الشمس

ويقال إنه أهدى إلى الدرمشيل الملك ببابل مدهنة من زبرجد قدر خمسة أشبار . وكان استهداء ذلك ليجعلها فى بيت القربان

ويقال إنها وجدت بعد الطوفان ؛ ويقال إنه عمل فى الجبل الشرقى صنما عظيما قائما على قاعدة مصبوغا بلطوخ أصفر مموه بالذهب وجهه إلى الشمس يدور معها إلى أن تغرب فى الغرب ثم يدور ليلا حتى يحاذى الشمس مع الصبح

ويقال إن أفروسا كان يطلب الولد فى وقته فنكح ثلاثمائة امرأة يبتغى أن يولد له منهن فلم يكن ذلك

ويقال إن فى وقته عقمت أرحام النساء والبهائم ؛ ووقع الموت لما كان الله عز وجل قدره من هلاك العالم بالطوفان

وقيل إن الأسد كثرت فى وقته حتى كادت ان تدخل البيوت ؛ فاحتالوا لها

---

١) فى ب كثيراً ٢) فى ق أقروش

بالطلسمات المانعة والحيل المضرة بها ، وكانت تغيب شيئا وتعود ، فرفعوا ذلك الى الملك وقالوا هذه علامه مكروهة، فأمر أن يعمل لها أخاديد وتملأ ناراً وجلبوا إليها الأسد بالدخن التى تجذب روحانيتها إليها ، وألقوها على النيران فاحترقت

وبنى فى وقته مدائن فى ناحية الغرب تلفت فى الطوفان مع أكثر مدنهم وارتفعت الأمطار عنهم ، وقل الماء فى النيل فأجدبوا وهلكت الزروع بالحر والريح الحارة وغير ذلك ؛ فأضر ذلك بهم فاحتالوا لدفع النار بطلسماتهم ، وكانت تذهب ثم تعود .

وقيل ان الذى فعل ذلك بهم ساحر من سحرتهم كان مناوس قد غصب امرأته وأعمل الحيلة قليلا قليلا فى افساد طلسماتهم ، لأن لكل طاسم شيئا يقوى روحانيته وشيئاً آخر يفسدها .

ولهذه العلة دخل بخت نصر الفارسى مصر ؛ وكانت ممتنعة من جميع الملوك فلما أفسد الساحر طلسماتهم سلط عليهم تلك الآفات وأفسد طلسم التماسيح فهاجت عليهم ومنعتهم الماء وعذبتهم عذابا كثيراً إلى أن فطنوا به من قبل تلاميذه.

وذلك أن بعض تلاميذه لامه على ما يفعل من المضرة بقومه ؛ فانتهره ونفخ فى وجهه ؛ فأظلم عليه بصره فرفع التلميذ أمره إلى وزير الملك ؛ فعرف الوزير الملك بالأمر ؛ فأمر الملك بأدخال التلميذ اليه ، فدخل وعرفه بصورة الحال ؛ وأنفذ الملك إلى الساحر جيشا ليأتوه به ؛ فلما نظر الساحر إلى القوم مقبلين اليه دخن بدخنة أغشت أبصارهم ، وارتفعت منها عجاجة صارت ناراً مضرمة حالت بينهم وبين الساحر ، فهالهم أمره وخافوا على أنفسهم منه فرجعوا الى ملكهم ، وعرفوه بما جرى ؛ فأمر الملك باحضار جميع السحرة

وكان رسم السحرة عندهم أن يعاهدوا ملوكهم على أن يكونوا أبدا معهم ولا

يخالفوهم ولا يقصدوهم بمكروه ولا يبغونهم الغوائل ، فمن فعل ذلك منهم سلب منزلتـه وما يملـكه ، وكان للملك أن يسـفك دمه ودم أهـل بيته ، وكانوا مع الملوك على هذه الحالة ، وكانوا مع ذلك يوفون بعـهدهم ولا ينقضون شيئا من عهدهم .

فلما اجتمع السحرة عند الملك أخبرهم خبر الساحر ، وكان يقال له أجناس وما فعله من الفساد ونقضه للعهد ، وقال لهم إن لم تحضروه أهلـكت جميعكم فسألوه النظر فى الأمر فأخذ أولادهم ونساءهم رهائن بذلك وأنظرهم

فلما خرجوا من عنده تكلموا بينهم وقالوا إنكم تعلمون كثرة علم أجناس وشدة سحره، وانا مالنا به طاقة، ومناوس الملك هو الذى نقض عهده ، وتعدى عليه وغصبه امرأته فينبغى لنا أن نخلص أنفسنا منه، فأجمعوا أمرهم على أن ينصرفوا إلى الملك واستأذنوه فى الذهاب اليه ومداراته وتوبيخه والرفق به حتى يأتوا به الملك بأمان يأخذونه له منه ، فيجدد العهد بينه وبين الملك ففعلوا ذلك وأجابهم الملك إلى ماسألوه من ذلك ، ثم مضوا إلى أجناس ولطفـوا به ، وقالوا له إنا ما نجهل حقك وعظم أمرك وإنا بقدرك وكثرة علمك عارفون ، ولم يكن فى قدر الجناية التى جنت عليك قدر ما فعلته من الاضرار بأهل بلدك الذى أنت منهم ولا فى الواجب أن تهلك عالما كثيراً من الناس لجناية جناها عليك مناوس ، ولا يجب على ملكنا وملك اليوم الذى عهده لازم لنا ولك من فعـل أبيه بك وبسواك عقوبة

ولسنا نأمن أن تسلب علمك وتصير إلى أقبح عملك ، فتهلك مذموما وتمضى غير مفقود ، فلم يزالوا به حتى أجابهم إلى ماأرادوه ، وكتبوا بذلك إلى الملك فكتب له أمانا وجدد له عهداً ورجع إلى ما كان من طاعة الملك وحسن رأيه فيه . وردت إليه امرأته فأكرمها وردها إلى قصر الملك وعرفهم أنه لايرى فى

دينه أن يلامس امرأة لامسها الملك على حال من الأحوال ، لما كانوا يرعون من طاعة الملوك ويعظمون من حقوقهم ، فسر الناس بذلك وعجبوا من عقله وحكمه وصلح الملك والناس وعمل لهم أجناس هذا عجائب وطلسمات كثيرة .

وملكهم افراؤس أربعا وستين سنة ، وهلك وليس له ولد ولا أخ ، فدفن فى الهرم وجعلت معه أمواله وذخائره وجوهره والصنائع التى عملت فى وقته

واجتمع الناس على تمليك رجل من أهل المملكة يقال له ارمافيوس[1] فلما ملك أمر بجمع الناس إليه، فلما اجتمعوا بين يديه قال لهم: إنى ارى من حولكم من الأمم مسارعة اليكم وغالبة على عداوتكم وأنا مانع بلدكم منهم وحام دياركم ودماءكم وقد تطرفت نواحيكم ويوشك أن تسير اليكم وأنا أريد منعهم بعدوهم واقصدهم فى بلادهم وتخويلكم إياهم فأحتاج الى معرفة حكمائكم بالاعمال الهائلة والتماثيل العجيبة فشكروه ودعوا له بالتوفيق والسعادة الكاملة

وقالت الحكماء نحن نخرج مع الملك ونبلغه محابه فيما يريده من أعدائه ، ونحن نخدم الجيش مكانه ، ونبذل أنفسنا دونه فشرع فى ذلك

وخرج فى جيش عظيم ، وحارب تلك الامم فنكاهم نكاية شديدة ورجع غانما ، وخاف فى وجوهها جيشا فتألفت تلك الامم على ذلك الجيش من كل جانب فهزمته ورجع أصحابه مغلوبين فغاظه ذلك

وقد كان أصابته علة فى سفره من تغير الاهوية وتبديل الماء ، فأنفذ ابن عم له يقال له فرعان بن ميسون ، وكان أحد الجبابرة الذين لا يطاقون وهو أول فرعون تسمى بهذا الاسم ، وتسمى به بعده من تشبه به

وقال أصحاب التاريخ من أهل مصر إن أول من تسمى بفرعون غلام الوليد ابن دمع العماليقى ، يقال له فرعون كان قد هرب من مولاه لما رجع من طلب

---

١) فى ق أرمالينوس

النيل ، وبنى المدينة التى يقال لها مدينة العقاب وتحصن بها ، فقيل له فرعون وسنذكر خبره فى موضعه

فانفذ الملك ابن عمه فرعان فى جيش عظيم ، فأجلى تلك الامم ونفاها إلى أطراف البحر وكر راجعاً ومعه رءوس كثيرة وخلق كثير أسارى

فأمر الملك بنصب الرءوس حول المدينة ، وقتل من صاح للقتل، وكان فيهم كاهن منهم فأمر أن ينشر بمنشار ، وهو أول من فعل ذلك

وأعظم الملك ابن عمه فرعان واكرمه وألبسه حللا منظومة بالجوهر ، وأمر أن يطاف به ويذكر فضاه ، ثم أنزله فى بعض قصوره

وأن امرأة من نساء الملك عزيزة عليه عشقت فرعان ، فأرسلت اليه تدعوه الى نفسها فامتنع من ذلك خوفا من الملك ولأن التخطى كان عندهم الى نساء الملك عظيما

فلما طال عليها شوقها اليه احضرت امرأة ساحرة من نساء الكهنة ولاطفتها حتى أنست بها فذكرت أمر فرعان وما تجده من سببه وامتناعه عليها ، فضمنت لها بلوغ محبتها منه ، فسحرته بدخن كان عندها عملته له حتى اهتاج اليها وقدم على ودها وسهل عليه ما صعب من أمره ، ودست إليه فأجابها واجتمع بها وتمكن حب كل واحد منهما من صاحبه ، ودام الامر بينهما وتمادى الانس إلى ان ذاكرته أمر الملك وانها لاتأمن ان يصل خبرهما به فيهلكا . وقالت له اعمل الحيلة فى قتله ، وانت ابن عمه فيكون [لك] الملك من بعده وتأمن على انفسنا فلشدة حبه لها استحسن ذلك واستدعى بسم فدفعه إليها، فدسته فى شراب الملك فمات لوقته ، ودفن فى الهرم مع الملوك

وجلس فرعان الملك على سرير الملك ، ولبس التاج ولم ينازعه احد ، وفرح الناس بمكانه لما كان عليه من الشدة والجرأة

وأن فرعان علا فى الارض وتجبر ، وهو الذى كان الطوفان فى وقته ، وغصب الناس أموالهم وعمل فى طريق الظلم مالم يعمله احد وأسرف فى القتل وامتثل أصحابه فعله ؛ فهابتـه الملوك ، وأقروا له ، وهو الذى كتب إلى الدرمشيل بن يمحويل ملك بابل يشير عليه بقتل نوح عليه السلام

وذلك أن الدرمشيل كتب إلى الآفاق يستعلم أهلها هل يعرفون آلهة غير الأصنام؟ ويذكر قصة نوح عليه السلام ، وأنه يريد تغيير ماهم عليه من عبادة الأصنام ، ويزعم أن له إلهاً غيرها لايرى فكل أنكر ذلك

ولما أخذ نوح عليه السلام فى عمل السفينة كتب فرعان يأمره بقتل نوح وحرقها فأشار عليه بعض وزرائه أن لايفعل وأن يدعها فان كان ماذكره نوح حقا ركبها الملك وأهل بيته فقبل رأيه وتركها ؛ وهم بقتل نوح فمنعه الله منه

وكان عند أهل مصر علم الطوفان ، ولم يقدروا كثرته ولا طول مقامه على وجـه الأرض ، فاتخذوا السراديب تحت الأرض وصفحوها بالزجاج وحبسوا الريح فيها بتدبيرهم ، واتخذ الملك فيلمون رأس الكهنة مع نفسه، عدة له ولأهل بيته

وقد كان فرعان أقصى الكهان وباعدهم فرأى فيلمون الكاهن ليلة فى منامه كأن مدينة أمسوس قد انقلبت [1] بأهلها وكأن الاصنام قد انقلبت [1] على وجوهها وكأن ناسا من السماء ينزلون ومعهم مقامع يضربون بها النـاس ، وكأنه تعلق بأحدهم ؛ وقال لهم لأى شىء تفعلون بالناس ولاترحمونهم ؛ قال لانهم كفروا بالههم الذى خلقهم ؛ قال أمالهم خلاص؟ قال نعم من أراد الخلاص فعليه بصاحب السفينة

فانتبه مرعوبا وقام حيرانا لايدرى مايصنع ، وكان له امرأة وولدان ذكر

---

١) فى ب أقبلت

وأنثى وسبع تلاميذ فأجمع على أن يلحق بنوح عليه السلام

ثم نام أيضا فرأى فى نومه كأنه فى روضة خضراء ، وكأن فيها طيورا بيضاء يفوح منها رياح المسك ، وكأنه كان يعجب من حسنها إذ تكلم بعض الطيور فقال سيروا بنا لعلنا ننجوا مع المؤمنين ، فقال له ومن هم المؤمنون؟ قال أصحاب السفينة

فانتبه مرعوبا وأخبر اهله وتلاميذه بذلك واستكتمهم إياه ثم نظر فى تخفيف انقاله ، وفى بيع مايجب بيعه مستترا بذلك كله

فلما فرغ مما أراده دخل على الملك وقال له إن رأى الملك أن ينفذنى إلى الدرمشيل لأرى هذا الرجل الذى عمل السفينة وأناظره وأجادله على ماجاء به من هذا الدين الذى يظهره ، وأتبين حقيقة أمره فليفعل . فعسى أن يكون سبب هلاكه ودفعه عما يدعيه ، فأعجب الملك منه وأمره بالخروج ، وكتب معه إلى الدرمشيل

فسار فيلمون بأهله وولده ومضى معه تلاميذه حتى انتهوا إلى ارض بابل فقصد نوحا فأخبره بما قصده ، وسأله أن يشرح له دينه ففعل نوح عليه السلام ذلك ، فآمن به فيلمون وجميع من معه ، ولم يقصد فيلمون إلى الدرمشيل ولم يدفع إليه كتاب فرعان ولا رآه

فقال نوح عليه السلام « من أراد الله به خيرا لم يصرف عنه ذلك » فلم يزل الكاهن مع نوح عليه السلام يخدمه هو وتلاميذه وولده إلى أن ركبوا السفينة

وأقام فرعان الملك متمكنا فى ضلاله وظلمه مدمنا على لهوه وقد استخف بالهياكل ، فضاقت ارضهم بها ، وكثر الظلم والهرج وفسدت الزروع وأجدبت الارض من كل ناحية . وظلم الناس بعضهم بعضا ، ولم ينكر ذلك عليهم . وسدت الهياكل والبرابى وطبقت أبوابها ، فجاءهم الطوفان وأقبل عليهم المطر

فى اربع وعشرين من الشهر

وكان فرعان سكرانا فلم يقم إلا والماء قد عظم ، فوثب مبادرا يريد الهرم فتخلخلت الارض به وسبق يريد الأبواب فخانته رجلاه وسقط على وجهه ، وجعل يخور كما يخور الثور إلى أن أهلكه الطوفان ومن دخل منهم الأسراب مات بغمها[١] ولحق الماء من [أعلى][٢] الاهرام إلى حد التربيع ، وأثره ظاهر عليه إلى الآن

وقد ذكر أن مواضع سلمت من الطوفان يذكر ذلك الفرس ، وتزعم أنها لاتعرف الطوفان ، وكذلك الهند تزعم أنها لاتعرفه وليس بين أهل التاريخ اختلاف فى عموم الطوفان لجميع الأرض

ذكر ملوك مصر بعد الطوفان

أجمع اهل مصر[٣] أن اول من ملك مصر بعد الطوفان مصرايم بن بيصر[٤] ابن حام بن نوح عليه السلام وذلك بدعوة سبقت له من جده

والسبب فى ذلك أن فيلمون الكاهن سأل نوحا أن يخالطه بأهله وولده ، وقال له يانبي الله إننى تركت أهلى وولدى فاجعل لى رفقة أذكر بها بعد موتى ؛ فزوج عليه السلام مصرايم بن بيصر بن حام بنت فيلمون ، فولدت له ولداً فسماه فيلمون باسم جده

فلما أراد نوح عليه السلام قسمة الأرض بين بنيه ، قال له فيلمون ابعث معى

١) هكذا فى الأصول وفى ق ولعل الصواب بغمها ، أى قبل أن يصل إليها

٢) زيادة عن ق ٣) فى ق أهل الأثر ٤) فى ب مصريم بن تنصر والتصحيح عن ق

يانبي الله ابنى ، حتى أمضى به الى بلدى وأظهره على كنوزه وأوقفه على علومه وأفهمه رموزها ، فبعثه مع جماعة من أهل بيته ، وكان غلاماً مراهقا

فلما قرب من مصر بنى له عرشا من أغصان الشجر ، وستره بحشيش ثم بنى له بعد ذلك مدينة فى الموضع بنفسه وسماها درمان [1] أى باب الجنة وزرعوا وغرسوا الاشجار

وكان بين درمان الى البحر زروع وأجنة وعمارة . وكان القوم الذين كانوا مع مصرايم جبابرة ، فقطعوا الصخور وبنوا المصانع والمعالم ، وأقاموا فى أرغد عيش

ونكح مصرايم بنتا من بنات الكهنة ، فولدت له ولدا فسماه قبطيا وتزوج بعد تسعين سنة من عمره امرأة أخرى فولدت له أربعة نفر يقطويم ، واشمون وابريت وصابى فكثروا وعمروا لارض وبورك لهم فيها

وقيل ان عدد من كان مع مصرايم ثلاثون رجلا من الجبابرة ، فبنوا مدينة سموها ناقة بلغتهم معناها ثلاثون ، وهى مدينة منف

وكشف فيلمون الكاهن لمصرايم عن كنوز مصر وعلمه قراءة خط البرابى ومازبر على الحجارة ، وعرض عليهم معادن الذهب والفيروزج والزبرجد وغير ذلك ، ووصف لهم عمل الصنعة فجعل الملك أمرها الى رجل يقال لسنطاس [2] ثقة من أهل بيته ، فكان يعملها فى الجبل الشرقى ، فسمي الجبل به المقطم

وعلمهم أيضا عمل الطلسمات وكانت تخرج من البحر دواب وتفسد زروعهم ، وما قارب البحر من جهاتهم فعملوا لها الطلاسم فغابت ولم تظهر بعد

وبنوا على غير البحر مدنا منها رقوده بمكان الاسكندرية ، وجعلوا وسطها

---

١) فى ق درسان ٢) فى ق وكان عنده رجل ماهر يقال له مقيطام يعمل لهم الكيمياء والطلسمات الغريبة

قبة من نحاس مذهب والقبة مذهبة

ونصبوا فوقها مرآة معمولة من أخلاط شتى قطرها خمسة أشبار ؛ وكان ارتفاع القبة من الارض خمسمائة ذراع ؛ فكانوا اذا قصدهم قاصديهم بأذاهم من البحر عملوا لتلك المرآة عملا فألقت شعاعها إلى ذلك القاصدومراكبه فأحرقتهم اجمعين ، ولم تزل على حالها حتى غلب عليها البحر فهدمها

ويقال ان منارة الاسكندرية إنما عملت تشبيها بها ؛ وقد كانت ايضا عليها مرآة يرى فيها من يقصدها من بلاد الروم ؛ فاحتال عليها بعض الملوك ؛ فوجه اليها من ازالها ؛ وكانت من زجاجة مدبرة

ولما حضرت مصرايم الوفاة عهد الى ابنه ، وقد كان قسم أرض مصر بين بنيه فجعل من قفط الى اسوان لقبطيم ؛ وجعل لاشمون من أسوان الى منف ولابريت الحوف كله؛ ولصابى ناحية البحر الى قرب برقة والغرب ؛ فهو صاحب افريقية وولده الافارق ، وأمر كل واحد من بنيه أن يبنى مدينة لنفسه فى موضعه وأمرهم عند موته أن يحفروا فى الأرض سربا ويفرشوه بالمرمر ؛ ويدفنوه فيه ويدفنوا معه جميع ما فى خزائنه من الذهب والفضة والجوهر؛ ويزبروا على ذلك أسماء الله العظام المانعة من الحوادث ؛ فحفروا له سربا، طولا مائة وخمسون ذراعا وجعلوا فى وسطه مجلساً مصفحا بصفائح الذهب ، وجعلوا للمجلس أربعة أبواب على كل باب تمثال من ذهب عليه تاج مرصع بالجوهر ، جالس على كرسى من ذهب قدامه آنية زبرجد ؛ ونقشوا فى صدر كل تمثال آيات مانعة، واجلسوا جسده فى مجلس زبرجد أخضر ؛ وزبروا عليه «مات مصرايم بن بيصر بن حام بعد سبعمائة سنة مضت لايام الطوفان ؛ مات ولم يعبد الاصنام ؛ فصار الى حيث هو لا يوم هرم ولا سقم ولا حزن » وجعل جسده وماله فى هذا السرب وحصنه بأسماء الله العظام ؛ وبما لا يصل اليه بعده إلا ملك له من جدوده سبعة ملوك.

يأتى فى آخر الزمان ، يدين للملك الديان، ويؤمن بالمبعوث بالقرآن ، الداعى الى الايمان فى عواقب الازمان »

وجعلوا معه فى ذلك المجلس ألف قطعة من الزبرجد المخروط ، وألف تمثال من الجوهر النفيس ، والف برنية ذهب مملوءة درايق سما ، وألف آنية مملوءة بالصنعة الالهية والعقاقير السرية وجعلوا مع ذلك طلسمات عجيبة ، وسبائك ذهب مكدسة بعضها على بعض ، وسقفوا ذلك بالصخور العظام ، وهالوا عليه التراب والرمال حتى سدوا ما بين جبلين متقابلين ، وجعلوا عليه علامات لا تخفى

وولى الملك بعده ابنه قبطيم الملك ، ويقال ان القبط منسوبون اليه وهو اول من عمل العجائب ، واثار المعادن وشق الانهار ، ويقال انه [لحق] [١] البلبلة ، وخرج منها بهذا اللسان القبطى ، وعمل ما لم يعمله ابوه من العمارات . ونصب الاعلام والمنارات والعجائب والطلسمات

وملكهم قبطيم ثمانين سنة ، وهلك فاغتم عليه بنوه واهله ، ودفن فى سرب تحت الجبل الكبير الداخل ، وصفح بالمرمر الملون . وجعل فيه منافذ للريح فهي تتخرق فيه بدوى عظيم هائل . وجعل فيه كروس نحاس مطلية بأدوية تضىء ابدا كأنها سرج لا تطفأ ، ولطخوا جسده بالمرمر والكافور والمومياء وجعلوه فى جرن من ذهب وثياب منسوجة بالمرجان والدر ، وكشفوا عن وجهه فى جرنه تحت قبة على عمد من مرمر ملون . وفى وسط القبة جوهرة معلقة تنير كالسراج وبين كل عمودين تمثال فى يده اعجوبة ، وجعل تحت الجرن توابيت حجارة مملوءة جوهراً وذهبا وغير ذلك من التماثيل والصنعة ، وحول ذلك مصاحف الحكمة ، وسدوا عليه . وزبروا عليه كما زبروا على تابوت ابيه .

---

١) زياده عن ق

وتولى الأمر بعده ابنه قفطويم الملك ، وكان أكبر ولد أبيه ؛ وكان جباراً عظيم الخلق ؛ وهو الذى وضع أسرار الأهرام بالدهشور وغيرها ؛ ليعمل ما عمله الأولون ، وهو الذى بنى مدينة زرنده

وهلكت عاد بالريح فى آخر أيامه ؛ وأثار من المعادن مالم يثره أحد ، وكان يجد الذهب على قدر الرحى والزبرجد مثل الاسطوانة وغرس الأسارح فى صحراء الغرب مثل النخلة

وعمل من العجائب كثيرا ، وعمل منارا عاليا فى جبل قفط يرى منه البحر الشرقى ؛ ووجد هنالك معادن زئبق فعمل منه بركة عظيمة ؛ فقيل إنها هناك إلى اليوم

وفى زمانه أثار ابليس وأعوانه الأصنام التى كان الطوفان أغرقها ، وزينوا أمرها وعبادتها

ويقال إن قفطويما بنى المدائن الداخلة ، وعمل فيها عجائبا منها الماء الملفوف القائم كالعمود لا ينحل ولا يذوب ، ويسمى فاطيس وصيادة الطير[1] إذا نصبها ومر عليها الطير سقط فيها ولم يقدر أن يبرح منها حتى يؤخذ

وعمل بها أيضا عموداً من نحاس عليه صورة طائر ، فاذا قرب الوحش والأسد والحيات من المدينة صفر ذلك الطائر صفيرا عاليا ؛ فترجع تلك الدواب هاربة

وكان المدينة أربعة أبواب جعل لها أربعة أصنام على كل باب صنم من نحاس لا يعبر غريب إلا ألقى عليه النوم والسبات ، فينام عند الباب فلا يبرح نائما حتى يأتيه أهل تلك المدينة ؛ فينفخوا فى وجهه فيقوم ، فان لم يفعلوا ذلك لم يزل نائما

١) فى ق والبركة التى تسمى فلسطين أى صيادة الطير ، لا يمر عليها طير إلا سقط فيها

حتى يهلك

وعمل منارا لطيفا من زجاج ملون على قاعدة من نحاس ، وعلى رأس المنارة صورة صنم من زجاج كبيرة ، وفى يده كالقوس ، وكأنه يرمى به فان عاينه غريب وقف فى موضعه ولم يبرح حتى يجيئه أهل المدينة

وكان ذلك الصنم يتوجه من ذات نفسه الى مهب الرياح الاربع ، وقيل ان هذا الصنم على حاله الى اليوم ، وإن الناس تحاموا تلك المدينة على ما فيها من الكنوز والعجائب الظاهرة خوفا من ذلك الصنم ، فاذا وقع عين انسان عليه لايزال نائما حتى يهلك

وقد كان بعض الملوك عزم على قلعه بما أمكنه ، فهلك فى ذلك خلق كثير ، ولم يقدر عليه

وقيل إنه عمل فى بعض المدن الداخلة مرآة يرى الانسان فيها جميع مايسأل عنه

وعمل من خلف الجبل وبين الواحات الداخلة مدنا ، وعمل فيها عجائب كثيرة ، ووكل بها الروحانيين الذين يمنعون منها فلا يستطيع أحد أن يدنو منها ولا يدخلها حتى يعمل عقدا بين أولئك الروحانيين ، فيصل حينئذ اليها ويأخذ من كنوزها ما أحب من غير مشقة ولا ضرر

فأقام قفطويم ملكا أربعمائة سنة ، وأكثر العجائب انما عملت فى وقته ووقت أبيه

وأمر قفطويم فعمل له ناووس فى الجبل الغربى قريب من المدينة مدينة العمد وقد كان عمل لنفسه قبة قبل موته فى سرب تحت الارض معقود على أزج تحت الأرض على هيئة الدار فى سعة كثيرة ، وعمل حول دورها خزائن واسعة منقورة فى الجبل أيضا ، وجعل فى سقوفها مسارب للريح ، وبلطت مع السرب وجميع الدار بالمرمر ، وجعل فى وسط الدار مجلسا على ثمانية أركان مصفحا بالزجاج

الملون المسبوك، وجعل فى سقفه جواهر وحجارة تسرج

وفى كل ركن من أركان المجلس تمثال ذهب بيده كالبرق الذى يبرق ؛ وعمل فى وسط المجلس بركة مصفحة بالذهب ؛ وعمل لها حواشى زبرجد وفرش حرير، وجعل على جسده بعد أن لطخ بالادوية المجففة وجعل حواليه ألف آنية من كافور وأسدلت عليه ثياب منسوجة بالذهب ووجهه مكشوف ، وعلى رأسه تاج مكلل وعن جوانب البركة أربعة تماثيل من زجاج مسبوك فى صورة النساء وفى ألوانهن ، وبأيديهن كالمراوح من ذهب ، وعلى صدره من فوق الثياب سيف فاخر من أفخر الحديد قائمه من زبرجد

وجعل فى تلك الخزائن من الذخائر وسبائك الذهب والتيجان والجواهر ، وأوانى الحكم وأصناف العقاقير ومن الطلسمات العجيبة ؛ والمصاحف الحاوية لجميع العلوم ما لا يحصى قدره كثرة

وجعل على باب المجلس صورة ديك من ذهب على قاعدة من زجاج أخضر، وهو ناشر الجناحين مزبور عليه آيات عظام مانعة ؛ وجعل على كل مدخل أزج صورتين من نحاس مشوهتين بأيديهما سيفان كالبرق وبين أيديهما بلاطة تحتها لوالب لابد من وطئها إذا أراد أن يدنو منها فاذا وطأها ضرباه بسيفهما فقتلاه

وفى كل أزج كوة فيها لطوخ مدبرة تسرج وتضىء طول الزمان ؛ وسدت أبواب الأزج بالاساطين المرصعة ورصوا على السقف البلاطات العظام، وردموا فوقها بالرمال

وزبروا على باب الأزج الأول فى حجر عظيم « هذا المدخل الى جسد الملك العظيم المهيب الكريم قفطويم ذى الايد والقوة والفخر والغلبة والقهر ؛ حل هذا الموضع بجسده وبقى ذكره وعلمه فلا يوصل اليه ، ولا يقدر عليه بحيلة إلا بعد مدد ودورات تمضي من السنين »

وملك بعده ابنه البودشير [1] الملك فتجبر وتكبر ، وعمل بالسحر ، واحتجب عن العيون وقد كان أعمامه صابى وأبريت ملوكا على مواضعهم إلا أنه كان أكبرهم سنا ، فلذلك أذعنوا له

فيقال إنه أرسل إلى هرمس المصرى فبعثه الى جبل القمر الذى يخرج النيل من تحته ، حتى عمل له هناك هيكلا للتماثيل من نحاس ، وعمل البطيحة التى ينصب عليها ماء النيل

ويقال انه هو الذى عدل جنبي النيل ، وقد كان يفيض فى بعض مواضع وربما انقطع فى مواضع ، وأمره البودشير أن يسير مغربا لينظر ماهناك فوقع إلى أرض واسعة متخرقة بالمياه والعيون كثيرة العشب فبنى بها منائر ومتنزهات وأقام بها ، وحول البودشير جماعة من أهل بيته ، فعمروا تلك النواحى وبنوا فيها حتى صارت أرضا عامرة كلها وأقاموا بذلك مدة كبيرة ، وخالطهم البربر ونكح بعضهم فى بعض

ثم انهم تحاسدوا وتباغوا وكانت بينهم حروب افنتهم ، فحينئذ خرب البلد وباد أهله الا بقية بمنازل تسمى الواحات

ويقال إنه عمل فى وقته كثيرا من العجائب ، فمنها قبة لها أربعة أركان فى كل واحد منها كوة يخرج منها دخان ملتف [2] فى ألوان شتى فى يوم معلوم فى السنة من أول سنتهم

فاذا خرج الدخان أخضر دل على العمارة والخصب وحسن الزرع وصلاح النبات ، وإن خرج الدخان أبيض دل على الجدب وقلة الخيرات ، وإن خرج أحمر دل على الدماء والحروب وقصد الأعداء ، وان كان أسود دل على كثرة الأمطار والسيول وفساد بعض الأرض بذلك ، وان كان أصفر دل على النيران

---

١) فى ق البودسير وفى ب فى هذا الموضع فقط البودشيم ٢) فى ق ملفف

وعلى آفات تحدث فى الفلك

وما كان منه يخرج مختلط اللون دل على مظالم الناس وفساد بعضهم لبعض وإهمال ملوكهم الأمور ، وأشياء تدل على هذا الضرب ؛ وكانت هذه القبة على منارة أقامت زمانا من ملكه ثم هدمها

ومما عمل له أيضا بالغرب فى الصحراء التى تقرب منه وكانت الوحوش قد كثرت عليهم وأفسدت زرعهم ، وكذلك خنازير الماء فعمل شجرة من نحاس أقامها فى موضع فما وصل اليها من الوحش لم يستطع الحركة ولا البراح من عندها حتى تؤخذ قبضا فيقتل ، فاتسع الناس فى لحوم تلك الوحوش فوجه بعض الملوك المجاورين لمصر عن احتيال لتلك الشجرة فقلعها واحتملها ليضعها فى بلده فيعمل له مثلها. فلما قلعت من موضعها بطل عملها فلم ينتفع بها ، لأنهم كانوا يعملون ما يعملونه من ذلك بطالع يأخذونه فلا يزال مستقيما الى أن يغير مكانه وينقل عنه

ومما عمل فى وقته أن غرابا نقر عين صبي من أولاد الكهنة فقلعها فعمل أبوه شجرة من نحاس عليها غراب فى منقاره حية بادية الطرفين ، وهو ناشر الجناحين وكتب على ظهره كتاباً ؛ فكان الغربان يقعن على تلك الشجرة حتى يمتن أو يؤخذن فيقتلن فهلك كثير منها وانتفى الى الشام وغيرها من النواحى

ولم يزل الامر كذلك الى أن صار لبعض ملوكهم داء لم يكن له دواء إلا أن يطبخ له غراب فيأكل من لحمه ويشرب مرقه ، فطلب له غراب فلم يكن فى وجوده حيلة فوجه الى ناحية الشام من يأتيه بغراب فأبطأ وزادت علته فاغتاظ ، وأمر بنزع الشجرة فنزعت فرجعت الغربان فأخذ منها الملك ما يعالج به ، فلم يعد رسوله من ناحية الشام حتى خرج الملك من علته

ومما عمل فى وقته ، وكانت الرمال قد كثرت عليهم من ناحية الغرب حتى ربما طمت زروعهم ، فعمل لذلك صنم من صوان أسود على قاعدة منه وفى يده

كالقفة فيها مسحاة و نقش على جبهته وصدره وذراعيه وساقيه كتابات، ووجه به إلى المغرب ، وجعل هناك فانكشفت تلك الرمال وزحفت بها الرياح إلى ورائها لتلك الآكام العالية فى صحراء المغرب ؛ فلم يزل الرمل يندفع عنهم إلى وراء ذلك الصنم حتى صار بحيث لا يؤذيهم منه شيء ولا يضرهم

فاقام البودشير مدة ثم احتجب عن الناس [وكان يتجلى لهم فى صورة وجه عظيم يكون ذلك فى النادر][1] وربما خاطبهم من حيث لا يرونه وصبروا وهم فى طاعته مدة طويلة إلى أن رآه عديم ابنه وهو يأمره بالجلوس مكانه على سريره [فجلس][1] فتولى الأمر بعده وجلس على سرير ملكه ابنه عديم الملك ؛ وكان جبارا لا يطاق عظيم الخلق ؛ فأمر بقطع الصخور ونحتها ليبني هرماً كما فعل الأولون

وكان فى وقته الملكان اللذان أهبطا من السماء ؛ ويقال إن عديما استكثر من علمهما ، ثم انتقلا إلى بابل

واهل مصر والقبط يقولون إن هذين شيطانان يقال لهما مهلة ومهالة ، وإن الملكين ببابل فى بئر هناك يغشاها كثير من السحرة إلى أن تقوم الساعة

ومن ذلك الوقت عبدت الأصنام ؛ واتخذت الأوثان ، وقال قوم كانت الشياطين تظهر فتنصبها لهم ؛ وقال قوم بل النمرود الأول امر بنصبها وعبادتها

وعديم الملك أول من صلب ، وذلك أن امرأة زنت برجل من اهل الصناعات وكان لها زوج فأمر بصلبها على منابر وجعل ظهر كل واحد منها إلى ظهر صاحبه وزبر على المنابر اسميهما وما فعلاه ؛ وتاريخ الوقت الذى عمل ذلك فيه فانتهى الناس عن الزنا

وبنى أربع مدائن وأودعها كثيراً من صنوف العجائب والطلسمات وغير ذلك ؛ وكنز فيها كنوزاً كثيرة وعمل على البحر الشرقى مناراً ؛ وأقام على رأسه

---

١) زيادة عن القرمانى

صنما موجها إلى الشرق ، باسط اليدين يمنع جميع دواب البحر والرمال أن تتجاوز حده ، وزبر على صدره تاريخ الوقت الذى نصبه فيه

ويقال إن هذا المنار قائم إلى وقتنا هذا ، ولولا هـذا المنار لغلب الماء المالح على ارض مصر من البحر الشرقى

وعمل قنطرة على النيل فى ارض النوبة ونصب عليها اربعة اصنام موجهة إلى اربع جهات، فى يد كل صنم منها سيف يضرب به إذا أتى آت من تلك الجهة ، فأقامت على حالها مدة إلى أن تهدمت

وهو الذى عمل البربا ، وهى هناك إلى اليوم ، ويقال انه عمل فى إحدى المدائن الأربع التى ذكرنا[ها] حوضا من صوان اسود على ماء لاينقص مدى الدهر ، ولا يتغير بما اجتلب إليه من رطوبة الهواء والماء

وعمل فيه حيلا عجيبة ، وكان أهل تلك الناحية ، وأهل تلك المدينة يشربون وينفقون منـه ، ولا ينقص ماؤه ، وعمل ذلك لهم لبعدهم من النيل وقربهم من البحر المالح

وذكر بعض كهنة مصر أن ذلك إنما تم لقربهم من البحر المالح لأن الشمس فيما ذكروا يرتفع نحوها بخار البحر وعذوبة ما فيه

فحبس هو من البخار جزءا بالهندسة وبالطلسمات السحرية ، وجعله ينحط فى ذلك الحوض ، ويمده الهواء برطوبتـه فلا ينقص ماؤه على الدهر ، ولو شرب منه العالم

وقد عمل أمام البربا حوضا لطيفا مدورا وجعله على قاعدة وملأه ماء ، وحبس عليه جزء من البخار الرطب ، فالخلق يشربون منه ولا ينقص وهو هناك إلى هذا الوقت

وعمل أيضا قدحاً لطيفاً على مثل العمد ، وأهداه حويل الملك إلى الاسكندر

اليونانى ؛ وملكهم مائة سنة وأربعين سنة ؛ ومات وهو ابن تسعمائة سنة وثلاثين سنة

وقيل إنه دفن فى إحدى المدن ذوات العجائب فى أزج من رخام ملون مبطن بزجاج أصفر ، وطلى جسمه بما يمسكه وجعل حوله كثير من ذخائره ، وذلك فى وسط المدينة وهى محروسة بمن يمنع منها من الروحانيين

وذكر بعض أهل القبط أن ناووس عديم عمل له فى صحراء قفط على وجه الارض ، وهو قبة عظيمة من زجاج أخضر براق معقود على ثمانية آزاج من صنفها وعلى رأسها كرة من ذهب عليها طائر من ذهب ناشر الجناحين موشح بجواهر تمنع من الدخول ؛ وفى قطرها مائة ذراع فى مثلها

وجعل جسده فى وسطها على سرير من ذهب مشبك بجوهر عقيق ؛ وعليه ثياب منسوجة بالذهب مكشوف الوجه

والآزاج مفتوحة طول كل أزج منها ثمانية أذرع وارتفاع القبة ثمانون ذراعا يلقى نورها على ماحولها من الارض ، لصفاء لونها وبريقها ، وجعل معه فى القبة مائة وسبعون مصحفا من مصاحف الحكمة وسبع موائد عليها أوانيها منها

ومنها مائدة من ذهب عليمون أحمر يخطف الابصار وهو الذى يعمل منه تيجان الملوك وأوانيها منها ، ومائدة من حجر الشمس المضىء وأوانيها منها ومائدة من الزبرجد الأخضر الذى يخطف لونه البصر وله شعاع أصفر ، وهو الذى إذا نظرت إليه الأفاعى سالت عيونها وآنيتها منها ؛ ومنها مائدة من كبريت أحمر مدبر على ماذكروه من تدبيرهم فى مصاحف كتبهم وأوانيها منها ؛ ومنها مائدة من ملح أبيض براق صاف يكاد لونها يعشى البصر وأوانيها منها ؛ ومنها مائدة من زئبق معقود حافتاها وقوائمها زئبق أصفر معقود ، وأوانيها عليها من زئبق احمر معقود ؛ وجعل معه فى القبة جواهر كثيرة وبرانى بلور مملوءة بغرائب مدبرة ؛ وجعل حوله

سبعة أسياف صاعقية وكاهنية ، وأتراس حديد مدبر ابيض ؛ وجعل معه تماثيل افراس سبعة من ذهب عليها اللجم ، وسروج من ذهب وسبعة توابيت من صوان أسود مملوءة من الدنانير التى كان ضربها ، وصور عليها صورته ؛ وجعل معه من أصناف العقيق والسموم والأدوية المدبرة فى أوانى الختم والحجارة على ضروبها شىء كثير

وقد ذكر من رأى القبة أنه مشى إليها مع جماعة وأقاموا عليها أياما ، فما قدروا على دخولها ، وأنهم إذا وصلوا إليها على ثمانية أذرع دارت القبة عن ايمانهم من شمائلهم ، وقد رأوا مافيها ، ومتى دنوا منها دارت إلى جانب آخر

ومن عجائب شأنها أنهم كانوا يحاذونها من كل ازج ويتأملونها ازجا ازجا فلايرون من أزج إلا مايرون من ازج آخر على شكل واحد ، ومعنى واحد

وذكروا أنهم رأوا وجهه على قدر الذراع والنصف ؛ ولحيته كبيرة مكشوفة ، وقد رأوا بدنه بطول عشرة اذرع وزيادة ؛ وذكروا أنهم رأوا فيها عجائب كثيرة وصنوفا من الوحش لم ير مثلها

وفى كتاب القبط أنه لا يوصل اليها إلا أن يذبح لها ديك أبيض أفرق ، ويبخر بريشه على بعد ، وترسل البخور مع الريح على بعد حتى يصل اليها ، ويكون بالكواكب النيرة على ما كانت عليه وقت نصبها ، ويكون زحل والمشترى والمريخ فى برج واحد والزهرة وعطارد فى برج ، ويتكلم عليها بصلاة الكهنة سبع مرات ، فاذا وصل اليها لطخ حائطها بدم الديك الذى ذبح ويأخذ عند دخولها من المال والتماثيل ما استحسن ولا يكثر فيها من الجلوس .

وذكر أن هؤلاء الذين رأوها لم يكونوا من أهل الناحية ؛ وانما خرجوا يطلبون غيرها ؛ وأنهم سألوا أهل قفط عنها ، فما وجدوا أحدا يعرفها ولا رآها غير شيخ منهم

فانه ذكر أن ابنا له خرج فى بعض الأمور ؛ ومعه جمل ، وأنه رآها ولم يصل اليها فبحث عن أمرها ؛ فعرف أن قوما من أهل المشرق جاءوا فى طلب هذه القبة وأنهم أقاموا بقفط أياما وخرجوا يريدونها ؛ فما رجع منهم أحد ولا عرف لهم خبر

وكان عديم الملك قد أوصى ابنه قبل موته أن يطوف ماشيا على أعمال بلاده ؛ وأن ينصب فى كل جزء من أجزاء عمومته منارا ، ويزبر عليه اسمه ويعمل له علامات وملاعب .

وعمل فى صحرائها منارا ؛ وعمل عليه صنما ذا رأسين مقترنين ، وسار الى جزء إبريت فبنى به قبة على عمد وعلى أساطين بعضها فوق بعض وجعل على أعلاها صنما صغيراً من ذهب

وعمل هيكلا للكواكب ؛ وكان أبوه البودشير أول من أقام للكواكب هيكلا؛ فتبعه ابنه على ذلك ؛ ومضى الى جزء صابى فعمل به منارة على رأسها امرأة من أخلاط ترى الناظر اليها جميع الاقاليم

ثم رجع الى أبيه فولاه الملك بعده وعهد اليه بما أراد ووصاه ؛ ثم مات أبوه فلما أودعه الناووس، وفرغ منه جلس على سرير الملك شدات [1] الملك ؛ وهو الذى بنى الاعلام بالدهشور بالاحجار التى قطعت فى زمان أبيه

وقال الذين ينكرون أن العادية دخلت مصر انما غلط الناس فى اسم شدات فقالوا شداد بن عاد لكثرة ما يجرى على ألسنتهم شداد وقلة ما يجرى شدات

وما قدر أحد قط من الملوك أن يدخل مصر الا عبد لبخت نصر بما قدمه من الحيل فى افساد طلسماتها

وشدات الملك هو الذى عمل مصاحف الزيجات التى يذكر فيها الملوك

---

١) فى ق شداد

ويقال انه وجد فى بعض رموزهم ومصاحف كهانهم ان الملك بودشير بن قفطويم لما أجهد نفسه فى عبادة الانوار العلوية ، وعرف ان روحانياتها قد صارت فيه حبب اليها نفسه ، وجوعها واستغنى جسده عن الطعام والشراب ؛ فلما أدمن ذلك اشتاقته الانوار العلوية واشتاقها ؛ فرفعته إلى مواضعها ، وبرأته من شرور الأرض المؤلمة ، وجعلته نورا سابحا داخلا فى نورها ؛ يتصرف بتصرفها ، فطوبى له من كاهن عرفت له كهانته ، وأكرم بها وصير ملكا ، فسبيل من بعده ان يبلغ خطته ويجعل بمثابته

وهذا الكلام وشبيهه تضليل للناس لأنهم كانوا يتعبدون للكواكب ، فيقولون مثل هذا ترغيبا فى دينهم

وقد قالوا أيضا انهم على توحيد الله وان مدحهم لهذه الوسائط المدبرات لا يضر خالقها ، وانهم يعظمونها تقربا اليه كما قالت الهند والعرب وكثير من الامم

وعمل شدات هيكل أرمنت وأقام فيه أصناما للكواكب من ذهب وفضة وحديد ابيض ورصاص مصفي وزئبق معقود ، وهذه الاجساد المعدنية فى طباع الكواكب وقسمتها

فلما فرغ منه زين بأحسن الزينة ، ونقش بأحسن النقوش ؛ وأمر فزين بالجواهر الملونة ، والزجاج الملون ، وكسى بالوشي والديباج ؛ ولم يترك شيئا من الغريب الا عمله فيه وكذلك عمل فى المدن الداخلة من جزء صابى هيكلا مثله والقبة التى عملها بجزء ابريت ، وعمل هيكلا بشرف الاسكندرية ؛ وعمل لزحل صنما من صوان اسود على عبر النيل من الجانب الغربى

وبنى شدات فى الجانب الشرقى مدائن ؛ وجعل فى أحدها صورة صنم قائم له احليل ظاهر اذا اتاه المعقود والمسحور والعنين الذى لا ينتشر احليله بكاتا يدبه

زال عنه ذلك وانتشر وقوى على الباه

وعمل فى احداها بقرة لها ضرعان كبيران اذا مسحتهما المرأة التى نقص لبنها وتعقد ضرعها در وصلح

وفى أيامه بنيت العالية ، بناها لابن له كان سخط على أمه فحولها اليهـــا ، وأسكنها قوما من أهل الحكمة ومن أهل الصناعات

وقيل ان سفط بنيت فى أيامه والصورتين اللتين بها الملتصقتان للمهل وكانت الحبشة والسودان عاثوا فى بعض بلده فأخرج ابنه منقاوس[1] فى جيش عظيم اليهم فقتل منهم وسبا ، وكل من سباه استعبده فصار ذلك سنة فيهم

واقتطع معدن الذهب ، واقام فيه من سباه منهم يعملون الذهب ويحملونه اليه ، وألزم المقام معهم من يحرسهم من جيشه

وهو أول من أحب الصيد واتخذ الجوارح وولد الكلاب السلوقية من الذئاب والكلاب الأهلية ، وعمل البيطرة وجميع ما يعالج به الدواب ، وعمل من العجائب والطلاسم لكل شىء ما لا يحصى كثرة

وجمع التماسيح فى بركة فى ناحية اسيوط بطلسم لها ، وكانت تنصب اليها من النيل انصبابا فيقتلها ، ويستعمل جميع جلودها فى السفن وغيرها ، ويدخل لحومها وشحومها فى الاغذية ومؤلفات العقاقير

والقبط تحكى انه عمل بمصر اثنتى عشرة اعجوبة وطلسما ولم يعمل فى بلد ما عمل فيهـا ولا تهيـأ ذلك له ، وقد بقيت آثار أكثرها قائمة بعد خرابها وإفساد معالمها

واقام شدات بن عديم تسعين سنة ملكا وخرج فطرد صيدا فأكب به فرسه فى هوة فقتله

---

١) فى ق منقاوش

وفى بعض كتبهم أنه اخذ بعض خدمه : وقد خالفه فى امر من الامور فألقاه من اعلى الجبل الى اسفله فتقطع ثم ندم على ذلك من فعله : ورأى انه سيصيبه مثل ذلك . وكان يتوقى ان يصعد جبلا ، وأوصى ان اصابه شىء ان يجعل ناووسه فى الموضع الذى يلحقه فيه ما يلحقه : وان يزبر عليه « ليس ينبغى لذى القدرة ان يخرج عن الواجب : وان لا يعمل ما لا يجوز له فعله ، وهذا ناووس شدات بن عديم بن قفطويم الملك : عمل ما لا يحل فكوفىء عليه »

ولما هلك عمل سرب فى سفح الجبل عليه قبة على مجلس قد صفح بالفضة واجلس فيه على سرير ملكه : وجعل معه من المال والجوهر والتماثيل واصناف الحكم والمصاحف شىء كثير: ومات وله اربعمائة واربعون سنة

وولى الامر من بعده ابنه منقاوس الملك فقام مقام ابيه : وملك بحزم وحكمة فأظهر مصاحف الحكمة : وامر بالنظر فيها وان تنسخ بخط العامة ليفهموها ورد الكهنة الى مراتبهم

وهو أول من عمل الحمام من ملوك مصر وكان كثير النكاح : وتزوج عدة نسوة من بنات عمه ومن بنات الكهنة : وجعل لكل امرأة منهن مكانا قد أصلحه بالبنيان العجيب والصور المونقة والفرش الحسنة : والآلات العجيبة ، وأسكنهن فيها

وقال بعض أهل الأثر إنه هو الذى بنى منف لبناته وكن ثلاثين بنتا ورحلهن إليها : وعمل مدناغيرها ومصانع : وبنى هيكلا لصور الكواكب وأصنامها على ثمانية فراسخ من منف : وعمل بتلك الناحية طلسمات كثيرة وغرائب أغرب فيها بفضل حكمته على أبيه وجده ، وعمل للسنة اثنى عشر عيدا يعمل فى كل عيد من الأعمال ما كان موافقاً لبرج الشهر : وكان يعظم الناس فى تلك الأعياد ويوسع عليهم فى أحوالهم وأرزاقهم، ورأوا معه من الخير مالم يروه مع غيره: وفتح

عليه من المعادن مالم يفتح على أحد قبله

وألزم أصحاب الكيمياء العمل فكانوا لايفترون ليلا ولا نهاراً ، فاجتمعت عنده أموال عظيمة وجوهر كثير وزجاج مسبوك من الأدرك وغيره ، فأحب كنزها ، فدعا أخا له كان يكرمه ويحبه ، فقال له قد كثر ما عملناه من التماثيل ، وعظم ماادخرناه من الذهب والجواهر ، ولست آمن أن يتسامع الملوك بكثرة ذلك ، فيتألفوا على غزونا نخذ ذلك كله ، وتوجه به فأمعن فى ارض الغرب ، ثم انظر مكانا حريزا خفى الأثر فأحرزه فيه . وأسس عليه وعلمه بعلامات واكتب صفة المكان وعلاماته ومن أين الطريق إليه ، وعد الى إن شاء الله تعالى

فيقول أهل الأثر انه حمل مع نفسه إثنا عشر الف عجلة ، منها من الجواهر النفيسة ثلاثمائة ، وسائرها ذهب إبريز ، وصفائح مضروبة ، وطرائف الملوك من آلاتهم وسلاحهم وأوانيهم ، وسار فى الجنوب يوما واحدا ، ثم سار فى الغرب يوما كاملا وبعض آخر ، فانتهى فى اليوم الثالث إلى جبل أسود منيع ليس له مصعد بين جبال مستديرة به ، فعمل تحت ذلك الجبل أسرابا ومغاير فدفن فيها ما كان معه ، وردم عليه كما أمره أخوه ، وعلم وزبر وأتقن ذلك جهده ، ورجع إلى اخيه فأعلمه

فمكث بعد ذلك اربع سنين يبعث فى كل سنة عجلا كثيراً فيدفن فيها فى أكواخ شتى ، وهو الذى عمل بيتا فيه تماثيل تنفع من جميع العلل ، وكتب على رأس كل هيكل تمثال مايعالج به ، فانتفع الناس بها زمانا إلى أن أفسدها بعض الملوك بالحكمة

وفى هذه المدينة صورة امرأة من حجر مبتسمة لايراها مهموم إلا تبسم ونسى همه ، وكان الناس يتناوبونها ، ويطوفون حولها ، ثم عبدوها من بعد وعمل تمثالا طائرا روحانياً من ظفر مذهب كأنه يشير بجناحيه ، ووضعه على

اسطوانة فى وسط المدينة ؛ وكان لا يمر به زان ولا زانية إلا كشف عورته بحضرته ؛ وكان الناس يمتحنون به فامتنع النـاس من الزنا فرقا منه ؛ فأقاموا كذلك إلى زمان فا كن[1] الملك ففسد أمره وبطله

وذلك أن امرأة من نسائه وكانت حظية عنده عشقت رجلا من خدام الملك وخافت أن يرقى ذلك الى الملك فيمتحنها من ذلك الصنم فتفتضح فيقتلها ؛ فأقامت مفكرة فى الحيلة فى ذلك إلى أن خلا بها فى بعض الليالى وهما يشربان فأخذت فى ذكر الزوانى وسبهن وذمهن ؛ فذكر الملك ذلك للصنم ، وما فيـه من المنافع للناس وما يستحق من فعله من الثناء والذكر الحسن ؛ فقالت له إنه لـكذلك وقد صدق الملك غير أن منقاوس لم يصب الرأى فى أمره ، فقال وكيف؟ قالت لأنه أتعب نفسه وحكماءه فيما جعله لصلاح امر العامة دون أمر نفسه ؛ وهـذا أكبر العجز ؛ وإنما كان حكم هذا التمثال أن ينصب فى دار الملك حيث يكون نساؤه وجواريه ، فان اقترفت إحداهن ذنبا علم الملك به وجازى عليه فى ستر ، ولم تعلم العامة شيئا منه فيكون ردعا لمن فى قصره عما تهم به مغتلمة ، وقد غلبتها شهوتها مرة ربمـا فى عمرها لأن شهوات النساء أكثر من شهوات الرجال ، وأغلب لنقصان عقولهن عن عقول الرجال ؛ وأما الآن فلو حدث شيء من ذلك فى قصر الملك، وأعوذ بالنور الأعلى منه ، وأحب امتحانه فضح نفسه ؛ وشاع فى العامة والخاصة امره ؛ فان عاقب بغير امتحان كان متعديا ، وإن صبر صـبر على المكروه

قال الملك صدقت فيما قالت وأنزل قولها على النصيحة والصدق ؛ وعلم أنهـا لم تشر بذلك إلا لأمر وقفت عليه ؛ ولم ترد كشفه ؛ فلما أصبح نزع الصنم من موضعه ووضعه فى قصره فى مكان أعده له بلا مهلة ولا مشاورة حكيم ولا عالم ،

١) هكذا فى الأصل ولعله كان

فلما نصب فى القصر امتحن مرارا فلم يصنع شيئاً عند الامتحان

وندم الملك على تحريكه وأقبلت جارية الملك على ما كانت همت به من الفجور وانهمكت فيه

وهذه الاعمال إنما تعمل بعد رصد الكواكب واختبارات أماكنها فى الواجب من أوقات المعمول له ذلك

وقد ذكر اهل اخميم أن رجلا من اهل المشرق ، وكان يلزم البربا ويأتى إليه كل يوم ببخور وخلوق فيبخر ويطيب صورة كانت فى عضادة باب البربا فيجد تحتها عند رجليها دينارا فيأخذه وينصرف ؛ ففعل ذلك وأقام عليه مدة طويلة ، حتى وشى به غلام إلى عامل البلد ؛ فقبض عليه فبذل له الرجل مالا ، وخرج عن البلد

ويقال إن منقاوس بنى هيكلا للسحرة على جبل القمر ، وقدم عليه رجلا منهم يقال له مستهمس ، وكانوا لا يطلقون الريح للمراكب المقلعة إلا بغرامة يأخذونها منهم ، وكان الملك إذا ركب عملوا بين يديه التماثيل الهائلة فيجتمع الناس ويتعجبون من أعمالهم وأمر أن يبنى له هيكل للعبادة يكون له خصوصا ويجعل فيه صورة الشمس والكواكب ، وجعل حوله أصناما وعجائباً ؛ فكان الملك يركب إليه ويقيم فيه سبعة أيام وينصرف ، وجعل فيه عمودين ؛ وزبر عليهما تاريخ الوقت الذى عملا فيه وهما باقيان إلى اليوم وموضع ذلك يقال له عين شمس

ونقل منقاوس إلى عين شمس كنوزا وجواهر وطلسمات وعقاقير ودفنها بنواحيها

وكان قد قسم خراج البلد أرباعا فربع منها للملك خاصة ينفقه فيما يشاء ويفعل به ما يريد ، وربع لأرزاق الجند ، وربع ينفقه فى مصالح الارض وما يحتاج إليه من عمل جسورها وحفر خلجانها وأجبر أهلها على العمارة ، وربع

يدفن لحدث يحدث

وكان خراج البلد يومئذ مائة الف الف وثلاثة آلاف الف[1] وقسمتها على ثلاثمائة كورة وثلاث كور

وهى اليوم خمسة وثمانون كورة أسفل الارض خمسة وأربعون كورة ؛ والصعيد أربعون كورة

وكان فى كل كورة كاهن يدبر أمرها ، وصاحب حرب ؛ وأقام ملكا إحدى وسبعين سنة . ومات من طاعون أصابه ؛ وقيل إنه سم فى طعامه ؛ وعمل له ناووس فى صحراء القبط ، وقيل فى غربى قوص ؛ ودفن معه من المصاحف وأكاسير الصنعة المعمولة وتماثيل الذهب والجوهر ؛ ومن الذهب المضروب شيء كثير

وقد كانت ماتت له قبل موته جارية كانت أحظى نسائه عنده ، وكان يحبها حباً شديداً ؛ فأمر بعمل صورتها فى جميع الهياكل ، وعمل له تمثالها بذؤابتين من ذهب أسود ؛ وألبسه حلة من جوهر منظوم ؛ وجعلت جالسة على كرسى من ذهب ؛ وكانت تحمل بين يديه فى كل موضع يجلس فيه ليتسلى بذلك عنها ، فدفنت تلك الصورة عند رجليه ، كأنما يخاطبها

ولما فرغ من أمره جلس ابنه مناوس الملك بعد ابيه على سرير الملك فطلب الحكمة بعد ، مثل ابيه واكرم اهلها ، وبذل الجوائز على الغرائب التى لم يتقدم عملها لمن تقدم قبله ، وأثبت كل ما عمل من ذلك فى كتب تواريخهم ، وزبر على الحجارة فى هياكلهم

ومناوس أول من عبد البقر ، وكان السبب فى ذلك انه اعتل علة فيئس فيها من نفسه ؛ وأنه رأى فى منامه روحانيا عظيما يخاطبه ويقول له : لا يخرجك

---

١) فى ق وكان خراج مصر إذ ذاك مائة الف الف وثلاثمائة دينار

من علتك إلا عبادتك البقر ؛ لان الطالع كان وقت حلولها ؛ فلك الثور ؛ وهو في صورة ثور بقرنين فأمر عند انتباهه ؛ فأخذوا ثورا أبلق حسن الصورة ؛ وعمل له مجلسا فى قصره وسقفه قبة مذهبة ؛ وكان يبخره ويطيبه ويحسن علفه؛ ووكل به سايسا من خدمه يقوم به وينظفه ويكنس تحته ، وكان يتعبد له سراً من أهل مملكته فبرىء من علته وعاد الى أحسن أحواله

وقيل إنه أول من عملت له عجل مموهة بالذهب ، وعليها قباب من خشب مذهب ؛ وكانت تفرش بأحسن الفرش وتساق الى موضع المتنزهات ؛ وقيل إنه عملت له فى علته لانه كان لا يقدر على الركوب ، وكانت البقر تجره فى العجلة فكان إذا مر بمكان نزه أقام به ؛ وان مر بمكان خرب أمر بعمارته

وقيل انه نظر يوما الى ثور من البقر التى تجره أبلق حسن الخلقة والقرنين ، فأمر بتوقيفه والتعريض منه وساقه بين يديه الى موضع نزهته إعجابا به ؛ وجعل عليه حللا من حرير منسوج بالذهب ، فلما كان فى بعض الايام خلا فى موضع ؛ وقد تفرد عن عبيده سار اليه وسجد بين يديه

فقال له : لو دام الملك على تربيتى وإكرامى ؛ وتعبد لى كفيته مهمه : على مايريده ؛ وقويته فى جميع أموره ؛ وأزلت عنه جميع علله

فارتاع الملك لقوله ، وأمر بأن يغسل ويطيب ويكسى بالحرير المذهب ويوقف فى الهيكل ؛ ووكل به من يخدمه فى جميع أموره ويتعاهده بالمسح والتطييب وأمره بعبادته

وأقام ذلك الثور يعبد مدة طويلة ، وافتتن الناس به ؛ وصار ذلك أصلا لعبادة البقر ؛ وبنى مواضع كثيرة فى الصحراء والجبال وكنز فيها كنوزاً كثيرة وأقام عليها أعلاما

وبنى فى صحراء الغرب مدينة يقال لها ديماس ؛ وأقام بها منـاراً وكنز

حولها كنوزا ، ويقال ان هذه المدينة قائمة الى الآن ، وان قوما جازوا بها من ناحيةالغرب فسمعوا فيها عزف الجن ورأوا نيرانهم

وفى بعض كتبهم أن ذلك الثور بعد مدة من عبادتهم له أمرهم أن يعملوا صورتهمن ذهب ويعملوه أجوف ويؤخذ من رأسه شعرات ومن ذنبه ، ويؤخذ من نحاتة قرنه وأظلافه ويجعل فى ذلك التمثال ، وعرفهم أنه يلحق بعالمه ، وأن يجعلوا جسده فى جرن من حجارة ، وينصب فى الهيكل ، وينصب تمثاله عليه وزحل فى شرفه والشمس ناظرة اليه من تثليث ، وأن ينقش فى التمثال علامات صورة الكواكب السبعة ففعلوا ذلك

وعملت الصورة من ذهب وكللت بأنواع الجوهر ، وأدخلت صنعتها سواد فى بياض ، وجعل [illegible] الثور فى الحدود التى حدها ، ونصب عليه التمثال فكان يخبرهم بالعجائب [illegible] وقتا بعد وقت ويجيبهم بكل مايسألونه عنه .

وعظم أمرذلك التمثال ونذرت له النذور وقربت له القرابين ،وقصده الناس من جميع أعمالمصر وما قرب منها ، فكان يخبرهم بما يريدون

وأقام مناوس ملكا خمسا وثلاثين سنة ، وهلك من سل أصابه ، وعمل له ناووس تحتالجبل الغربى وجعل فى جرن من حجارة

وجعل وصيه من بعده ابنه مريدس الملك ، فجلس على سرير ملكه بعد أبيه وملك احدى وعشرين سنة وكان مضعفا فلم يبن بنيانا ولا ينصب مناراً ، ولا عملت فى وقته أعجوبة ، فمات ودفن مع أبيه فى جرن من رصاص

وولى بعدهاشمون الملك ، واشمون أخوقبطيم الملك وكان وحده من اشمون الى منف ، وفى الشرقالى البحر المالح الى ماحاذى برقة الحمراء ، وهى آخرحد مصر ، وفى الصعيد الى حدود اخميم

وكان ينزل اشمون لانه سماها باسمه عند بنيانها ، ونقل اليها أهله وولده

وطولها اثنا عشر ميلا فى مثلها

واشمون اول من اتخذ الملاعب بالكرة والصولجان، وغير ذلك ؛ وبنى القصور وغرس الاجنة وأقام المنائر ونصب الاعلام وبنى المدن وأكثر فيها من العجائب

والقبط تزعم ان خبر اشمون كان أكثر الاخبار ذكراً وعجائبا وسحراً. منها أنه بنى مدينة فى سفح الجبل سماها أفطراطس وجعل لها اربعة ابواب جعل على الشرقى صورة عقاب . وعلى الغربى صورة ثور وعلى الجنوبى صورة كلب . وعلى الشمالى صورة أسد .

وأسكن الكهنة بسحرهم فى تلك الصور روحانية وكانت تنطق اذا قصدها القاصد الغريب ولا يقدر على الدخول اليها الا بأذن الموكلين بها . وجعل فيها شجرة تثمر كل لون من الفاكهة

وجعل فيها مناراً طوله ثمانون ذراعا ، على رأسه قبة تتلون كل يوم لونا حتى تمضى سبعة ايام بسبعة الوان . ثم تعود الى اللون الاول

وكانت تلك الالوان تكسو المدينة لونا شعاعيا ؛ وأجرى حول ذلك المنار ماء ساقه من النيل ، وجعل فى ذلك الماء سمكا من كل لون

وجعل حول المدينة طلسمات رءوسها رءوس القرود وأبدانها أبدان الناس كل منها لدفع مضرة واجتلاب منفعة

ودفن تحت كل صنم من الأصنام المبنية الأربعة على أبوابها صنفا من الكنوز ولكل واحد منها قربان وبخور ، وكلام يوصل به اليه وأسكن فيها السحرة

وبنى بالقرب منها مدينة تعرف فى كتبهم ذات العجائب فى وسطها قبة عليها أبداً مثل السحابة تمطر مطرا خفيفا شتاء وصيفا ؛ وتحت كل قبة مطهرة فيها ماء أخضر يتداوى به من كل داء فيبريه

وفى شرقها بربا لطيف له أربعة أبواب لكل باب منها عضادتان ، فى كل عضادة منها صورة وجه كأنه يخاطب صاحبه ، وهو يكلمه بكلام يفهمه ، ويخبره بما حدث فى يومه

ومن دخل ذلك البربا على غير طهارة نفخا عليه فأصابته فظيمة لاتفارقه أبداً إلى أن يموت

ويقال إن فى وسطها أبدا مهبط نور كأنه عمود من اعتنقه لم يعزب عن نظره شىء من الروحانيات ؛ وسمع كلامهم ورأى ما يعملون

وعلى كل باب من أبواب هذه المدينة صورة راهب فى يده كالمصحف فيه علم من العلوم ، فمن أحب ذلك العلم أتى تلك الصورة فمسحها بيده وأمرها على صدره فيثبت ذلك العلم فى صدره

ويقال إن هاتين المدينتين سميتا على اسم هرمس وهو عطارد وإنهما إلى الآن على حالهما

وحكى عن رجل أتى عبد العزيز بن مروان وهو والى مصر فعرفه أنه رأى فى صحراء الغرب وقد أوغل في طلب جمل له ضل ، فوقع إلى مدينة خراب وأنه وجد منها شجرة عظيمة تحمل من كل صنف من الفاكهة وأنه قد أكل منها وتزود ، فقال له رجل من القبط هذه إحدى مدن[1] هرمس وفيها كنوز كثيرة فوجه عبد العزيز جماعة من ثقاته ؛ ووجهه معهم ، وتزودوا زاد شهر ومشوا يطوفون تلك الصحارى زمانا ؛ فما وجدوا لها أثرا

وكان أشمون أعدل ولد أبيه وأرغبهم فى صنيعه ؛ وأحبهم فى عمل يبقى ذكره وهو الذى بنى المجالس المصفحة بالزجاج الملون فى وسط النيل

وتقول القبط إنه بنى سربا تحت الأرض من أشمون إلى انصباب النيل ،

---

١) فى ب إحدى مدينة

وقيل إنه عمله لنسائه لأنهن كن يمضين إلى هيكل الشمس ، وكان هذا السرب مبلط الأرض ، والحيطان بالزجاج الملون العجيب

وقيل إن أشمون كان أطول إخوته ملكا ، وقال أهل الأثر إن ملكه ثمانمائة سنة ، وإن قوم عاد انتزعوا الملك منه بعد ستمائة سنة من ملكه ، وأقاموا تسعين سنة ثم كرهوا البلد واستوبؤوه[1] فرحلوا عنه إلى الراهبة من طريق الحجاز إلى وادى القرى ، فعمروها واتخذوا المنازل والمصانع والقرى ، وسلط الله عليهم القر فأهلكهم

وعاد ملك مصر الى أشمون بعد خروجهم من البلد ، ويقال إنه عمل فى وقته وزة من نحاس ، وكان الغريب إذا جاء ليدخل صاحت الوزة وصفقت بجناحيها فيعلم به أهل البلد ، فان أحبوا أدخلوه ، وإن أحبوا تركوه

وكثرت الحيات فى وقته فاحتال لها بحيلة كانوا يأخذونها بأيديهم ، ويعملون من شحومها ولحومها أدوية ودرياقات

وهو أول من عمل النيروز بمصر يقيمون سبعة أيام يأكلون ويشربون إكراما للكواكب بزعمهم

وفى زمانه بنيت البهنسا ، وأقام بها مطرانا ، وجعل فوقها مجلسا من زجاج أصفر وعليه قبة مذهبة ، وكانت الشمس إذا طلعت ألقت شعاعها على المدينة

ويقال إنه ملكهم ثمانمائة سنة وثلاثين سنة ، ومات ودفن فى احدى الاهرامات الصغار [القبلية][2]

وقيل بل عمل له طاووس فى آخر أشمون ودفن معه مال كثير وعجائب كثيرة ومن الذخائر مالا يحصى كثرة ، ودفنت معه أصنام الكواكب السبعة التى كانت فى هيكله وعشرة آلاف سرج من ذهب وفضة وعشرة آلاف جام ونضار من

---

١) فى ب واستوزروه ٢) زيادة عن ق

ذهب وفضة ، وزجاج مسبوك وألف برنية من العقاقير المدبرة لقبول الأعمال وزبر على ذلك كله اسمه ومدة ملكه

وخلف على الملك ابنه الشاد الملك ؛ فولى وهو غلام ابن خمس وأربعين سن وكان متجبرا معجبا طماح العين ؛ فابتز امرأة من نساء أبيه ، فانكشف أمر وعرف خبره ، وكان أكبر همه اللهو واللعب فاجتمع اليه كل مله كان فى ملكه وقصده كل من كان فى يده شيء من أنواع الملاهى والملاعب وانفرد للعب بهم وترك النظر فى أمور الناس

وعمل قصورا من خشب عليها قباب منقوشة مموهة بالذهب ، وكان يحملها على المراكب فى النيل ويتنزه فيها مع من يحب من نسائه وخدمه ومن يلهيه

وعمل عليه الأروقة المذهبة وفرشها بأحسن الفرش وفاخره ، وكان يتنزه عليها وتجرها البقر ، ويقيم فى نزهته شهوراً لايمر بموضع إلا اقام فيه وولد من السحر توليدا كثيرا واستنفذ اكثرها فى خزائن ابيه ؛ وذهب خراجه فى جرائد الملهين والنفقات فى غير وجوهها ، فلما اسرف فى ذلك اجتمع الناس الى وزيره فأنكروا احاله عنده وسألوه مساءلته والاشارة عليه بالاقلاع عما هو عليه ؛ فضمن لهم ذلك ثم فاوضه فيه وبين له مايجب تبينه وحذره من العواقب اللاحقة من التفريط بما يكره فلم ينته وسلط اصحابه على الناس فأساءوا إليهم واضروا بهم

وخرج الملك ذات يوم إلى متنزه له قد صفح مجالسه بصفائح الذهب والفضة وغرائب الجوهر الملون ، وأجرى اليه المياه وغرس فيه نفيس الرياحين ؛ وفرشه بأصناف الفرش الملونة

وكان إذا أحب ان يخلو بامرأة من نسائه خلى بها هناك ؛ وانه فى ذلك المتنزه ؛ وقد اقام فيه اياما إذ خرج غلام من بعض خدمه ، فأتى بعض التجار فى حاجة له ؛ وكانت له خادم فأراد اخذها منه بغير ثمن فمنعه منها فوثب عليه يريد

ضربه ، فاجتمعوا عليه وضربوه حتى أسالوا دمه وحمل وقيذ

واتصل خبره بالوزير وصاحب الجيش فركبا إلى الموضع وانكرا على الناس مافعلوه وأسمعاهم فأغلظوا لهما وأسمعوهما ، فانصرفا مغضبين وقالا ما نرى ستر هذا عن الملك وعرفاه الخبر ، فلم يحفل بهما وأمر بالنداء فى الناس من تعرضكم من خدم الملك وأصحابه فاقتلوه ، فحمد الناس أمره وشكروا فعله وتواصوا بالوثوب على أصحابه ؛ حتى إذا مضى لذلك أسبوع وجه الى وزيره وصاحب جيشه أنه عزم أن يركب الى صحراء الغرب يتصيد هناك ؛ وأمر أن يركب معه جيشه ؛ وأن يتزودوا لثلاثة ايام ففعلوا واجتمعوا إلى بابه فاستدعى الوزير ، واسر إليه انه يريد الانتقام من العامة ، وخرج الملك وجيشه فى احسن زى وهيئة وسار إلى موضع غير بعيد

فلما اختلط الظلام رجع بالجيش حتى وافى باب المدينة ؛ وامر اصحابه ان يضعوا ايديهم فى الناس فقتلوا خلقا كثيرا ، وامر بحرق الموضع الذى قتل فيه الغلام

ثم أمر أن ينادى هذا جزاء من اقدم على الملك من رعاياه واصحاب مهنتهم من العامة وغيرهم ، فاستغاث الناس ، فأسر الى وزيره ان يطرح نفسه بين يديه ويسأله فيهم ففعل فأمنهم ، وقال لهم من عاد منكم فقد احل دمه فشكروا فعله وانصرفوا ورجع الى ما كان عليه واعظم

واحتجب عن الناس واستحلت الهياكل والكهنة فأبغضه العامة والخاصة وابتغوا له الغوائل ؛ فاحتال عليه خاصته بطباخه وسقاته فسماه فمات وهو ابن مائة وعشرين سنة ؛ فكان ملكه خمسا وسبعين سنة

وصار الملك بعده إلى ابنه صاصا ، واكثر القبط تزعم ان صاصا هذا اخو الشاد وانه ابن مربيس الملك

ولما جلس صاصا على سرير الملك دخل الناس عليه يهنئونه ، فوعدهم العدل فيهم وحسن النظر لهم ، وسكن منف و نفى الملهين واهل المجالات واهل الشر ومن كان يصحب اباه

واصلح الهنيا كل ورد السكهنة إلى مراتبهم ، وعمل بمنف عجائب كثيرة وطلسمات ، واجرى فيها الانهار ، ونصب العقاب الذى كان عمل قبله على موضعه وشرف هيكله ودعى اليه

وعمل بمنف مرآة يعرف بها زمان الخصب والجدب وما يحدث ببلده وبنى داخل الواحات مدائن ، وغرس فيها نخلا كثيرا ، ونصب غرب البحر اعلاما كثيرة ، وعمل خلف المقطم صنما يقال له صنم الحيلة ، فكان كل من أعجزه أمر أتاه يسأله ، فيخبره ويبين له ما عزب عن معرفة منه

وجعل على أطراف مصر أصحابا يرفعون له ما يجرى فى حدود أرضه ، وعمل على غربى النيل منابر إذا قصدهم قاصد يوقد عليها فيصل اليه الخبر من ليله أو من يومه ، وجعل على البحر المالح مثل ذلك ، ووكل بجمعها جماعة يحرسونها

وهو أول من اتخذها ، ويقال إنه بنى أكثر منف ، وكان له بنيان عظيم بالاسكندرية

ولما ملك واستولى على البلد بأسره جمع إليه حكماء أهل بلده و نظر فى النجوم وكان بها حاذقاً ، ورأى أن بلده لابد له من أن يدخل إليه طوفان عظيم من نيلها فيكاد يغرقها ، ورأى أنه يحدث على يدى رجل يأتى من ناحية الشام

فجمع كل فاعل بمصر وجهاتها وبنى فى الواح الأقصى مدينة جعل طول حصنها فى الارتفاع خمسين ذراعا وأودعها جميع الحكم والاموال ، وهى المدينة التى وقع عليها موسى بن نصير فى زمن بنى أمية لما قلد المغرب ، لأنه لما دخل مصر أخذ على الواح الاقصى بالنجوم وكان عنده علم منها

وأقام سبعة ايام يسير فى رمال بين سمت الغرب والجنوب الى ظهرت له مدينة فيها حصن وابواب حديد ؛ فرام ان يفتح بابا من ابوابها فأعياه ذلك لغلبة الرمل عليها ، وعلى ما حولها ؛ فأصعد اليها الناس فكل من صعد منهم واشرف وثب داخلها لا يعلم كيف يقع ولا على ما يسقط ولا ما يصيب

ولما لم يجد فيها حيلة تركها ومضى . وقد فقد فيها جماعة من اصحابه ؛ وحرروا عرض حصنها عشرين ذراعا . وهلك فى طريقه منصرفا عنها جماعة من اصحابه ولم يسمع ان احدا قبل موسى بن نصير ولا بعده وقع عليها

وفى تلك الصحارى اكثر متنزهاتهم ومدائنهم العجيبة وكنوزهم العظيمة إلا ان الرمال غلبت عليها

ولم يكن لمصر ملك الا وقد عمل للرمل طلسما يبعدها ويوقفها ، ثم تفسد طلسماتها على تقادم الايام

ولا ينبغى لأحد ان ينكر كثرة بنيانهم ومدائنهم . وما نصبوه من الاعلام العظام

فقد كان لاقوم بطش لم يكن لغيرهم ؛ وفيما يظهر من آثارهم بيان تحقيق ما يذكر عنهم

من ذلك مثل هذه الأهرام والأعلام العظام المشهورة بالاسكندرية ، وفى صحراء الغرب عجائب باقية من ذلك ؛ ومالهم من الجبال المنحوتة التى جعلوا كنوزهم فوقها ، فلا يصل أحد اليها وكذلك الأودية المنحوتة ؛ ومثل ما بالصعيد من مدائنهم وما نقشوه عليها من حكمهم ؛ فانه لو تعاطى أحد من ملوك الارض أن يبنى مثل الهرمين أو جميعهم ماتهيأ لهم ذلك ؛ وكذلك لو أرادوا أن ينقشوا ثوبا واحداً لطال عليهم الامر وتركوه

وحكى عن قوم فى ضياع الغرب أن عاملا من عمالهم عنق بهم ، فدخلوا فى

صحراء الغرب وحملوا معهم زادا إلى أن تصلح أمورهم ويرجعوا إلى منازلهم وكانوا على يوم وبعض آخر، فدلجوا إلى جبل، فوجدوا عيرا أهلياً قد خرج من بعض شعابه؛ فتبعه نفر منهم، فأخرجه إلى مساكن وأشجار ونخل ومياه وناس؛ فهم يسكنون تلك الناحية ويتناسلون ويزرعون ولا يطالبهم أحد بخراج

وأخبروهم أنهم لم يدخلوا الى ضياع الغرب، فصاروا نحوهم بأهليهم ومواشيهم وجميع أموالهم؛ فأقاموا مدة يطلبون الطريق فما وجدوه؛ ولا عرفوه؛ ولا وقفوا له على خبر؛ ولا تأتى لهم الوصول اليهم ؛ فرجعوا آيسين على مافاتهم من ذلك الموضع

وحكى أيضا عن آخرين انهم ضلوا فى طريق الغرب فوقعوا الى مدينة كثيرة الماء والشجر والناس والمواشى والنخل والزرع، فأضافوهم وأكلوا عندهم وأباتوهم فى دار فيها طاحونة يعمل فيها الخمر فشربوا معهم حتى سكروا وناموا؛ فلما انتبهوا عند طلوع الشمس وجدوا أنفسهم فى مدينة خراب ليس فيها أنيس ولا عمارة؛ فارتاعوا وخرجوا على وجوههم كالهاربين ، وساروا يومهم على غير سمت حتى قرب المساء، فظهرت لهم مدينة أكبر من الأولى وأعمر وأكثر أهلا ودوابا ونخلا وشجراً وزرعا ومواشى ؛ فأنسوا بها ونزلوا عندهم فأخبروهم بخبر المدينة الأولى

فجعلوا يعجبون من ذلك ويضحكون منهم؛ وإذا لبعض أهل المدينة وليمة، فانطلقوا بهم إليها فأطعموهم بها وسقوهم وغنوهم بأصناف الملاهى؛ وسألوهم عن أخبارهم؛ فأخبروهم أنهم ضلوا عن الطريق فى بعض هذه الصحارى؛ فقالوا لهم الطريق بين أيديكم واضح؛ ولا يمكن أن تغلطوا فيه فان أحببتم المسير وجهنا معكم من يوقفكم على سمت الطريق الكبير الذى يؤديكم إلى مكانكم؛ وإن أحببتم أن تقيموا عندنا أرفدناكم وزوجناكم عندنا؛ وكنتم أصهارنا وإخواننا؛ فسروا

بذلك من قولهم . فأجمع بعضهم على المقام معهم ؛ وأجمع أكثر من كان منهم له أهل وولد على أن يأخذ أهله وولده فيسير نحوهم قالوا فبتنا معهم خير مبيت ؛ ثم نمنا فلما كان فى الغد انتبهنا فوجدنا أنفسنا فى مدينة عظيمة خراب قد تشعث بعض حصونها ؛ وليس بها أحد من الناس إلا أن حولها نخلا كثيرا قد تساقط ثمرها ؛ وتكدس حولها . فلحقنا لذلك من الخوف والارتياع والوحشة ما كاد يتلفنا

فخرجنا منها مفكرين فيما عايناه ؛ وإنا لنجد روائح الخمر معنا ومعانى السكر فينا ظاهرة ؛ فلم نزل نسير يومنا أجمع . وليس بنا جوع ولا عطش ؛ حتى إذا كان المساء وافينا راعياً يرعى غنما له ؛ فسألناه عن العمارة والطريق ، قال إن العمارة قريب منكم ؛ فاذا نحن بأنهار فيها الماء فنزلنا وشربنا منها و بتنا ثم أصبحنا . فاذا نحن فى غير موضعنا الذى كنا فيه ؛ وإذا معنا الناس والعمران . وما مشينا إلا بعض يوم حتى دخلنا مدينة الأشمون فى الصعيد ؛ فكنا نحدث الناس فلا يقبلون منا

وهذه مدائن القوم الداخلة القديمة قد غلبت عليها الجن ؛ ومنها ما قد ستر عن العيون فلا يراه أحد

وذكر بعض القبط أن رجلا من بنى الكهنة الذين قتلهم الشادسار إلى الافرنجة فذكر لملكهم كثرة كنوز مصر وعجائبها ، وضمن له أن يوصله إليها وإلى ملكها وأموالها ؛ ويدفع عنها طلسماتها حتى يبلغ جميع مايريده ، ويعرفه مواضع الكنوز

فعزم ملك الافرنجة على غزو مصر وجهاتها ؛ فلما اتصل بصاحب مصر أن ملك الافرنجة تجهز إليها عمد إلى جبل بين البحر المالح وشرقى النيل ؛ فأصعد إليه أكثر كنوزه .وما كان فى خزائنه ، وصفح ظاهرها بالرصاص

وأمر فنحتوا جوانب الجبل إلى منتهى خمسين ذراعاً ؛ وجعلوا فى آخر المنحوت

منه الصور البارزة خارجة فى النحت بقدر ذراع ؛ وهو جبل مدور فى جرمه إلا أنه رفيع السمك

ثم انصرف الملك إلى مصر ، وتأهب بما قدر عليه ، واستظهر بما أمكنه ، وجعل ينتظر ملك الافرنجة

وأن ملك الافرنجة حشد وجيش ما أمكنه وقصد مصر ؛ وكان لا يمر بشىء من عجائبها وطلاسمها وغرائب أعمالها ومناراتها إلا قدر عليه وغيره وأفسد ماصادف من أصنامها ، وذلك كله أمكنه بمعونة ذلك الكاهن

حتى أتى الاسكندرية الأولى فعاث فيها وهدم كثيرا منها وغير معالمها إلى أن دخل النيل من ناحية رشيد ، وصعد إلى منف ، وأهل تلك البلاد يحاربونه وهو ينتهب ما مر عليه فوجد منفا ممتنعة بالطلسمات الشداد ، والمياه العميقة والسرادقات العالية فأقام عليها أياما كثيرة لحاربها طمعاً أن يصل اليها ؛ فلم يقدر ورأى كثرة الناس عليها ، وأنهم كل يوم يزيدون وأصحابه ينقصون ؛ فاغتاظ على الكاهن وأراد قتله فلم يمكنه

وفر إلى أهله فسيروه حتى أمر الكهان إلى أوله من الظهور فرجع إلى حاله [1] وهلك من أصحابه خلق كثير ، واجتمع أهل النواحى فقصدوا مراكبه ، فأحرقوا أكثرها فأجمع هو ومن معه على الهروب

ولما علم أهل مصر بذلك الكاهن الذى كان معه انحشدوا اليه بما قدروا عليه من المراكب ؛ وظفروا بأكثر أصحابه فقتلوهم وغرقوا مراكبهم ؛ فكان أعظم مطالب ملكهم أن يخلص نفسه ، فأسرع الهرب فى مركب استجاده لمثل ذلك الحال

ففر وسلط الله على مراكبهم رياحا غرقت كثيرا منها ؛ فما عادوا إلى الأفرنجة

١) هكذا فى الأصول ولم نغير فيها شيئا

إلا وملكهم قد ثقل بالجراحات التى أصابته ، ورجع الناس إلى منازلهم وقرارهم ورجع الملك إلى مصر وترك ما كنزه فى موضعه عتيداً له

ويقال انه كان هناك إلى هذا الوقت ولم يزل بعد ذلك الوقت يغزو بلاد الروم ، وأهل الجزائر ، ويعيث فيها ويخربها ، فهابته الملوك

وأقام ملكا سبعا وستين سنة ، وهلك ودفن بمنف فى ناووسه الذى كان عمل له فى وسط المدينة من تحت الأرض ، وجعل الدخول اليه من خارج المدينة من الجهة الغربية ، وحمل اليه أموالا عظيمة ، وجواهر كثيرة وطلسمات وتماثيل كما فعل أجداده من قبله

وكان فيه أربعة آلاف تمثال على صور شتى برية وبحرية ، وتمثال عقاب من جوهر أخضر عند رأسه ، وتمثال تنين أخضر من ذهب مسبوك عند رجليه وزبر عليه اسمه وسيرته وجميع أموره

وعهد إلى ابنه بداونس الملك وهو أول من ملك الأجناد وصفاله ملك مصر وكان بداونس الملك محنكا مجربا ذا أيد وقوة ومعرفة بالأمور ، فأظهر فيهم العدل ، واقام الهياكل ورد أهلها وأكرم الكهنة ، وزاد فى ألطافهم ، وبنى بغربى منف بيتاً عظيما للزهرة ، وزبر فيه كتبا كثيرة من العلوم وكساه الحرير وعمل عيداً كبيراً اجتمع اليه جميع الأجناد

وكان صنم الزهرة من اللازورد موشحا بذهب يبرق مسورا بسوارى زبرجد أخضر ، وكان فى صورة امرأة لها ضفيرتان من ذهب أسود مدبر ، وفى رجليها خلخالان من حجر أحمر كالياقوت ، ونعلان من ذهب ، وفى يدها قضيب مرجان وهى تشير بسبابتها كالمسلمة على من فى الهيكل

وجعل حذاءها من الجانب الآخر بقرة ذات قرنين وضرعين من نحاس أحمر مموه بالذهب موشحة بحجر اللازورد ووجه البقرة محاذ إلى وجه صنم

الزهرة ؛ وجعلوا بينهما مطهرة من أخلاط الأجساد على عمود رخام مجزع فيهـا ماء مدبر بقوة من الزهرة يستشفى بها من كل داء ؛ وفرش الهيكل بحشيشة الزهرة تنالوها فى كل سبعة أيام

وجعل فيها كراسى الكهنة مصفحة بالذهب والفضة ؛ وقرب فيها ألف رأس من الضأن والمعز والوحش والطير ؛ وكان يحضره يوم الزهرة ويطوف به ؛ وكان قد فرش الهيكل وستره عن يمن الزهرة وشمالها

وكان فى أعلى قبة الهيكل صورة رجل راكب على فرس له جناحان ومعه حربة سنانها رأس إنسان معلق ؛ وبقى هذا الهيكل إلى زمان بخت نصر وهو الذى هدمه

ويقال ان بداونس هو الذى حفر خليج بخارى [1] فارتفع له من الخراج فى بلده مائة الف الف وخمسون الف الف

وقصده بعض العمالقة غازيا له من الشام ؛ فلما سمع به جيش ، وخرج اليه ولقيه وهزمه ودخل فلسطين فقتل فيها وسبا خلقا كثيرا ؛ وسبا بعض حكامها واسكنهم مصر فهابته الملوك

وعلى راس ثلاثين سنة من ملكه طمع السودان من الزنج والنوبة فى ارضه ، فهجموا على بعض الاطراف فعاثوا وافسدوا

فأمر بجمع الجيوش من اعمال مصر ، وأعد المراكب ووجه قائدا من قواده يقال له بلوطس

وفى ثلاثمائة ألف بين راكب وراجل ، واتبعه بقائد آخر فى مثلها ووجه فى البحر ثلاثمائة سفينة وجعل فى كل سفينة كاهنا يعمل أعجوبة

وسار هو فى أثرهما فيمن بقي من الجيوش ؛ فلقوا جيوش السودان وكانوا زهاء الف الف فهزموهم وقتل اكثرهم ؛ فأسر منهم كثيرا وتبعهم الجيوش حتى

---

١) هكذا فى الاصول

وصلوا إلى أرض الفيلة من ارض الزنج فاخذوا منها عدة كثيرة ، واخذ معها كثيرا من النمور والوحش وسيقت الى مصر

ونصب على حدوده منارات وزبروا عليها مسيره وظهوره والوقت الذى غزا فيه السودان ، وذكر كل ماعمل فى ايامه

ولما انصرف الى مصر واستقر بها اعتل ورأى رؤيا تدل على موته : فعمل لنفسه ناووسا ونقل اليه من اصنام الكواكب كثيراً ، ومن الذهب والجوهر الملون والتماثيل الغريبة الصنعة والآلات والذخائر مالا يعلم جودته وكثرته : فلما هلك دفن فيه وزبر على بابه فى الحجارة اسمه وتاريخ الوقت الذى مات فيه جعلت عليه طلاسم تمنع منه

وكان قد عهد إلى ابنه بعده مماليك الملك ، وكان أديبا عاقلا كريما حسن الوجه مجربا مخالفا لأبيه فى عبادة الكواكب والبقر ، ويقال إنه موحد على دين قبطيم ومصرايم ، فكانت القبط تذمه بذلك

وكان سببه فيما ذكر أنه رأى رؤيا فيما يراه النائم ، كأنه أتاه رجلان لهما أجنحة فاختطفاه واحتملاه إلى الفلك ، وأوقفاه حذاء شيخ أسود أبيض الرأس واللحية ، فقال له هل تعرفنى فدخلته منه روعة لحداثته ، وكان سنه نيفا وثلاثين سنة ، فقال له ماأعرفك ، فقال له أنا بشر ، يعنى رجلا فقال قد عرفتك قال أنت إلاهى فقال إنك وإن كنت تدعونى إلهاً فانى مربوب ملك وإلهى وإلهك الذى خلق السموات والأرض وخلقنى وخلقك ، قال فأين هو ؟ قال فى العلو الأعلى ، [تعالى] لا تلحقه الظنون ولا تراه العيون ، ولا يشبهه شىء ، وهو الذى جعلنا سببا لاقامة العالم الأسفل وتدبيره ، قال كيف نعمل إذاً ؟ قال تضمر فى نفسك ربوبيته وتخلص وحدانيته وتعترف بأزليته . ثم أمر الرجلين فأنزلاه إلى موضعه ، فاستيقظ مذعورا وهو على فراشه

فدعا رأس الكهنه فقص عليه رؤياه ؛ فقال له عاهدتك أن لا تتخذ الاصنام آلهة فانها لا تضر ولا تنفع ؛ قال فمن أعبد؟ قال الله الذى خلق السموات والأرض وخلق جميع ما فيها من أموال وغيرها

قال وكيف أقدر على رد نفوس العالم عما هم عليه؟ قال اعقد على ذلك نيتك، وأخلص ضميرك وصف به قلبك ، وإذا غبت عن عيون الناس وانفردت فاعمل ما أمكنك ودم للناس فى الظاهر على ما كان عليه جدودك ، فقبل الملك ذلك القول منه واعتقده وعمل به

فكان يحضر للهيكل وسجد للصنم منحرفا عنه بقلبه مبغضاً له كافراً به وهو يضمر أن سجوده لله عز وجل

واستعمل كثرة الغزوات وموالاة الاسفار والجولان فى البلاد ، وكل ذلك لتطول غيبته عن مصر ويبعد عن الهيكل

وال بعض أهل مصر إن الله أيده بملك من الملائكة يعضده ويرشده وربما أتاه فى نومه فأمره ونهاه ؛ وأخبره بما يريد معرفته ؛ فأمر الناس عند ذلك باتخاذ كل جادة من الخيل وكل جيد وجميل من السلاح ، وأعد الزاد ، واتخذ فى بحر المغرب مائتى سفينة

وخرج فى جيش عظيم فى البر وفى البحر ، فلقيه جموع البربر فهزمهم وقتل أكثرهم

وبلغ أفريقية ، واستأصل أكثرها ، وخرج منها ، وكان لايمر بأمة إلا أبادها إلى أن غزا من ناحية الأندلس يريد الافرنجة

وكان بها ملك عظيم يقال له افريوس ، فحشد اليه من كل النواحى ، فأقام يحاربه شهرا ثم طاب صالحه ، وأهدى إليه هدايا كثيرة ؛ فقبل ذلك منه وسار عنه ودعا الامم المتصلة بالبحر الاخضر فأطاعوه ومر بأمة لها حوافر ولهم قرون

صفار ؛ ولهم شعور كشعور الذئبة ؛ ولهم أنياب دلف بارزة من أفواههم ؛ فقاتلوهم قتالا شديدا حتى أثخنهم فنفروا عنه إلى غيران لهم مظلمة ، فلم يمكن له دخولها عليهم

والقبط تزعم أنه رأى سبعين أعجوبة سنذكر منها بعد هذا ؛ وعمل على البحر أعلاما وزبر عليها اسمه ، وخرب مدن البربر حيث كانت ، وألجأهم إلى قرون الجبال ؛ ورجع فتلقاه أهل مصر بصنوف اللهو والطيب والرياحين ، وفرشوا له الطرق ، ودخل قصره موفورا ظاهراً ، وأخرج اليه ابنه ، وكان ولد له من بعده فسر به وابتهج وكمل فرحه ؛ واتصل خبره بالملوك فهابوه . وحملوا إليه الهدايا من كل جهة

وبلغه ان قوماً من البربر والسحرة لهم تماثيل وبخورات عجيبة ؛ يضاون بها وتخاييل وهم فى مدينة لهم يقال لها قرمودة فى المغرب من أرض مصر ، وقد ملكوا عليهم امرأة منهم ساحرة يقال لها سطا

واتصل به كثرة أذاهم للناس ؛ فغزاهم حتى إذا قرب منهم ستروا عنهم مدينتهم وسحروه ، فلم يرها وطمسوا مياههم ؛ فلم يعرفها ؛ فهلك كثير من أصحابه عطشا ؛ فلم يجد لهم حيلة فى الوصول اليهم ، فزال عنهم ثم صعد إلى ناحية الجنوب

ثم رجع اليهم على غير الطريق الذى سار اليهم عليها أولا فمر بهم بهيكل كانوا يحضرونه فى بعض أعيادهم ؛ فأمر بهدمه فهدم بعضه وسقط منه موضع على جماعة من اصحابه ممن تولى هدمه فأهلكهم ؛ فلما رأى ذلك تركهم وانصرف عنهم وخرجوا إلى هيكلهم فبنوه واصلحوا ما فسد منه وحرسوه بطلسمات محكمة ؛ ونصبوا فى قبته صنما من نحاس مذهب

وكان إذا قصدهم أحد صاح الصنم صياحا عظيما منكراً يرعب منه كل ذى

روح ويبهت فيخرجون اليه فيصطلمونه

وكانت ملكتهم أحذق منهم بالسحر فقالوا لها نعمل الحيلة فى افساد مصر وإيذاء أهلها فقالت لهم نعم ، فقالوا أنت أقدر منا ، فاعملى فيها ما رأيتيه

فعملت لهم أدوية سحرت فيها النيل ودفعتها إلى بعضهم ، وأمرتهم أن يمضوا بها إلى مصر ، والزرع في حقله على أن تؤخذ فيطرحون منها فى النيل فى أعلى مصر ويفرق بعضهم على أقطار مصر ، وحيث زروعهم الكثيرة ؛فيفرقونها فى كل جهة ، قابل غبار فى كل جهة

فلما فعلوا ذلك فاض النيل فى غير وقته وزاد على المعهود ، وأقام الماء طويلا على مزارعهم ، وأفسد زروعهم وغلاتهم ، وكثر فيه التماسيح والضفادع ، وكثرت العلل فى الناس وانبثت فيهم الثعابين والعقارب

فأحضر الملك الكهنة والحكماء وقال لهم أخبرونى عن هذه الحوادث التى حدثت فى بلادنا ، ولم تذكروه فى الطالع الذى وضعتموه لهذه السنة ؛ فكنا نتأهب لها . فاجتمعوا فى دار الكهنة ، ونظروا وبحثوا حتى علموا أنهم أوتوا من قبل ناحية المغرب ، وأن امرأة عملته وألقته فى النيل ، وفرقته على الجهات

فعلم الملك أنه من قبل تلك الساحرة ، فقال لهم أجهدوا أنفسكم فى هلاكها فقد بلغت فيكم من أذاتها

فاجتمعوا إلى الهيكل الذى فيه صور الكواكب وسألوه أن يحضر معهم فلم يمكنه الخلاف ، فلما أمسى لبس مسحا ، وفرش رماداً ، واستقبل مصلاه ، وأقبل على الدعاء والابتهال والتضرع الى الله تعالى ، وقال: يارب أنت إله الآلهة وملك الملوك ، وخالق الكل ، ولا يكون شيء مما دق وجل إلا بأمرك وحولك ، أسألك بجميع فضائلك وآياتك وأسمائك أن تكفينا أمر هؤلاء القوم

فلم يزل كذلك حتى غلبته سنة من النوم ، فنام مكانه فرأى كأن آتياً أتاه ،

فقال له قد رحم الله تضرعك ، وعلم ضميرك وأجاب دعوتك ، وهو مهلك هؤلاء القوم ومدمرهم ، وصارف عنك الماء المفسد والدواب المضرة ، والأمراض المهلكة

فلما أصبح الكهنة غدوا عليه وسألوه حضور هيكلهم على ماوجههم به . فقال لهم قد كفيتم أمر عدوكم ، وأزيل الماء المفسد والدواب المضرة عنكم ، ولن تروا بعدها شيئاً تكرهونه ، فسكتوا ونظر بعضهم الى بعض كالمنكرين لما سمعوه ، ثم قالوا له قد سررنا بما ذكره الملك دام عمره ، وهم يضمرون التكذيب والاستهزاء

وخرجوا عنه فقال بعضهم لبعض الرأى أن لاتقولوا شيئاً فى هذا ، فان كان حقاً ظهر سريعا ، وإن كان باطلا اتسع لكم اللفظ فى ذمه ، وسيتبين أمره

فلما كان بعد يومين انكشف ذلك الماء المفسد ، وجففته الشمس ، وهلكت تلك الدواب المضرة ، فعلم القوم صدق ماأخبرهم به

وأمر الملك قائدا من قواده ورجلا من الكهنة أن يمضوا بجيش حتى يعلموا علم تلك المدينة ، فخرجوا اليها فأتوها ، فلم يروا مكروها ولا وجدوا مانعا

فلما وصلوا اليها وجدوا حصنها قد سقط ، وأهلها عن آخرهم موتى ، واحترق بعضهم ، واسودت وجوههم ، ووجدوا بعض الأصنام ساقطة على وجوهها ، وأموالهم ظاهرة بين أيديهم

فطافوا المدينة وفتشوها فلم يجدوا فيها غير رجل واحد حياً ، كان مخالفاً لدينهم بسبب رؤيا رآها ، ووجدوا من الأموال والجواهر وأصناف الذهب والتماثيل ما لا يحصى كثرة ، ولا يعرف له قيمة

ووجدوا صورة كاهن لهم كانوا يتعبدونها ، وهى من زبرجد أخضر على قائمة من حجر البسد ، ووجدوا صورة روحانى من ذهب ورأسه من جوهر أحمر

وله جناحان من در ، وفى يديه مصحف فيه كثـير من علوم مصر فى دفتين من ذهب مرصعتين بذهب ملون

ووجدوا مطهرة من ياقوت أزرق على قاعـدة من زجاج أخضر مسبوك ، وفيها فضلة من الماء الدافع للأسقام

ووجدوا فرسا من فضة من عزم عليـه بعزائمه ودخنه بدخنه وركبه طار به فيما زعموا

ووجدوا غير ذلك من العجائب والآلات التى يستعملها السحرة والأصنام التى يتخذونها ، فجمعوا من ذلك ماخف حمله وثقل ثمنه ، وأوقروا به دوابهم من جميع العجائب والتماثيل وغرائب ما كان فيها من الأشكال ، وحملوا جميعه إلى الملك ، وحمل الرجل الذى وجـد حياً ، ووصلوا بذلك كله الى الملك ، فابتهج بذلك وحمد الله تعالى على ما أولاه ، وسر الناس

وبهت منه كهنة مصر ، ولم يعرفوا أصله ، فوجه الملك دواب وعسكرا ونهض معهم من شاء من العامة بأشمون ومصر ، فنقلوا جميع ما كان تبقى فى المـدينة من شيء له خطر ، فصار بأيدى الناس منه شيء كثـير ، واستغنى فيها كثير من مساكين العامة وسوقتهم وسيق منه إلى الملك شيء كثير جدا

وصار الموضع بعد ذلك زمانا طويلا مطلبا لمن أمكنه المسير اليه ، وقل من مشى اليه ورجع خائبا

واستحضر الملك ذلك الرجل الذى وجد حيـا فاستخبره عن أحاديثهم ، فحدثه بأشياء معجبة ، ثم قال :

وأعجب مارأيت منهم أنه قصد المدينة منـذ دهر ملك من ملوك البربر جبار من أهل بيت تجـبر ، فجاء بجموع كثيرة وجيوش كثيفة وتخـاييل هائلة فأغلق أهل مدينتنا حصنهم، ورتبوا المراهقين على أسوارها ولجأوا إلى أصنامهم

وشيوخهم وكهنتهم يخضعون لها ويتضرعون اليهـا . وكان لهم كاهن عظيم الشأن لا يكاد أن يخرج من منزله ، فسار اليه رؤساؤهم ، وشكوا اليه مادهاهم من عدوهم ، فخرج معهم الى بركة لهم عظيمة بعيدة القعر ، كانوا يشربون منها الماء ، فجلس على حافتها ، وأحاط الكهنة بها ، وأقبل يزمزم على ماء البركة ، فلم يزل كذلك حتى فاض الماء وفار ، وخرج من وسطـه نار تتأجج وخرج من وسطها وجه كدائرة الشمس وعلى ضوئها خرت الجماعة سجوداً لذلك الوجه وجللهم نوره ، وجعل يعزم حتى ملأ البركة وارتفع حتى صعد على أعلى القبة ثم ارتفع الى السماء فسمعوه يقول قد كفينا كم أمر عدوكم ، فاخرجوا نخذوا أموالهم . فخرجنا بأجمعنا متخوفين حتي وصلنا مضربهم ، فوجدناهم أمواتا لم يبق منهم حى فأخذنا جميع ماتركوه من مال وثياب ودواب وآلة وانصرف أهل المدينة إلى مدينتهم فرحين ، وكانوا يأكلون ويشربون ، فقلت لبعض الكهنة لقـد رأيت عجباً من ذلك الوجه فما هو؟ قال ملك الشمس تبدت فماتوا عن آخرهم كما رأيت قال له الملك فما الذى أهلكهم الآن ؟ قال لا أدرى ، غير أنى أفقت من نومى فى الليل فسمعت هدة عظيمة إذ تهدم الحصن فأردت الخروج ولا علم لى بذلك فاذا بأصوات انكرتها وضوء نار وروائح حريق ، وكنت ساكناً فى موضع كالخان فيـه خلق كثير ، فصحت بكثير منهم فلم يستجب لى أحد فسرت أفتقد باب المنزل فوجدته مغلقا فدخلت بيتى وأوقدت سراجا بنار كانت عندى ، ثم مشيت على جميع من فى الدار رجالا ونساء صغارا وكبار ، فلم أجد أحدا منهم حيا فأقمت فى نهـاية من الرعب ابتهل إلى الله عز وجل وأدعو ، فلما اصبحت أقمت حتى طلعت الشمس و[بدا]النهار ، فلم أسمع صوتا ولا حركة ، فخرجت فوجدت المدينة على ماوجدهـا أصحاب الملك

وكان هذا الرجل عاقلا مجربا فاتخذه الملك صـاحبا ووزيرا وأنيسا ولم يزل

مماليك الملك على التوحيد لله تعالى والايمان به ، وهو يسايس اهل بلاده ويداريهم عما فى نفسه خوفا من اضطراب ملكه عليه

وأمر فبنى له ناووس . وأمر ان يدفن فيه إذا مات وحده ولا يدفن معه احد من أهله ، وأمر ان لا يدفن معه ذهب ولا فضة ولا تمثال ، وكتب بخطه صحيفة « هذا ناووس مماليك الملك ، ملك مصر واعمالها ، مات وهو يؤمن بالله لا يعبد معه غيره ، ومتبرىء من الأصنام وعبادتها ، ومؤمن بالبعث والحساب والمجازاة على الاعمال عاش بكذا وكذا ، فمن احب النجاة من عباد الله ، فليدن بما دان به » وقد كان دفن بموضع آخر كنوزا كثيرة وزبر عليها انه لا يخرجها إلا امة النبي المبعوث فى آخر الزمان يعنى محمدا [عليه الصلاة والسلام] ودفع الصحيفة التى كتبها إلى الآمر بعده وامره بسترها والاحتفاظ بها فاذا هو مات زبر ما فيها على ناووسه

وكان طول حياته يقصد ناووسه يتعبد فيه مستترا عن جميع العالم ولما ايقن بالموت دعى ابنه فأسر اليه التوحيد واعلمه انه دينه ، ولم ير منه إلا الخير وامره ان يدين به ونهاه عن عبادة الاصنام فدان بذلك مدة حياة ابيه ومات فدفنه ابنه فى ناووسه وزبر عليه ما فى الصحيفة

فلما فرغ من أمره جلس على سرير الملك ابنه اخريتا الملك ، وتقلد الامر وكان لينا سهلا حسن الخلق فلما مات أبوه رجع إلى عما كان عليه من التوحيد وصار دينهم

وكان سبب رجوعه إلى عبادة الاصنام أن أمه كانت بنت كبير من الكهان ففتنته بعد موت ابيه إلى دينها وغلبته على رايها فأمرت بتجديد الهياكل وشددت فى عبادة الاصنام

وتزوج الملك امرأة من بنى عمه فأحبها حبا شديدا فهام بها فأفسدته على جميع

نسائه : فاشتد ذلك على أمه

وكانت له قهرمانة من أهل أسيوط ساحرة لاتطاق وكانت تميل إلى هذه المرأة لأنها كانت تعشق أخاها : فزادت فى سحرها لتلك المرأة وأوحشت مابين الملك وأمه حتى رفضها واستخف بها ؛ وزادت فى القصة حتى حلف انه لا يجاورها ، وان يغزو وينصرف ولا يرجع الى مصر حتى يتصل به [خبر] موتها ففعل ذلك وغزا بلاد الهند وارض السودان

وكان سبب خروجه إلى أرض الهند [أن] ملكا من ملوكها يقال له ميسور خرج فى عدد كثير فى البر وسايرته مراكبه فى البحر ففتح بلدانا وجزائر ؛ وأكثر القتل والسبي ؛ وذكرت له مصر فقصدها ثم اعتل فرجع من طريقه

فأمر اخريتا الملك فعمل مائة سفينة فى صور المصريات ؛ واستعد وخرج فى ثلاثمائة سفينة وحمل المرأة معه ؛ وحمل وجوه أصحابه

واستخلف على مصر ابنه كلكان وكان صبيا ؛ وحمل معه وزيرا له يقال له لاون ، وكاهنا يقال له وسمسوس ؛ وخرج فمر على ساحل البحر وعاثت مراكبه فيها فكان لايدخل بلدا إلا أقام فيها صنما وزبر عليه اسمه وسيرته ووقته

وبلغ سرنديب فأوقع بأهلها ؛ وغنم منها أموالا وجواهر كثيرة وحمل منها حكيما لهم بارعا ؛ وبلغ جزيرة بين الهند والصين ووجد فيها قوما طوالا سمرا يجرون شعورهم ؛ ورأى عندهم اللعاب والطيور التى لاتعرف وشجرة الطيب والنارجيل والفواكه التى لاتكون إلا عندهم فأذعنوا اليه بالطاعة وحملوا اليه أموالا وهدايا فقبلها وسار عنهم

وجعل يتنقل فى تلك الجزائر عدة سنين . يقال إنه غاب عن مصر فى سفره سبع عشرة سنة

ورجع إلى مصر غانما موفورا فوجد أمه قد هلكت . وكان أهل مصر قد

أيسوا منه ؛ فورد على الناس من رجوعه أمر عظيم من الفرح ، وكان معهم على حالهم من السلامة والوقور والظهور

ووجد ابنه كاـكان على ماتركه من الملك فسر بذلك وهابته الملوك ، وعظم قدره فى أعين الناس ؛ ثم بنى عدة هيا كل وزينها وحلاها ، وأقام فيهـا أصناما للكواكب ؛ لأنه زعم أنها هى التى أيدته فى سفره حتى ظفر وغنم ونجا ، وقد كان حمل معه من الهند طبيبا وحكيما ، وحملا مع أنفسهما كتبهما وعزائمهما ؛ فأظهرا بمصر عجائب مشهورة

وحمل معه من بلاد الهند صنما من ذهب مقرطا بالجوهر ، ونصبه فى بعض الهيا كل التى أقامها

وكان حكيم الهند هو الذى يقوم عليه ويخدمه ويقرب له ؛ فـكان يخبرهم بكل مايريدونه

وأن أخريتا الملك أقام بعد منصرفه من الهند مدة ثم غزا نواحى الشام فأدى إليه أهلها الطاعة ، ثم رجع إلى مصر وغزانواحى النوبة والسودان فصالحوه على هيا كلهم بأتاوة أدوها اليه فتركهم ورجع إلى مصر

وملـكهم خمسا وسبعين سنة ، وعمل لنفسه فى صحراء الغرب ناووساً،وأمر أن يدفن فيه إذا مات ثم سار إلى رفودة وعمل فيها مصانع وعجائب، وأقام بها الى انمات وابنه على المملـكة بمنف

ولمامات ضمد جسمه بالمومياء والـكافور والمر وجعل فى تابوت من ذهب وحمل إلى ناووسه ودفن فيه ودفن معه مال كثير وجوهر نفيس وتماثيل كثيرة وسلاح عجيبة وعقاقير وكتب خطية

وصورت فى جوانب الناووس صورته وزبر عليها ذكر السنين التىغزا فيها والبلدان التى فتحها ، والمرأة التى غلبها ؛ وسدوا باب الناووس ؛ وزبروا اسمه

ومدته عليه وتاريخ موته

وكان جميلا سمح الاخلاق ؛ وقتل جماعة من نسائه أنفسهن عليه واغتم عليه الكهنة لاتباعه دينهم

وملك بعده ابنه كلكان الملك فعقد تاج الملك بعد موت أبيه بالاسكندرية وأقام بها شهرين ؛ ورجع إلى منف ، وكان على دين أبيه فاستبشر به أهل مصر لانه كان يحب الكهنة وإظهار العجائب ويقرب أهلها ويكثر جوائزهم

ولم يزل يعمل طول عمره فخزن أموالا عظيمة ؛ ودفن منها بصحراء الغرب ما لا يوصف كثرة

وهو أول من أظهر صنع الكيمياء بمصر ؛ وكانت مكتومة [وكان يطرح المثقال الواحد على القناطير من النحاس الكثيرة : فيصنعها باذن الله تعالى ذهباً] [١]

وكان الملوك قبله رأوا كتم عملها لئلا يجتمع عليها ملوك الامم ؛ فترك كلكان ذلك الرأى وعمل الكيمياء وملأ دور الحكمة منها حتى لم يكن الذهب قط أكثر منه فى أيامه : ولا الخراج لانه بلغ وقته فيما حكاه بعض القبط مائة ألف ألف وسبعة عشر ألف ألف ؛ واستغنوا فى وقته عن إثارة المعادن لقلة حاجتهم إليها ؛ وعمل أيضا من الحجارة المسبوكة الصنم الملون الذى ينشف شيئا كثيراً [وعمل ايضا حجارة شفافة ملونة من الفيروزج واليشم والزبرجد وغيرها] [١]

وتحكى القبط أنه اخترع أشياء تخرج عن العقل حتى سمته [الحكماء] [١] حكيم الملوك : وغلب جميع الكهنة فى علمهم وكان يخبرهم بما يغيب عنهم فخافوه واحتاجوا الى علمه

وكان نمرود إبراهيم فى زمانه ؛ ويقال انه لما اتصل بالنمرود حكمته وسحره

---

١) زيادة عن ق

استنزاره وكان النمرود جباراً مشوه الخلق سكن سواد العراق . وكان الله آتاه قوة وبطشاً ، فغلب على كثير من الامم فتقول القبط لما يريدون من تعظيم ملوكهم ان كالكان لما استزاره النمرود وجه إليه أن يلقاه منفرداً من أهله وحشمه لموضع كذا

فأقبل كالكان للوعد وهو على أربعة افراس : ذوات أجنحة تحمله : وقد أحاط به نور كالنار وحوله صنوف[1] هائلة من التماثيل [فدخل بها][2] وهو متوشح بتنين متحزم ببعضه قد فغر فاه وبيده قضيب [من آس][2] أخضر فكلما رفع التنين رأسه ضربه بالقضيب فأماله

فلما رآه النمرود هاله امره فخاطبه معظما له معترفا بجليل حكمه ، وسأله أن يكون له صاحبا وظهيرا : فأسعف رغبة النمرود فى ذلك ثم افترقا

وتقول القبط ان كالكان كان يرتفع ويجلس على رأس الهرم : ويقولون أيضا إنه أقام على رأس الهرم مدة [فى قبة تلوح على رأسه][2] حتى طمعت الملوك الذين حوله فى ملكه

فقصده ملك من ملوك الغرب يقال له سادوم فى جيش عظيم وأقبل من نحو وادى هيت ليكبس أرض مصر

فأقبل كالكان حتى بلغهم ثم جللهم بشىء من سحره يشبه الغمام شديد الحرارة : فأقاموا تحته أياما لايدرون أين يتوجهون من الحيرة

وسار هو الى مصر فتيامن الناس به . فعرفهم بما جرى وأمرهم بالخروج اليهم ليعرفوا اخبرهم : فخرجوا فوجدوهم قد ماتوا عن آخرهم : فنقلوا جميع ماخلفوه وكان كثيرا جدا

فعجب الناس من ذلك وهذه الملوك هم لم [illegible] بوها لأحد قبله . وصوروا

---

١) فى ق صور   ٢) زيادة عن ق

صورته فى جميع الهياكل ؛ وملكهم زمانا

وبنى فى آخر عمره هيكلا نزجل من صوان أسود فى ناحية الغرب ؛ وجعل له عيدا . وبنى فى وسطه ناووسا وحمل اليه ما أراد من ذهب وجوهر وحكم وعقاقير ؛ وعرفهم أنه ميت

[وأوصى بالملك][1] إلى أخيه ماليا الملك وكان شريبا كثير الأكل والشرب منفردا بالرفاهية غير ناظر فى شىء من أمر الحكمة وجعل أمر البلد إلى وزير له

فكانت أيامه صالحة لهيبة أخيه كما كان ؛ وتقدمهم أنه لم يمت ؛ وأنه ذكر لهم موته لينتظر ما تجرى عليه أحوالهم

وكان ماليا معجبا بالملك [محبا للنساء ومعاشرتهن][1] فكان له ثمانون امرأة . ثم اتخذ امرأة من بعض ملوك منف . وكانت عاقلة سديدة الرأى فحمته النساء وكان بها معجبا ولها محبا وكان له بنون وبنات من سائر نسائه ؛ وكان أكبر بنيه يقال له طوطيس ، فكان يستجهل أباه ويسترذل سيرته ؛ فأعمل الحيلة فى قتله ؛ وحماته على ذلك أمه وجماعة من نسائه وبعض وزرائه ؛ فهجم عليه فى رواقه سكران والمرأة معه فقتله وقتل المرأة

وتولى الأمر بعد ابيه طوطيس وجلس على سرير الملك . وكان جبارا جريئا ؛ شديد البأس مهيبا فدخل عليه الأشراف فهنئوه ودعوا له ؛ فأمرهم بالاقبال على مصالحهم ؛ وترك مالايعنيهم ووعدهم بالاحسان

والقبط تزعم انه اول الفراعنة بمصر ؛ وانه فرعون إبراهيم عليه السلام ؛ وان الفراعنة سبعة هو اولهم

وتذاكر الناس ماعمل بأبيه وأنكروه ؛ واستقبحوا صلبه للمرأة ؛ وشعر بذلك فأنزلها ودفنها ، واستخف بأمر الهياكل والكهان

---

١) زيادة عن ق

وكان من خبر ابراهيم عليه السلام معه ان ابراهيم لما هرب من قومه ومن النمرود وأشفق من المقام بالشام لئلا يلحقه قومه فيردونه الى النمرود ، لأنه كان قريبا من سواد العراق

فخرج إلى مصر ومعه سارة امرأته ، وخلف ابن اخيه لوطا بالشام ، وسار الى مصر وكانت سارة اجمل نساء العالم فى وقتها ، ويقال ان يوسف ورث حواء من حسنها لأنها جدته

فلما دخلا مصر ورأى الحرس المقيمون على باب المدينة حسن سارة ، عجبوا منها ورفعوا أمرها إلى الملك طوطيس

وقالوا له دخل رجل من أهل المشرق ، ومعه امرأة لم ير الناس أجمل منها وجها ولا اكمل حسنا

فأرسل الملك وزيره فأحضر إبراهيم وسأله عن خبره وبلده فأخبره ، فقال له ما هذه المرأة منك ؟ فقال له اختى ، فعرف الوزير الملك ذلك فقال له أحب ان اراها ، فعرف الوزير إبراهيم بذلك ، فاستصعب ذلك ، ولم يمكنه مخالفته ، وعلم ان الله تعالى لا يسوءه فى اهله

فقال لسارة سيرى إلى الملك فقد طلبك ليراك ، وهو امرؤ لا يعصى ، فقالت وما يصنع بى الملك وهو ما رآنى قبل وإنى لفازعة منه ؟ قال أرجو أن تكونى بخير

فقامت معه حتى دخلا على الملك فى قصره ، فلما رآها الملك نظر منها إلى منظر راعه وأفتنه ، فأمر بإخراج إبراهيم عليه السلام ، فخرج وندم على قوله إنها أخته ، وهو إنما أراد أخته فى الدين ، ووقع فى قلب إبراهيم عليه السلام ما يقع فى قلب الرجل إذا غلب على اهله ، وتمنى أنه لم يدخل مصر ، وقال: اللهم لا تفضح إبراهيم فى أهله

فكشف الله له ما وراء الحيطان حتى صار ذلك كله كالزجاج الرقيق الصافى ،

فرأى الملك ورآها

فراودها الملك عن نفسها فامتنعت عليه فذهب ليمد يده إليها ؛ فقالت له إنك إن وضعت يدك على أهلكت نفسك لأن لى ربا يمنعنى منك ، فلم يلتفت الى قولها ومد يده اليها فجفت يده دونها ؛ وبقى حائراً

فقال لها زولى عنى ماأصابنى ؛ فقالت له لا أقدر على ذلك إلا أن يشاء ربى ؛ فان ضمنت أن لاتعاود دعوته فعسى أن يزيل ما نزل بك

فقال لها لست أعود الى ما فعلت ؛ فدعت الله تعالى فأذهب ما كان به . فلما وثق بالصحة راودها ومناها ؛ فامتنعت عليه ؛ وقالت له قد عرفت ماجرى لك

ثم مد يده اليها فجفت واضطربت عليه اعضاؤه ؛ فاستغاث بها وأقسم بآلهته أنها إن أزالت عنه ما به لايعاودها . فدعت الله تعالى ؛ فزال ذلك عنه فرجع الى حاله ، وقال لها إن لك رباعظيما ؛ وليس مضيمك وأعظم قدرها ، وسألها عن إبراهيم عليه السلام ؛ فقالت هو زوجى وقريبى

قال فانه ذكر أنك اخته ؛ قالت صدق انا اخته فى الدين ؛ وكل من على ديننا فهو اخ لنا ؛ فقال نعم الدين دينكم

فوجهها إلى ابنته حوريا ؛ وكانت من العقل والكمال بمكان كبير ؛ فألقى الله محبة سارة فى قلبها فأكرمتها وعظمتها ؛ وأضافتها فأحسنت ضيافتها ؛ ووهبت لها مالا وجواهر؛ فأتت به إبراهيم عليه السلام فقال رديه فلا حاجة لنا به فردته فذكرت ذلك حوريا لأبيها ؛ فعجب منها ، وقال إن هؤلاء لقوم كرام وبنية طاهرة

فتحيلت فى برها بكل حيلة؛ فلم تقبل منها شيئا ؛ فوهبت لها جارية قبطية من أحسن الجوارى؛ وعزمت عليهافى قبولها فقبلتها ؛ وهى هاجر أم إسماعيل عليه السلام ، فلما أراد إبراهيم عليه السلام السفر من مصر عملت ابنة الملك حلوى كثيرة وأشياء

من السكر والخبز ، وأشياء كثيرة من الطعام ، وملأت منها سلالا ودكت تحت الحلوى فى كل سلة جوهراً نفيساً كثيرا . وحلياً مصوغاً عجيباً ، فلما جاءتها سارة مودعة لها دفعت اليها تلك السلال

، قالت يكون هذا معك تتزودين به . قالت حتى أشاور صاحبي فشاورته . فقال إذا كان مأكولا فخذيه ، فقبلت ذلك منها وودعتها وانصرفت الى إبرهيم عليه السلام

فخرج هو وسارة وهاجر معه ، فلما أمعنوا فى السير أخرجت سارة بعض تلك السلال ليأكلوا منها . فلما أدخلت يدها وجدت الجوهر ، فلما فتشت سائر السلال وجدتها كذلك ، فأخرجت جميعه وعرفت ابراهيم عليه السلام بذلك ، وعرضت عليه فباع بعضه وحفر من ثمنه البئر التى جعلها للسبيل ، وفرق بعضه فى وجوه الخير والبر ، وكان يضيف به كل من مر به ، وادخرت منه سارة

وعاش طوطيس إلى أن وجهت إليه هاجر من مكة أنها بمكان جدب وتستقيته[1] فأمر بحفر نهر فى شرقى مصر ثم بسفح الجبل حتى ينتهى إلى مرفأ السفن على البحر المالح ، فكان يحمل اليها الحنطة وأصناف الغلال ، فتصل إلى جدة وتحمل من هناك على المطايا إلى مكة ، فأحيا بذلك الحجاز مدة

ويقال إنها وجهت اليه بالحجاز تذكر ولادتها فسر بذلك ، ووجه إليها ذهبا وجوهرا تتخذ منه زينة لولدها فحلت الكعبة ببعضه

وقيل إن كل ما حليت به الكعبة فى ذلك العصر إنما أهداه الملك مالك مصر اليها

وقيل إنه لكثرة ما كان حمله طوطيس إلى الحجاز سمته هاجر والعرب الصادق ، وكذلك يسميه كثير من أهل الأثر

---

١) فى ب وتستعينه

وقيل إن طوطيس سأل ابراهيم عليه السلام أن يبارك له فى ولده فدعا له بالبركة فى مصر ؛ وعرفه إبراهيم أن ولده سيملكونها ويصير أمرها اليهم قرنا بعد قرن إلى آخر الزمان

وطوطيس هذا أول فرعون كان بمصر ، وذكر أنه أكثر القتل حتى فى قرابته وأهل بيته وبنى عمه وخدمه ونسائه وفى كثير من الكهنة والحكماء

وكان حريصا على سفك الدماء حريصا على الولد فلم يرزق غير ابنته حوريا ؛ وكانت عاقلة حكيمة تأخذ على يديه كثيرا وتمنعه من سفك الدماء فلم ينته وخافه كل أحد على نفسه فأبغضته ابنته وأبغضه الخاص والعام

وخافت حوريا زوال ملكهم بسببه فسمته فهلك وملك سبعين سنة ؛ واختلفوا بعد موته فى التمليك عليهم ؛ وقالوا لن يملك علينا أحد من أهل بيته ؛ وأرادوا تمليك بعض ولد ابريت . فقال بعض الوزراء قد علمتم فضل ابنته حوريا وحكمتها وما كانت تنكر على ابيها فى افعاله ، وما صنعت به حتى اراحت الناس منه فاين تذهبون عنها ؟ وتبعه على ذلك اكثر القواد الكبار فتم لها الملك

وملكت حوريا المملكة ؛ وجلست على سرير الملك ؛ ودخل عليها الناس فهنئوها ودعوا لها ، فاكرمتهم ووعدتهم بالاحسان ؛ واخذت فى جمع الاموال وفى حفظها

فلم تلبث الا يسيرا حتى اجتمع عندها من الاموال والحلى والجوهر والثياب مالم يجتمع لملك قبلها وقدمت الحكماء والكهنة ورؤساء السحرة ؛ ورفعت اقدارهم

وامرت بتجديد الهياكل وإعظامها ؛ وصار من لم يرضها ولا يرضى بفعالها يشيع خبرها الى ابريت ؛ فملكوا عليهم رجلا من ولد ابريت يقال له امداحس . فعقد على رأسه تاجاً وصار اليه جماعة من بنى عمه واهل بيته ؛ فانفذت اليه جيشا تحاربه . فلما رأى انه لاطاقة له بها دعاها الى الصلح وخطبها إلى نفسه وذكر لها ان الملك لايقوم إلا بالرجل ؛ وخوفها ان يزول ملكهم بسببها ومكانها من الملك

فعملت صنيعا وامرت ان يحضر الناس على منازلهم فحضروا واكلوا وشربوا وبذلت لهم الأموال ، وعرفتهم ماجرى اليه ذلك الرجل من خطبتها فبعضهم صوب الرأى وبعضهم امتنع ، وقال لانولى علينا غيرها لمعرفتنا بعقلها وفضلها وحكمتها ، وهى وارثة الملك

ووثبوا على نفر ممن خالفهم فقتلوهم ، ثم خرجوا فى جيش كثير ، فلقوا جيش الخارج عليها ابريت فهزموهم ، وقتلوا كثيراً منهم ، وهرب هو إلى أرض الشام ، وبها الكنعانيون من ولد عملاق ، فاستجار بملكهم ، وأخبره خبره ، ورغبه فى مصر وعظم له أمرها وكنوزها ، وقرب له أخذها ، وضمنها له

فجهزه ملك الشأم بجيش عظيم إلى مصر ، وأرسل معه على الجيش رجلا عظيما من أصحابه

واجتمع الناس كلهم بمصر وجهاتها على حوريا ففتحت خزائن أبيها وفرقت أكثرها على الناس فأحبوها ، وأذعنوا لها بالطاعة وقوت السحرة بالمال ووعدتهم بالاحسان

فلما قرب انداحس بجيوش الشام أمرت السحرة أن يعملوا عملا لتلك الجيوش وكان المقدم على الجيوش قائداً جليلا من عظماء قواد ملكهم ، يقال له جيرون

فلما نزل أرض مصر بعثت حوريا ظئراً من عقلاء النساء إلى ذلك القائد جيرون سراً من انداحس تعرفه أنها راغبة فى تزويجها إياه ، لأنها لا تختار أحداً من أهل بيتها ، وأنه ان قتل أنداحس كيفما أمكنه تزوجته ، وسلمت إليه ملك مصر ومنعت منه صاحبه

فرغب جيرون فى ذلك ، وفرح به ، وأرسل إلى انداحس فى مضربه ، على حسب عادته من اكرامه طعاما فيه سم فأكله فمات ، فأرسل اليها يستنجزها

ما وعدته فأرسلت إليه أنه لا يجوز لى أن أتزوجك ؛ حتى تظهر فى بلدى قوتك وحكمتك وتبنى لى مدينة عجيبة ؛ وكان افتخارهم حينئذ بالبنيان وإقامة الاعلام والاصنام وعمل العجائب ؛ وقالت له انتقل من موضعك ذلك إلى غربى بلدنا فثم لنا آثار كثيره فاقتف تلك الآثار من الاعلام وغيرها

فانتقل إلى حيث أمرته وبنى مدينة بصحراء الغرب [تدعى] أندومه؛ وأجرى إليها من النيل نهرا ؛ وغرس فيها غروسا كثيرة؛ وأقام بها منارا عاليا ؛ وعمل فوقه مجلساً وصفحه بالذهب والفضة والصفر والرخام الملون والزجاج المسبوك

وأبدع فى عمله لأنها أمدته بالصناع وبالأموال ؛ وكانت تكاتب صاحبه عنه بما تراه وتهاديه عنه وهو لا يعلم

فلما فرغ من بنيان المدينة أعلمها بذلك؛ فأرسلت اليه أن لنا مدينة حصينة كانت لأوائلنا وقد خربت وخرب حصنها ؛ فانتقل اليها ؛ وانظر فى بنيانها وإصلاحها وإصلاح حصنها وأتقن أمورها ؛ وانتقل أنا خلال ذلك إلى المدينة التى بنيتها وأنقل اليها جميع ما أحتاج إليه ؛ فاذا فرغت من إصلاح تلك المدينة أنفذ إلى حينئذ فأسير اليك لأبعد عن مدينتى واهل بلدى . فانى أكره أن ادخل اليك بالقرب منهم

فمضى حيث امرته وجد فى اصلاح الاسكندريه الثانية وإليها أمرته ان يمضى وأهل التاريخ لا يعرفون خبر انداخس ؛ ويذكرون ان الذى قصد مصر هو الوليد بن دموع [1] العملاقى ؛ وهو ثانى الفراعنة

وأن سبب قصده لها أنه اعتل علة طالت به فوجه ثقاته إلى كل جهة وإلى كل مكان ليحمل إليه مياهها حتى يعلم الماء الذى يلائم جسمه منها

فأتى غلام له مملكة مصر فرأى سعتها وفوائدها والطافها ؛ فعاد إليه فأعلمه

---

١) تقدم اسمه فيما مضى دمع

بحالها وجلى له امرها . وحمل اليه من مالها وغرائبها

فقصدها فى جيش كثيف حتى حط عليها ؛ وكاتب الملكة وخطبها الى نفسه فوجهت إليه من اشرف على حاله فرأى قوما عظاما لا تقوم بحربهم . فأجابته إلى التزويج وشرطت عليه ان يبنى لها مدينة عظيمة يظهر فيها قوته ؛ ويجعلها انزالها . فأجابها ودخل مصر وشقها الى ناحية الغرب ليبنى المدينة بناحية الاسكندرية فأمرت بأن يلقى بالرياحين واصناف الفواكه فمضى الى ناحية الاسكندرية ؛ وقد خربت بعد خروج العادية عنها ؛ فنقل ما وجد فيها من حجارتها ومعالمها ؛ ووضع أساس مدينة عظيمة ؛ وبعثت هى اليه مائة ألف من الفعلة والخدم فأقام فى بنائها مدة طويلة حتى أنفق فيها جميع ما كان معه من المال ؛ وكلما وضع طول يومه من الحجارة فى الاساس خرجت فى الليل دواب من البحر فقلعته واخربته وغيرته فكان فى ذلك دهراً فاغتم لذلك غما شديداً وشغله الفكر فيها

وكانت حوريا أنفذت اليه ألف لبون من المعز ليشرب لبنها ويستعمله فى مطبخه فدفعها إلى راع يثق به ؛ وكان ذلك الراعى يطوف بها ويرعاها فيما هنالك ؛ وكان إذا رجع عند المساء خرجت اليه من البحر جارية حسناء فتتوق نفسه اليها فاذا كلمها شرطت عليه أن يصارعها ، فإن صرعها كانت له وان صرعته أخذت من تلك المعز اثنين ؛ ثم يعود يوما آخر فيحمله حبه لها على الطمع فى غلبتها فتصرعه وتأخذ اثنين فبطول المدة نقصت المعز نحو نصفها ؛ وتغيرت الباقيات منها لشغله بحب تلك الجارية عن الاهتمام برعيها ؛ وتغير الراعى أيضا فى جسمه ولونه فمر به صاحبه فى بعض الأيام ؛ فوقف عليه

فلما رأى الراعى متغيرا والمعز عجافا فسأله عن ذلك ورأى قلتها ؛ فسأله عن نقصانها ، فوصف له الراعى الأمر على وجهه خوف سطوته ؛ فقال له أى وقت

تخرج ؟ قال قرب المساء ، فلبس هو ثياب الراعى ، وتولى هو بنفسه رعاية المعز يومه إلى المساء

وخرجت الجارية فعارضها ، فشرطت عليه شرطها فأخذها ، فلما تصارعا صرعها وقبض عليها وشد وثاقها ، فقالت له إن كان ولا بد من أخذى فسلمنى إلى صاحبي الأول ، فانه ألطف بى وقد عذبته زمانا طويلا فردها عليه ، وقال له إذا خلوت بها فسلها عن هذا البنيان الذى بنيته فيزال من ليلته من يفعل ذلك ؟ فان كان عندها علم منه فسلها إن كان فى دفع ذلك حيلة ومضى وتركه معها

فلما سألها عن ذلك قالت إن فى البحر دواب تخرج كل ليلة فتنزع بنيانكم ، قال لها فهل فى دفع ذلك من حيلة ؟ قالت نعم ، فقال وما هى ؟ قالت أعلمك كلاما تكتبه فى قراطيس ، وتربطه فى حجارة صغار ، فيدخل الرجال المصورون فى مراكب صغار ، ومعهم القراطيس والأنقاس فى وسط النهار إلى موضع كذا من البحر ، ثم يقفون ويرمون القراطيس المكتوبة فى الماء يمينا وشمالا ، ثم يمكثون ساعة فلا تبقى دابة إلا أتت ذلك الموضع ودارت وظهرت فوق الماء . فيصور المصورون مثلها فى تلك القراطيس ويتحرون التشبيه ما قدروا . ويكثرون من تلك التصاوير ما أمكن ، ثم يخرجون وتمثل أمثال تلك الصور من الصفر والنحاس والحجارة وتنصب أمام البنيان بينه وبين البحر

فان تلك الدواب إذا خرجت ورأت تلك الأشكال هربت . فلم تعد إلى ذلك الموضع وعلمته الكلام حتى حفظه

فسار الراعى أول الصباح إلى صاحبه فعرفه الخبر ، وكتب الكلام . ففعل الملك ذلك فانقطعت تلك الدواب ، وتم البنيان ، فبنى المدينة وأتمها وأكملها

وقال قوم من أصحاب التاريخ إن صاحب البناء والمعز هو جيرون المؤتفكى كان قصدهم قبل الوليد ، وأن الوليد أتاهم بعد حوريا فقهرهم وملك مصر

وذكروا أن الأموال التى كانت مع جيرون نفدت كلها فى تلك المدينة ولم يتم البنيان ، فأمر الراعى أن يسأل تلك الجــارية عن كنوز قريبة منهم ، فسألها فقالت ان فى موضع كذا من المدينة التى خربت ملعبــا مستديرا ، حوله سبعة أعمدة على رأس كل عمود تمثال صفر قائم ؛ فقرب لــكل تمثال منها ثوراً سمينا وألطخ العمود الذى تحته بدم الثور وبخره بشعرة من ذنبه وشىء من نحاتة قرنه وأظلافه ؛ وتقول هذا قربانك فأطلق لى ماعندك : فاذا أنت فعلت ذلك فقس من كل عمود إلى الجهة التى يتوجه اليها وجه التمثال الذى فوقه مائة ذراع واحفر ؛ وليكن ذلك فى امتلاء القمر واستقامة زحل ، فانك تنتهى إذا نزلت خمسين ذراعاً إلى بلاطة عظيمة فالطخها بمرارة الثور واقلعها فانك تجد تحتها بابا تنزل منه إلى سرداب طوله خمسون ذراعا فى آخره باب مقفل ومفتاح القفل تحت عتبة الباب ، فخذه والطخ القفل ببقية مرارة الثور ودمه وبخره بشعره وبنحاتة أظلافه وقرنه ، وافتح الباب وادخله بعد ان [توثق رتاجة] فاذا دخلته فانك ترى مستقبلك صنما من حجر فى عنقه لوح صغير معلق من صفر مكتوب فيه جميع ما فى الخزائن من مال وجوهر وتمثال وذخيرة ودواء وأعجوبة ؛ فخذ منه ما شئت

وكذلك فافعل بكل عمود وتمثال فانك تجد مثل تلك الخزانة سواء ، وهذه نواويس الملوك وكنوزهم ؛ فوصف الراعى لصاحبه جميع ماقالته الجارية ؛ فلمــا سمع ذلك سر به سروراً عجيبا وعمــله أسرع ماأمــكنه ؛ فوجــد مالا يدرك وصفه ، ووجد من العجائب شيئاً كثيرا فأتم بناء المدينة واتصل ذلك بحوريا فأساءها ، وإنما كانت أرادت إتعابه وإشغاله وإذهاب ماله

ويقال إنه وجد فيها من العجايب درج ذهب مختوم فيه محكلة زبرجد فيها ذرور أخضر ومعه عرق جوهر أحمر ؛ فمن اكتحل من ذلك الذرور وهو أشيب

عاد شابا واسود شعره ولحيته وأضاء بصره حتى يدرك النظر الى الروحانيين
ووجد تمثال غراب من حجر إذا سئل عن شيء صوت فأجاب عنه؛ ويقال
إنه كان فى كل خزانة عشرون أعجوبة

فلما فرغ من بنيان المدينة وجه اليها يعلمها بذلك ويحثها على القدوم اليه؛
ويتشكى من طول الأمد وكثرة الشقاء له ولأصحابه؛ فوجهت اليه فرشا فاخرا
وقالت افرشه فى المجلس الذى تجلس فيه؛ واقسم جيشك أثلاثا فأنفذ الى ثلثه
فأنا ماشية عند وصوله عندى اليك؛ فاذا وصلت مسافة كذا موضعا عينته له
فانفذ إلى الثلث الثانى فاذا بلغت ثلثى الطريق؛ فانفذ إلى الثلث الثالث ليكون
جملته من ورائى لئلا يرانى أحد منهم إذا دخلت عليك ولا يبقى هناك الاصبية
يخدمونك ممن تثق بهم فانى أوافيك فى جوار تكنفك من خدمنا لا أحتشم منهم
ففعل ماقالت وجعلت تحمل إليه الجهاز والأموال على كل صنف وفى كل يوم
حتى علم مسيرها؛ فوجه اليها ثلث جيشه؛ فعملت لهم من الأطعمة والاشربة
المسمومة فوق الحاجة

فلما وصل الجيش اليها اشغلتهم الجوارى والولدان بالاطعمة والاشربة والطيب
[والرياحين] فلم يصبح منهم أحد حيا ومن أصبح منهم حيا قتل

وقد كانت وكلت بهم من جيوشها من يفعل ذلك؛ ووجهت الى كل جهة
من يضبط الطرق ويحرسها حتى لا يصل اليه خبر من ذلك واخذت جميع ماخافوه
ونقلته الى مصر

وسارت فلقيها الثلث الآخر ففعلت به مثل ذلك وكتبت اليه تعرفه أنها
وجهت ما وصل اليها من جيشه الى مصر ومملكتها فى تلك الجهات ليحفظوها
خلال كونها عنده

ثم وصل اليها الثلث الثالث من جنده فجرى أمره مجرى الثلثين الأولين الى

أن وصلت اليه ومعها عسكر مجرد من ثقاة رجالها وأعيان جيشها وفرسانها ؛ فلم يشعر الا وهم قد أحاطوا به فى القصر الذى كان بناه بالاسكندرية ؛ فدخلت عليه هى وظئرها وجواريها معها فنفخت ظئرها فى وجهه نفخة ذهب بها لبه ورشت عليه ما كان معها فارتعبت مفاصله وخذلت قوته ، وقالت من ظن أنه يغلب النساء فقد كذبته نفسه ؛ وغلبته النساء

ثم فصدت بعض عروقه وشربت من دمه وقالت دماء الملوك شفاء وقتلته ؛ وأخذت رأسه فوجهت به الى قصرها ونصبته عليه

وحملت تلك الأموال إلى منف ؛ وبنت منار الاسكندرية وزبرت عليها اسمها واسمه ، وما فعلته به والتاريخ على المنار

واتصل خبرها بالملوك الذين يتزاحمون على بلادها فهابوها ؛ وخافوا من حيلها واذعنوا لها وهادوها وتصنعوا لها

وعملت بمصر عجائب كثيرة ؛ وأمرت أن يبنى على حدود مصر من ناحية النوبة حصن وقنطرة يجرى النيل من تحتها ؛ فعملت ذلك

واعتلت حوريا فأجتمع إليها أهل بلدها وسألوها أن تقلد الملك أحداً ترضاه ليكون ملكهم ، ولم يكن فى ذلك الوقت أحد من ولد أبيها ، ولا من أهل بيته يصلح للملك

فقلدت الأمر إلى ابنة عمها ، وملكتها عليهم وهى دليفه [1] ماموم ؛ وكانت جارية عذراء من عقلاء النساء وكبرائهن ، فأخذت لها المواثيق من أهل مصر وسائر بلادها ؛ أن لا يسلموها لعدو وأن يمنعوا من يتعرض لها ؛ وسلمت اليها مفاتيح خزائنها وأطلعتها على كنوزها وكنوز آبائها ؛ وأمرت إذا ماتت أن يضمد جسدها بالكافور ، وتحمل إلى المدينة التى بنيت لها فى صحراء الغرب ،

---

[1] فى ق زليفا

وقد كانت بنت بها ناووسا عجيبا ونقلت اليه أصناما للكواكب وزينته بأحسن الزينة وجعلت له خدمة وسدنة واسكنت تلك المدينة جماعة من الكهنة، وأصحاب العلوم : واسكنت بها جيشا يحميها فعمرت تلك المدينة ، ولم تزل على حالها من العمارة إلى أن أخربها بخت نصر وحمل بعض كنوزها

وجلست دليفة على سرير الملك ؛ واجتمع الناس اليها وتألفت كلمتهم عليها وأحسنت إلى الناس ووضعت عنهم كثيراً من الخراج لتلك السنة

وقام عليها أيمن صاحب الاندلس يطلب ثأرخاله انداحس ، واستنصر عليها بملك العمالقة فنصره لمكان انداحس منه

ووجه معه قائدا بجيش كثيف ؛ وبلغ الأمر دليفة ، فأخرجت اليه بعض قوادها فالتقوا بموضع يعرف بالعريش ؛ وجعلت سحرة الفريقين يظهرون العجائب العجيبة ، ويسمعون الأصوات التى تفزع الأسماع ، وتؤلم القلوب ، وأقاموا مدة يتواقفون للحرب ثم يتراجعون ، فهلك منهم عالم من الناس ثم انهزم أصحاب دليفة إلى منف وأيمن فى أثرهم

ومضت دليفة فى جمع من جيشها إلى ناحية الصعيد ، فنزلت بأشمون ، وأنفذت من قدرت عليه من الجيوش اليهم ، فوقعت الحرب معهم بجهات الفيوم وضعف أصحاب دليفة عنهم لكثرتهم وشدة صبرهم ؛ فاستنصرت بأهل مدائن الصعيد فحاربوا أصحاب أيمن ؛ فأزالوهم عن منف ؛ وقد كانوا ظفروا بها وعاثوا فيها فهزموهم حتى ركبوا المراكب ؛ وعدوا الى ناحية الشمال ؛ وكان معهم ساحر من أهل قفط ، فأظهر سحره ناراً أحالت بينهم وبين أصحاب دليفة فانحازوا عنهم واستمدوا ، وعادوا لما كانوا فيه من الجد والطلب

وفزع أهل مصر لطول المدة وعجزالجيوش عن مقاتلتهم، وأشفقوا منخروج مصر من أيديهم ، فوجهوا سفراء بينهم على أن يجعلوا البلد قسما بينهم فأجاب

كل واحد منهم إلى الصلح .

وأن دليفة بعد إجابتها إلى الصلح غدرت وخالفت ؛ وأخرجت الأموال والجواهر ففرقتها فى الناس ؛ وقد كان بعضهم لامها فى الصلح ؛ فرجعت إلى الحرب . واشتد الأمر بين الفريقين ثلاثة أشهر ، ثم ظهر أيمن عليها وهزمها

ولجأت إلى ناحية قوص وسار خلفها وتمكن من المملكة ؛ فلما رأت حقيقة الامر ونكول جندها وعجز كهنتها وسحرتها وأنها لابد لها أن تغلب سمت نفسها فهلكت

وملك بعدها أيمن الملك صاحب الاندلس ملك مصر ؛ فتجبر وعتا وقتل خلقا ممن كان مع دليفة

وكان الوليد بن دومع العملاقى قد خرج فى جيش عظيم يتنقل [١] فى البلدان ، ويغلب ملوكها ليسكن ما يوافق غرضه منها ، ويعتدل [حال] [٢] جسمه فيها على ما تقدم من ذكر علته

فلما انتهى إلى الشام ؛ انتهى إليه خبر مصر وجلالة قدرها ؛ وأن أمرها قد صار الى النساء وباد ملوكها ؛ فوجه إليها غلاما له يسمى عونا بجيش عظيم ، فوصل إلى مصر وأيمن ودليفة يقتتلان ، ففتحها وحوى أموالها وكنوزها ، وغاب خبره عن الوليد ؛ فلم يشك فى هلاكه وهلاك الجيش الذى كان معه ، لما كان يعلمه من طلاسم مصر ومكر كهنتها

ثم اتصل به ان عبده قد ملكها ؛ فسار إلى مصر وتلقاه العبد وعرفه أنه كان يسير اليه ؛ وإنما أخره ما أراد من تعديل الملك وإصلاحه فقبل قوله

ودخل مصر الوليد بن دومع العمالقى وملكها فاستباح أهلها وأخذ اموالها ، وتتبع ما أمكنه الوصول اليه من كنوزها ، وهبط اليه أيمن بالطاعة من الصعيد

---

١) فى ب نبتهل والتصحيح عن ق ٢) فى ب صلاح

ومدنها سامعاً له إذ كان عسكره من قبله ، ومن أعانه بملكه وجيشه حتى اخذ بثأر خاله انداحس وتم الأمر للوليد على اعظم امر

ثم سنح له ان يمشى حتى يقف على مخرج النيل ، ويغزو من بناحيته من الامم فأقام ثلاث سنين يستعد لذلك ، حتى اصلح جميع ما احتاج اليه

واستخلف عبده عوناً على البلد وخرج فى جيش كثيف ، وعدد عظيمة ، فلم يمر بأمة إلا أبادها

فيقال انه اقام فى سفره سنين كثيرة . وانه مر على امم السودان وجاوزهم ومر على ارض الذهب ، فوجد فيها مواضع فيها قضبان ثابتة وهى بلاد عانة

ولم يزل الوليد يسير حتى بلغ البطيحة التى ينصب ماء النيل إليها من الانهار التى تخرج من جبل القمر وجبل القمر جبل شامخ عريض طويل ، وإنما سمى جبل القمر لأن القمر لا يطلع عليه لأنه خرج كثيرا عن خط الاستواء ، ونظر اليه كيف يخرج النيل من تحته فيمر فى طرائق كثيرة كالانهار الرقاق ، فيصير بعضها إلى حظيرة عظيمة يجتمع فيها ، ويصير بعضها الى حظيرة عظيمة ثم يخرج من كل حظيرة نهر عظيم ينصب إلى حظيرة عظيمة يجتمع النهران فيها وهى وهى البطيحة الكبيرة ، وهى بعد خط الاستواء ، وقبل الاقليم الاول ، ويخرج من تلك البطيحة نهر واحد ، ويجوز خط الاستواء ويجرى الى مصر ويمده نهر آخر من ناحية مكران يصب فيه عند اول جبل معظم فى ثلث الاقليم الأول

ويذكر أن هذين النهرين يزيدان وينقصان ، فيهما التماسيح وسمك كأمثال سمك النيل ، ويخرج منه نهر عظيم على مقربة من آخر شرقى جبل القمر

وحكي عن الوليد أنه وجد القصر الذى فيه تماثيل النحاس الذى عملها هرمس الأول فى وقت البودشير الاول بن قفطويم بن مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام ، وهى خمس وثمانون صورة جعلها جامعة لمن يخرج من الم.. من الجبل ،

وبمعاقد وبصاب مدبرة ؛ يجرى منها الى تلك الصور ؛ ويخرج من حلوقها على قياس معلوم وأذرع معدودة معلومة

ثم ينصب فى أفواه الصور فى أنهار كثيرة ويتصل بالبطيحتين ؛ ويخرج منها كما قلنا الى البطيحة الجامعة للماء الذى يخرج من جبل القمر ؛ وقد هندس فى تلك ورتب مقدار من الماء فى كل صورة [ما] معه صلاح البلدان التى يمر بها ؛ وينفع أهلها دون الفساد ، وسطح قبل انتهاء المسطح ثمانية عشر ذراعا بالذراع التى ذرعها مقدار اثنين وثلاثين أصبعا ؛ فما فضل عن ذلك عدل به عن يمين تلك الصور ويسارها الى مسارب تخرج عن يمين القصر ويساره ، تنصب إلى غياض ورمال لا عمارة فيها

وقد ذكر قوم من أهل الأثر أن الانهار الاربعة تخرج من أصل واحد من قبة فى ارض الذهب التى من وراء البحر المظلم وهى سيحان وجيحان والنيل والفرات

وذكر بعضهم أنها من الجنة وأن تلك القبة من زبرجد ، وأن جميع هذه الأنهار قبل أن يسلك الى البحر المظلم أحلى من العسل وأطيب من رائحة المسك

وممن جاء بهذا وذكره أبو صالح كاتب الليث وغيره من المحدثين ذكروا أن رجلا من ولد العيص بن اسحاق بن إبراهيم عليهم السلام يقال له حايد وصل الى القبة ؛ وله خبر يطول ذكره

[1][هذا الخبر الذى قال المسعودى إنه يطول ذكره أثبته هنا ؛ وإن لم يكن هو ذكره لانه بموضعه وهو من كتاب العظمة رواه ببغداد الفقيه أبو الحسن عباد

---

١) هذا الكلام وجد بالأصول وهو فيما يظهر زيادة وتعليق من الناسخ أو الراوى ، وقد وضعناه لذلك بين قوسين

ابن سرحان وهو يحدث به الى الآن عن شيوخه ببغداد بأسانيد ذكرها عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن النيل يخرج من الجنة ولو التمستم فيه حين يمج لوجدتم من ورقها

حدثني أبو الطيب أحمد بن روح ، قال حدثني علي بن داود ، قال حدثنا عبد الله بن صالح ، قال حدثني الليث بن سعد ، قال زعموا والله أعلم أنه كان رجل من بني العيص ، يقال له حايد بن أبي سالوم من العيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما السلام أنه خرج هارباً من ملك من ملوكهم حتى دخل أرض مصر فأقام بها سنين ، فلما رأى عجائب نيلها وما يأتي به جعل لله تعالى أن لا يفارق ساحله حتى يبلغ منتهاه من حيث يخرج أو يموت قبل ذلك ، فسار عليه ــ قال بعضهم ثلاثين سنة في عبر الماء ، وقال بعضهم خمس عشرة سنة كذا وخمس عشرة سنة كذا ــ حتى انتهى إلى بحر فنظر الى النيل مقبلا فصعد على ساحل البحر ، وإذا هو برجل قائم يصلي تحت شجرة تفاح ، فلما رآه استأنس به وسلم عليه ، فسأله الرجل صاحب الشجرة وقال له من أنت ؟ فقال أنا حايد بن أبي سالوم بن العيص ابن اسحاق بن ابراهيم ، ومن أنت أصلحك الله ؟ قال له أنا عمران . فما الذي جاء بك هاهنا يا حايد حتى انتهيت إلى هذا الموضع ، فان الله تعالى أوحى الى أن أقف في هـذا الموضع حتى يأتي أمره ؟ فقال له حايد أخبرني ياعمران ما انتهى اليك من خبر هذا النيل ، وهل بلغك أن أحداً من بني آدم يبلغه ؟ فقال عمران قد بلغني أن رجلا من ولد العيص يبلغه ، ولا أظنه غيرك يا حايد فقال حايد ياعمران كيف الطريق اليه ؟ فقال له عمران لست أخبرك إلا أن تجعل لي ماسألتك قال وما ذلك ياعمران ؟ قال إذا رجعت إلي وأنا حي أقمت عندي ، حتى يوحى إلي بأمرك او يتوفاني الله تعالى ، فتدفنني قال له لك ذلك علي ، قال سر كما أنت على هذا البحر ، فأنك تصل إلى موضع فيه دابة ترى

أولها ولا ترى آخرها فلا يهولنك أمرها ، فاركبها فانها دابة معادية للشمس ، إذا طلعت أهوت اليها لتلتقمها ،حتى يحول بينها حجبتها ، فاذا غربت أهوت اليها لتلتقمها فاذا ركبتها فسر راجعا عليها حتى تنتهى الى النيل فانزل عنها ، فانك ستنزل وتبلغ أرضا من حديد جبالها وأشجارها وسهلها من نحاس ، فان جزتها وقعت فى أرض من فضة جبالها وأشجارها وسهلها من فضة ، فان جزتها وقعت فى أرض من ذهب جبالها وسهلها من ذهب ، فيها ينتهى إليك علم النيل

فسار حتى انتهى إلى أرض الحديد ، ثم منها الى أرض النحاس ، ثم منها إلى أرض الفضة ، ثم منها إلى أرض الذهب ، فسار فيها حتى انتهى الى سور من ذهب وشرفه من ذهب ، فيه قبة من ذهب لها اربعة ابواب ، ونظر الى الماء ينحدر من ذلك السور ،حتى يستقر فى القبة ، ثم يفرق فيخرج على الأنهار الأربعة

وأما مايخرج من الثلاثة فيفيض فى الأرض وواحد يشق على وجه الأرض ، وهو النيل ، فشرب منه واستراح وأهوى الى السور ليصعد ، فأتاه ملك ، فقال له يا حايد مكانك ، فقد انتهى اليك علم هذا النيل ، وهذه الجنة والماء ينزل من الجنة

فقال إنى أريد أن أنظر الى ما فى الجنة ، قال إنك لن تستطيع دخولها اليوم يا حايد، فقال أى شىء هذا الذى أراه ؟ قال هذا الفلك الذى تدور فيه الشمس والقمر وهو شبه الرحى ، قال إنى أريد أن أركبه وأدور فيه ، فقال بعضهم إنه ركبه فى دار الدنيا ، وقال بعضهم إنه لم يركبه ، فقال له الملك يا حايد إنه سيأتيك رزقك من الجنة فلا تؤثر عليه شيئا من الدنيا ، فانه لاينبغى لشىء من الجنة أن يؤثر عليه شىء فانه يبقى ما بقيت

قال فبينما هو كذلك إذ نزل عليه عنقود من عنب فيه ثلاثة ألوان لون كالزبرجد الأخضر ، ولون كاللؤلؤ الأبيض ، ولون كالياقوت الأحمر ؛ ثم قال يا حايد قد انتهى إليك علم هذا النيل

فقال ما هذه الثلاثة التي تفيض في الأرض ؟ قال أحدها الفرات ، والثاني سيحان والثالث جيحان

فرجع حايد حتى انتهى الى الدابة فركبها ؛ فلما أهوت الشمس للغروب قذفت به في الموضع الذي ركبها فيه ؛ فأقبل حتى انتهى الى عمران فوجده قد مات . فأقام على قبره ثلاثا ، فأقبل شيخ متشبه بالناس أغر من السجود . فبكى على عمران ثم أقبل الى حايد فسلم عليه ؛ ثم قال له يا حايد ما الذي انتهى إليك من علم النيل ؟ فأخبره ؛ فقال له الرجل هكذا نجده في الكتب

وكان التفاح قد ظهر في تلك الشجرة من أحسن شيء ، فأغراه الشيخ وقال لحايد ألا تأكل منه شيئا ؟ قال معي رزقي قد أعطيته من الجنة ونهيت أن لا أؤثر عليه شيئاً من الدنيا ؛ قال صدقت يا حايد لا ينبغي لشيء من الجنة أن يؤثر عليه شيء من الدنيا ، وهل رأيت في الدنيا مثل هذا التفاح ؟ وانما هذه الشجرة أخرجها الله من الجنة لعمران ليعيش منها فأنبتها له في هذه الأرض ، وليست من الدنيا وما تركها إلا لك ؛ ولو وليت لرفعت؛ فلم يزل به حتى أخذ منها تفاحة فعضه عليها عض الملك على يديه ؛ وقال له أتعرفه هو الذي اخرج اباك من الجنة أما انه لو سلمت بهذا العنقود الذي معك لأكل منه أهل الدنيا فلم ينفد فهو الآن مجهودك ان يبلغك؛ فكان مجهوده أن بلغه

فأقبل حايد حتى بلغ مصر فأخبرهم بهذا الخبر ؛ ومات رحمه الله ؛ وتم الخبر الذي اثبته وليس من الأم ، ورجع الكلام إلى حيث انقطع] [1]

---

١) إلى هنا ينتهي الكلام الذي زاده الناسخ في النسخة الأصلية

وقال آخرون تنقسم هذه الانهار إلى اثنين وسبعين قسما، حذاء اثنين وسبعين لسانا للأمم المذكورة

وقال آخرون إنما هذه الأنهار من ثلوج تنزل فى ايامها ، وتتكاثف هناك فتحملها حرارة الشمس مرة بلطف ومرة بقوة، فتسيل إلى هذه الأنهار ، فتسقى لما أراد الله جل وتعالى من تدبير خلقه

ونرجع إلى ذكر الوليد لما بلغ جبل القمر رأى جبلا عظيما ، فأعمل الحيلة إلى أن صعد عليه ليرى ما خافه فأشرف منه على البحر الأسود الزفتى النتن ، ونظر الى النيل يجرى عليه كالأنهار الرقاق ، فأتته من ذلك البحر روائح منتنة ، هلك بها كثير من أصحابه فأسرع بالنزول بعد ان كاد يهلك

وذكر قوم انه لم ير هناك شمسا ولا قمراً إلا نوراً احمر كنور الشمس عند غروبها وقالوا إنه اقام فى غيبته مدة عشرين سنة

وان عونا علامه تجبر بمصر بعد سبع سنين من مسيره ، وادعى انه الملك ، وادعى انه لم يكن عبد الوليد ، وانه اخوه وله الملك من بعده وريب على الناس ، واستعان بالسحرة عليهم وأسنى جوائز السحرة والكهنة ، ولم يمنعهم محابهم ، فمال اليه الناس ووثقوا بأمره ولم يترك امرأة من بنات ملوك مصر إلا نكحها ، ولا مالا الا أخذه وقتل صاحبه

وكان مع ذلك يكرم الهياكل والكهنة ، فكان الناس يمسكون عنه اشفاقا منهم من السحرة الذين اطافوا به الى ان رأى فى منامه الوليد ، وكان يقول له من امرك ان تتسمى باسم الملك ؟

وقد علمت أنه من فعل استحق القتل ، ونكحت إلى ذلك بنات الملوك ، وأخذت الاموال بغير واجب ، وكأنه أمر بقدور فملئت زفتاً ثم غليت على النار وأحميت ، وكأنه يغمسه فيها فاما غليت أمر بنزع ثيابه ، فأتى طائر فى صورة

عقاب فاختطفه من أيديهم وعلق به فى الجو ، فجعله فى هوة على رأس جبل ، وكأنه سقط من رأس الجبل الى واد فيه حمأة منتنة

فانتبه مذعوراً طائر القلب ، وكان فى طول فعله ذلك فى تملكه إذا خطرت بقلبه من ذكر الوليد خطرة يكاد عقله أن يزول فرقاً منه ؛ لما يعلمه من فظاظته وبطشه وقوته

وكاد مرة يوقن بهلاكه لطول غيبته وانقطاع خبره ، وكان مرة يخاف أنه حى .

فلما رأى الرؤيا لم يشك فى حياة الوليد ؛ فأضمر فى نفسه الهرب من مصر من الاموال ، فأطلع بعض السحرة ممن كان يثق به على أموره

وقال له انى خائف من الوليد ، وقد عزمت على الهرب من مصر ، فما عندكم ؟

قالوا له نحن نحميك منه على أن تقبل منا ؛ قال قولوا ؛ قالوا له نعمل عقابا وتعبده ، فان الذى خلصك منه فى نومك هو بعض الروحانيين ، وهو يريد منك أن تعمل صورته فتعبده

قال عون أشهد لقد قال لى وأنا أسمع : اعرف لى هذا المقام ولا تنسه . قالوا لقد بينا نحن لك ذلك

فسمع منهم وعمل عقابا من ذهب ، وجعل عينيه من جوهرتين موشحتين بأصناف العمل الغريب

وعمل له هيكل لطيفاً وجعله فى صدره ؛ وأرخى عليه ستور الحرير فأقبل عليه السحرة على خدمته بالبخور والقربان، الى ان نطق لهم ، فأقام عون على عادته ودعى الناس إلى ذلك فأجابوه ؛ فلما مضت لذلك مدة أمر العقاب ببناء مدينة يحوله اليها فتكون حرزا له ومعقلا من كل أحد ؛ فأمر عون كل فاعل بمصر أن

يجتمعوا له ، وأمر أصحابه أن يخرجوا الى صحارى الغرب ويطلبوا اليه أرضا حسنة الاستواء ، ويكون المدخل فيها بين فجوج صعبة وجبال وعرة ، ويتوخى ان تكون تلك الأرض قريبة من مغاض المياه ، فكان مغيض الماء هو اليوم الفيوم وكان مغيضا لمياه النيل ، حتى أصلحه يوسف عليه السلام ، وإنما أراد عون قرب مكان المدينة من مغيض المياه ليجرى اليها الماء منها ، فخرج أصحابه يطوفون فى الأرض ، فأقاموا فى ذلك شهرا حتى وجدوا له بغيته ، فلم يبق بمصر فاعل ولا مهندس ممن كان يفتت الصخور ويقطعها ويعمل شيئا مما يصلح للبنيان إلا وجهه ، وأنفذ معهم ألف فارس في طاعتهم ، وأنفذ معهم جميع الآلات ، وأقام فى توجيه الزاد اليهم شهرا على العجل ، وطرق العجل اليوم ظاهرة واضحة فى صحراء الغرب من خلف الاهرام ، وهى التى يقصدها أصحاب المطالب وهى بنية مشهورة

فلما تكامل لهم مايريدونه من قطع الحجارة ونحتها أعدوا من العدد ، وخطوا موضع المدينة وجعلوه فرسخين فى مثلهما ، وحفروا فى وسطها بئرا ، وجعلوا فى تلك البئر تمثالا من نحاس صورة خنزير ونحاسة بأخلاط ، وجعلوا وجهه الى الشرق

وكان ذلك بطالع زحل واستقامته وسلامته من المتضادين له وهو فى شرفه وأخذوا خنزيراً فذبحوه له ولطخوا وجهه بدمه وبخروه بشعره ، وأخذوا شيئا من شعره وعظامه ولحمه ودمه ومرارته ، فجعلوا ذلك فى جوف خنزير من النحاس ونقشوا عليه آيات زحل

ثم شقوا فى البئر أخدوداً من أربعة أوجه المدينة ، وجعلوا فيها شوارع يتصل كل شارع فيها بباب من أبواب المدينة ، ووصلوا مابينها بالمنازل الحسنة والطرقات ، وجعلوا حول القبة تماثيل من نحاس بأيديهم حراب ، ووجوهها

مقابلة لتلك الأبواب

وجعلوا أساس المدينة من حجر أسود ، وفوقه حجر أحمر ، وفوقه حجر أخضر ، وفوقه حجر اصفر ، وفوق الكل ابيض شفاف ، مثقبة كلها بالرصاص المصبوب بينها ، وفى قلوبها أعمدة الحديد على صفة بناء الأهرام

وجعل طول حصنها ستين ذراعا ونصف ذراع ، وعلى كل باب من أبوابها على أعلى الحصن تمثال عقاب كبير من صفر واخلاط أجوف ناشر الجناحين ، وعلى كل من أركان المدينة صورة فارس بيده حربة ووجهه إلى خارج المدينة ، وساق الماء إلى ناحية الباب الشرقى ينحدر فى صبيب إلى الباب البحرى ، ويخرج الى بطائح هناك ، وكذلك من الباب الجنوبى الى الشمالى

وقرب لتلك العقبان عقبانا ذكرا ولطخها بدمها ، واجتلب الرياح الى ابواب التماثيل فكانت الرياح إذا دخلتها يسمع لها أصوات شديدة ، لا يسمعها أحد إلا هالته ، وضمدها بعقارب مطلسمة تمنع الناس من دخولها إلا أن يكون مع الغريب الداخل إليها أحد من أهلها ، ونصب العقاب الذى يتعبد له تحت القبة التى فى وسط المدينة على قاعدة لها أربعة أركان فى كل ركن منها شيطان مشوه ، وجعلها على عمود زبرجد ، فكان العقاب يدور على كل جهة من الجهات الاربع ، ويقيم كذلك ربع السنة يقرب اليه من جهته

فلما فرغ من ذلك كله حمل إليها جميع الأموال والجواهر المخزونة بمصر ، وما وجد فى خزائن الملوك من التماثيل والحكم ، وتراب الصنعة والعقاقير والسلاح وغير ذلك

وحول اليها كبار السحرة والكهنة وأصحاب الصنائع والمهن ، وقسم المساكن التى بناها بينهم ، لا يختلط بعضهم ببعض ، وبنى حول سورها ربضا يحيط بها ، وبنى فيه مساكن لأصحاب مهن الحرث والزرع وغير ذلك ، وما يتعلق بالعمارة

وعقد على ماأجراه من الأنهار قناطر يجوز عليها الخارج من المدينة والداخل اليها وجعل الماء يدور حول الربض ، ونصب عليه أعلاما ثم غرس ماوراء ذلك كله بأجناس الأشجار وغرائبها ، فأقام بها من الجنات كل غريبة حسنة كثيرة الفوائد ، ثم جعل ما وراء ذلك مزارع لكل نوع من الحبوب ، فاستغل بذلك كله أعظم الغلات

وكان يرتفع اليه منها فى السنة مايكفيه عشر سنين ، وبين هذه المدينة وبين منف ثلاثة أيام ، فكان يخرج اليها فيقيم بها عشرة أيام ، ثم يعود إلى منف

وكان لتلك المدينة أربعة أعياد فى السنة فى كل وقت يتحول فيه العقاب الى الجهات الاربع ، فلما تم لعون ذلك اطمأن قلبه وسكنت نفسه

الى أن وافاه كتاب الوليد من ناحية النوبة ، يأمره أن ينفذ اليه الأزودة ، وينصب له الأسواق ، فوجه عون ذلك كله من أحسن شىء وأتمه فى المراكب وعلى الظهر

وحول جميع عياله ومن اصطفاه من بنات الملوك من مصر وكبرائها الى المدينة المبنية ، فلما قرب دخول الوليد مصر تحول هو الى مدينته فتحصن بها ، وخلف للوليد خليفة يكون بين يديه

فدخل الوليد مصر فتلقاه الناس ، فشكوا إليه عونا ، وما حل بهم منه ، فقال وأين عون ؟ قالوا فر عنك وتحصن دونك

فاغتاظ وأمر أن ينفذ إليه جيش كثيف ، فعرفوه كيف بنى مدينته وأسكن فيها معه من السحرة ، وأن أمره صعب فما يكون إلا بعد نظر شاف واستعداد كاف ، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه ، ويحذره التخلف عنه ، ويقسم عليه إن لم يفعل وظفر به يبضع لحمه بعد المبالغة فى عذابه

فرد عليه عون جواباً يقول فيه : ماعلى الملك منى فى هذا الموضع ؟ ولا

أتعرض لبلده ، ولا أعبث فى شيء منـه لأنى عبده ، وأنا فى هذه الجهة حام له من كل عدو يقصده من ناحية من نواحى الغرب ؛ ولا أقدر على المسير إليه لخوفى منه على نفسى ؛ فليقرنى الملك على حالى كأحد عماله ؛ وأوجه إليه فى كل وقت ما يلزمنى من خراجه ومن هداياه ، ووجـه مع الجواب أموالا جزيلة جليلة وجوهرا نفيساً ، فلمـا رأى الملك ذلك قنع به ، وكف عنه

فأقام الوليد بمصر فاستعبد أهلها واستباح حريمهم وأموالهم مائة سنة وعشرين سنة ، فأبغضوه وشتموه

وأنه ركب فى بعض الأيام متصيداً ، فألقاه فرسه فى هوة من الارض فقتله ، وأراح الله الناس منه

وكان ابنه الريان ينكر فعله ولا يرضاه منه ؛ فلما هلك عمل له ناووسا قرب الاهرام ، وقيل إنه دفن فى أحد الأهرام

ثم ملك بعده ابنه الريان الملك ؛ وهو فرعون يوسف عليه السـلام ، والقبط تسميه نهراوس ، فجلس على سرير الملك ، وكان عظيم الخلق جميل الوجه ، عاقلا متمكنا من العلم ، فدخل عليه الناس وهنأوه ودعوا له ؛ فتـكلم بجميل ؛ ومنى الناس ووعدهم الاحسان ، وأسقط عنهم الخراج ثلاث سنين ؛ فدعوا له وأثنوا عليه وشكروه

وأمر بفتح الخزائن وفرق مافيها على الخاص والعام ممن حضر مجلسه ؛ فخرجوا عنه شاكرين له محبين فيه ، فملك وأحسن

وتمكنت منه أريحية الصبا ، فملك على البلد رجـلا من أهل بيته يقـال له المعين[1] وهو الذى يسميه أهل الأثر العزيز ، وكان من أولاد الوزراء عاقلا متمكنا من عقله حصيف الرأى ، كثير نزاهة النفس ، مستعملا للعدل والصلاح ، وأمر

---

١) فى ق يقال له قطفير

أن ينصب له فى قصر الملك سرير من الفضة يجلس عليه

وكان يغدو ويروح إلى باب الملك ، ويخرج العمال وجميع الوزراء والكتاب بين يديه عند مسيره وعند رجوعه

فقام بالملك ، وكفى الملك مهمه ، وأصلح جميع الأمور ، ووطأ البلاد ، وأمن الناس ، وأقام سوق العدل

والملك نهراوس منغمس فى لذاته ، معتكف على لهوه ، لا ينظر فى عمل ولا يفكر فى أمر ولا يخاطبه أحد ، فأقاموا لذلك حينا من الدهر ، والبلد عامر ، والخراج مدر

يقال إنه بلغ فى وقته تسعة وتسعون الف الف مثقال [1] فجعلها أقساما فما كان له ولنسائه ولمائدته حمل إليه ، وما كان فى أرزاق الجيوش والكهنة والفلاسفة وأصحاب الصنائع [illegible] البلد وإصلاح العقار والحرث والغرس ، وأصحاب المهن حمل إليهم ، وما [illegible] عن ذلك كله حمل إلى خزائن الملك فى قصره

ونهراوس مع ذلك غير ناظر فى شىء من ذلك ولا سائل عنه ، وقد عملت له عدة متنزهات على عدة أيام السنة ، فكان فى كل يوم فى موضع منها ، فاذا كان من الغد انتقل إلى موضع آخر فى كل يوم فى موضع من الفرش والآنية ما ليس فى غيره

فلما اتصل ذلك بملوك النواحى طمعوا فيه واستضعفوه ، فقصده رجل من العمالقة يقال له عابد بن سجوم ، ويكنى بأبى قابوس ، فسار قاصداً إلى مصر حتى نزل على حد من حدودها

فأنفذ إليه العزيز جيشا وجعل عليه قائدا يقال له دوناس ، فقتله ذلك الملك وهزم عسكره ، ودخل حدود مصر فهدم أعلاما ومصانع كثيرة ، واشتد طمعه

---

١) فى ق سبعة وستين الف الف مثقال من الذهب

فى مصر وجهاتها

واتصـل خبره بأهل مصر فأعظموا ذلك وأكبروه واجتمعوا إلى العزيز ، فأمرهم أن يسـيروا إلى قصر الملك ؛ فأتوا إلى قصر الملك وجعلوا يصيحون ويستغيثون ؛ فسمعهم نهراوس ، فسأل عن حالهم ، فأخبر خبر العمالق وأنه قد دخل حدود مصر وعاث فيها ، وأفسد مزارعها وغير مصانعها ، وهدم أعلامها وأنه مقبل بجيوشه يريد قصر الملك ، فارتاع لذلك وأنف منه ، وانتبه من غفلته

وتذكر القبط أنه سمع نياح الجن على أبيه ؛ فارتاع لذلك فعرض جيشه وأصلح أمره ؛ وخرج الى العمالق واتبعه إلى حدود الشام ، وقتل أكثر أصحابه ؛ وأفسد الزرع وقطع الأشجار ، وأحرق الديار ؛ وصلب من أسره من الجيوش ؛ ونصب أعلاما على الموضع الذى بلغه أى لمن جاوز هذا المكان

وقيل إنه بلغ الموصل ؛ وضرب على أهل الشأم خراجا ؛ وبنى عند العريش مدينة عظيمة وشحنها بالرجال وملأ تلك النواحى بالجنود ؛ وانصرف إلى مصر ؛ فلما فعل ذلك هابته الملوك ، وفزعوا منه وأعظموه وهادوه وصالحوه

ولما استقر بمصر حشد جنوده من جميع الأعمال ، واستعد لغزو ملوك الغرب ، فخرج فى تسعمائة ألف [مقاتل] واتصل بالملوك خبره ؛ فمنهم من تنحى عن طريقه ومنهم من دخـل فى طاعته ؛ ومنهم من بذل الأموال والذخائر وصالح بلده ، ومنهم من قهره واستباحه

ومر بأرض البربر فأخذ كثيرا منها ؛ ووجه قائدا يقال له مريطس ؛ فركب فى سفن كثيرة ؛ وأخذ سواحل البحر فقتل بعض البربر ؛ ودخل أرضهم وصالحه بعضهم ، وحملوا اليه الأموال

ومضى الملك إلى إفريقية وقرطاجنـة ؛ فصالحوه على ألطاف وأموال كثيرة حملوها إليه

ومر حتى بلغ مصب البحر الأخضر إلى بحر الروم ، وعمل هناك صنما من نحاس وهو الموضع الذى فيه الأصنام القديمة ، وأقام تحته علما عظيما زبر عليه اسمه وتاريخ الوقت ، وصفة الأمر الذى خرج إليه ، وضرب على أهل تلك النواحى خراجا

وعبر إلى الأرض الكبيرة وسار إلى الافرنجة وسار إلى الأندلس ، وصاحبها عند ذلك اللاذريق ، فحاربه أياما ، وقتل من أصحابه خلقا كثيرا

وصالحوه بعد ذلك على ذهب كثير فى كل سنة يحمل إليه ، وعلى أن لايغزو أحداً فى البحر ولا فى البر شيئا من حدوده ، من جميع من فى تلك النواحى ، وعلى أن يمنع من رام شيئا منهم من ذلك ويغالبهم عنه

وانصرف راجعا عنه ، فسار على عبر البحر مشرقا على بلاد البربر . فلم يمر بموضع إلا خرج إليه أهله وأهدوه ودخلوا فى طاعته ، ومشوا بين يديه

وأخذ إلى ناحية الجنوب ، فمر بناحية الكوفاس [1] وهى أمة عظيمة فحاربوه فقتل منهم خلقا كثيرا

وبعث قائدا له إلى مدينة على ساحل البحر المظلم ، فخرج إليه ملك المدينة وأهلها يسألونه ماهو وما قصده ؟ فعرفهم القائد بحال الملك الريان وإذعان الملوك له ومصالحتهم إياه . فقالوا له أما نحن فما بلغنا أحد قط ولا رأيناه ولا ضرنا أحد ولا ضاررناه . وأخرجوا إليه مالا وجوهراً . وصالحوه على مدينتهم . فقبل ذلك منهم . وسألهم هل ركب هذا البحر أحد قط ؟ فقالوا جميعهم إنه مايستطيع أحد أن يركبه ، وأخبروه أنه ربما أظله الغمام فلا يرونه أياما

ثم أتاهم الملك الريان فتلقوه بهدايا وفاكهة ا كثرها التوت وحجارة سود . فاذا جعلت فى الماء صارت بيضاء

---

١) فى ق الكوشانيين على معبر البحر الأسود

وسار على أمم السودان حتى بلغ إلى مملكة الزموم[١] الذين يأكلون الناس ، فخرجوا إليه عراة بأيديهم حراب الحديد ، وخرج ملكهم على دابة عظيمة الخلق لها قرون ، وكان جسيما احمر العينين فصبر للحرب صبرا عظيما ثم ظفر به الريان ، فانهزموا فى أوحال وأدغال وغيران وجبال وعرة ، فلم يتهيأ له اتباعهم فيها

فجاوزهم إلى قوم على خلق القرود لهم اجنحة خفاف يلتفون بها من غير ريش ، ومر على البحر المظلم ، فلما أمعن فى السير فيه غشيهم منه غمام فرجع متيامنا ، حتى انتهى إلى جبل نبارس ، فرأى فوقه تمثالا من حجر احمر يومىء بيده ، أن ارجعوا وعلى صدره مزبوراً « ما ورائى أحد »

وانتهى إلى مدينة النحاس فلم يصل إليها ، ثم مضى فى الوادى المظلم ، فكانوا يسمعون منه جلبة عظيمة ، ولا يرون شيئا منه لشدة ظلمته

ثم سار حتى انتهى إلى وادى الرمل فرأى على عين اصناما عليها اسماء الملوك قبله ، فأقام صنما وزبر عليه اسمه ، فلما عدا وادى الرمل جاز إلى الخراب المتصل بالبحر الأسود المظلم ، فسمع جلبة وصياحا هائلا ، فخرج فى شجعان من اصحابه يتبعون ذلك الصياح حتى أشرف على سباع عظيمة غريبة الخلق مخزمة الأنوف وبعضها يغير على بعض فيأكل بعضها بعضا ، فعلم أنه لامذهب له من ورائها فرجع وعدى وادى الرمل ، فمر بأرض العقارب فأهلكت بعض أصحابه فرجعوها عن أنفسهم بالنار وبالرقا والعزائم التى كانوا قد عرفوها حتى جاوزها

وسار حتى انتهى إلى ارض سلوقة[٢] وكانت بها حية تخرج عن الحد والمقدار ، فرأوها ممتدة فظنوها ميتة ، فهموا عليها فوجدوها حية . فرجعوا عنها هاربين وتعوذوا منها بالرقا

وتزعم القبط أنه سحرها ، ومنعها من الحركة ، وتركها على حالها ، فلم تتحرك

١) فى ق الدمدم   ٢) فى ق صلوفه . وهى حية عظيمة كأنها جبل

حتى هلكت ويقال إن طول هذه الحية ميل وإنها كانت تبتلع الفيلة

وسار الى مدينة الكند وهى مدينة الحكماء ، فهربوا إلى جبل وعر كان لهم صعدوا إليه من داخل مدينتهم من مواضع لا يقدر هو ولا أصحابه على الصعود فيها ، فأقام على تلك الطريق يحرسها حتى عدم الماء ؛ ولم يجد منه شيئا وضاع اصحابه ، وكادوا أن يهلكوا عطشا

فنزل إليه رجل منهم يقال له ميدوش وكان من أفاضل الحكماء وقد غطى شعره جسده ؛ فقال له أيها الملك المغرور أين تريد ؛ وقد مد لك فى الأجل ، ورزقت فوق الكفاية ؟ ففيم تتعب نفسك وجيشك؛ هلا قنعت بما تملكه؛ واتكلت على خالقك الذى وهبك الغنى ؛ وأعانك بهذا الخلق !

فعجب نهراوس من قوله وسأله عن الماء فدله عليه . وسأله عن موضعهم إذ لم يكن أصاب فى جيشهم اثراً لسكناهم . قال نحن فى موضع لا يصل إليه احد

قال فما معاشكم ؟ قال من أصول نبات لنا نعتصم به و نقنع فيقيتنا ويكفينا اليسير منه

قال فمن اين تشربون ؟ قال من غدران لنا فى الأرض يجتمع إليها الماء من الأمطار والثلوج

قال فلم هربتم عنا ؟ قال رغبة عن جواركم ، وزهادة فى خلطتكم وكراهة لقربكم ، وإلا فليس لنا ما نخافكم عليه

قال فأين تكونون إذا حميت الشمس ؟ قال فى غيران لنا تحت هذا الجبل

قال فهل تحتاجون إلى مال أخلفه لكم ؟ قال إنما يحتاج إلى هذا المال اهل البذخ . ونحن لا نستعمل شيئا منه فاستغنينا عنه بما قد اكتفينا به . ومع ذلك فانا قد رزقنا منه مالو رأيته لحقرت ماعندك . قال فأرنيه ! قال فسر معى ، قال فانطلق الملك ونفر من أصحابه معه إلى ارض فى سفح جبل يتصل بهم فرأوا فيه

قضبان الذهب نابتاً ؛ وأروه واديا لهم على حافتيه حجارة الزبرجد والفيروزج

وأمر نهراوس أصحابه أن يتخيروا من جياد تلك الحجارة ، ويحملوا منها ما يقدروا عليه ففعلوا ؛ ورجع بهم إلى مصر فرأوا قوما من اهل العسكر يحملون صنما لهم ويعظمون امره ؛ فجزع من ذلك ، وسأل [الرجلُ] الملكَ أن يقيم بأرضهم ، ونهاه عن عبادة الأصنام وخوفهم منها

فسأله نهراوس أن يدله على الطريق ، ففعل وودعه وسار على السمت الذى وصفه له ، فلم يمر على امة إلا أثر فيها اثراً إلى أن بلغ إلى أرض النوبة ؛ فصالح أهله على مايحملونه اليه ثم أتى إلى دنقلة فأقام بها علما وزبر اسمه عليه ومسيره وجميع ما عمله فى سفرته تلك

ثم سار منها يريد منف فلم يبق أحد إلا خرج إليه مع العزيز ؛ وتلقوه بأصناف الطيب والرياحين والبخورات والملاهى وغرائب الالعاب

وكان العزيز قد بنى له مجلسا من الزجاج الغريب الابيض الصنمة الملون ،وجعل فيه صهريجا من زجاج سماوى ؛ وجعل فى ارضه سمكا من الزجاج الغريب

فلما دخل منف أنزله العزيز فى ذلك المجلس ، وأقام الناس أياما فى لهو وسرور يأكلون ويشربون

وأمر بعرض جيشه ففقد منه سبعين ألفا ، وقد كانوا خرجوا فى ألف ألف ، وكانت غيبته أحد عشر عاما

ولما سمع الملوك بذكر ماعمل فى سفره ، وما غاب من الأمم ، وما فتح من البلاد ، وقتل وأسر من الخلق هابوه وخافوه ؛ لشدة بأسه وعظيم سلطانه

وتجبر نهراوس فبنى فى الجانب الغربى قصورا من رخام ، ونصب عليها أعلاما فكان يغشاها أبدا ، ويقيم فيها اياما كثيرة ، وكان الخراج فى وقته تسعة وتسعين ألف ألف ؛ فأمر بالزيادة فى طلب العمارات ؛ وطلب وجوه الزيادة فيها من احسن

الطرقات لا من رديئها

وأمر باصلاح الجسور فى الجهات ، والتحمل فى أن يزيد الماء فى انبساطه فى الأرض ، ففعل ذلك كله حتى وافى الخراج مراده وزاد عليه

وقالت القبط : إن فى مدته دخل البلد غلام من الشام له أخوة يحسدونه ، فاحتالوا عليه حتى بيع من تجار يقصدون مصر ، وكانت قوافل الشام تعرس بمصر بناحية الموقف اليوم ، فأوقف الغلام للبيع ونودى عليه ، وهو يوسف الصديق عليه السلام ، فبلغ وزنه ذهبا ووزنه فضة ، فاشتراه العزيز ليهديه للملك ، فلما أتى به إلى منزله رأته زليخا امرأته ، وكانت ابنة عمه فقالت له اتركه عندنا نربيه ففعل ، وكان من أمره معها وعشقها له ماقصه الله تعالى فى كتابه ، وكانت تكتم حبها عنه ، حتى غلبها الأمر ، فتزينت له وجاءته فعرفته عشقها له ، وأنها مطاوعة له فى كل مايريده منها ، وأنها لابد لها منه ، وحبته بمال عظيم ، فامتنع عليها ، ولم يجد عنها مهربا ، فرامت تقبيله فأبى عليها ، فهجمت عليه ولم تزل تعـــاركه وهو يمتنع إلى أن دخل زوجها فوجده هاربا عنها وكان عنينا لايأتى النساء ، فقال لها ما هذا فجعل يوسف عليه السلام يعتذر اليه ، وقالت هى كنت نائمة فأتانى يراودنى عن نفسى ، ففطن أن الأمر كان منها

فقال ليوسف عليه السلام أعرض عن هذا أى عن اعتذارك ، وقال لزليخـا استغفرى لذنبك ، فانك قد أخطأت

واتصل خبر الغلام وجماله بالملك ، وأن العزيز ابتاعه له ، فلما لم يره سأله عنه انكر المدين أمره وغير له خبره ، وغالط فيه عليه ، وثقف الغلام عنده فى القصر ومنعه الخروج فنسى خبره

وكان نهراوس قد عاود الانعكاف على اللذات ، والاحتجاب عن الناس لما كان العزيز كفاه من أمر الملك والرعية

واتصل خبر زليخا مع يوسف عليه السلام بنساء من نساء أصحاب الملك فعيرنها بذلك

فأحضرت منهن جماعة وعملت لهن طعاماً ؛ فلما أكلنه أحضرت لهن شراباً ، وأجلستهن مجلسين مجلسا حذاء مجلس مذهبين جميعا ؛ وفرشتهما بالديباج الأصفر المذهب ، وأرخت عليهما ستور الحرير والديباج

وجلسن فيهما الشراب وقدمت بين أيديهن فاكهة كثيرة، وسكاكين أنصبتها من الجوهر ، وقالت لهن اقطعن من هذه الفاكهة بهذه السكاكين ، ويقال إن الذى كان ينزل بين ايديهن أترج وهو المتكأ ؛ فأمرت المواشط بتزيين يوسف عليه السلام . واخراجه إلى المجلس الذى كانت تجلس هى فيه والنسوة للشراب . وكانت الشمس ذلك الوقت محاذية لذلك المجلس . فأخذته المواشط ونظمن شعره بأصناف الجوهر . وألبسنه ثوب ديباج أصفر منسوج بدوائر مذهبة

وفيها صور خضر صفار . وعدلن شعره على جبينه إلى قرب حاجبيه . ووصلن جبهته ، وعقربن على خديه صدغيه ؛ ورددن ذؤابته على صدره . ودفعن اليه بمذبة ذهب شعرها أخضر

فلما فرغ النسوة من أكلهن وجلسن للشراب ؛ وأحضرت الفواكه وسقتهن أقداحاً . دفعت اليهن السكاكين، وقالت لهن قد بلغنى ما أخذتن فيه من أمرى مع عبدى . فقلن لها إن الامر على مابلغك إلا أنك أعلى عندنا قدرا من هذا . ومثلك يرتفع عن اولاد الملوك لحسنك وشرفك وعقلك ؛ فكيف كنت ترضين بعبدك ! قالت لم يبلغكن الصدق عنى . ولم ارض لنفسى بذلك ، فلو رضيته لكان هو اهلا لذلك ، واشارت إلى المواشط باخراجه ، فرفعت ستور المجلس الذى يحاذى مجلسها

واقبل يوسف عليه السلام والمذبة بيده ، وهن يرمقنه ، محاذيا للشمس

فأشرق المجلس وما فيه بوجه يوسف عليه السلام وارسل مع نور الشمس شعاعا فكاد يخطف ابصارهن

واقبل يوسف عليه السلام والمذبة بيده وهن يرمقنه حتى وقف على رأسها يذب عنها ؛ وهن لايعقلن ؛ وقد وضعن تلك السكاكين على أيديهن وأصابعهن، فقطعنها مكان الفاكهة ولايشعرن بذلك ولايجدن ألماً وهى تخاطبهن، فلا يفهمن خطابها للذى أدهشهن من النظر إلى وجه يوسف عليه السلام

فقالت لهن زليخا ما لكن قد اشتغلن عن فهم خطابى بالنظر إلى عبدى ؟ فقلن معاذ الله أن يكون هذا عبدك أو يكون هذا بشر إن هذا إلا ملك كريم ، ولم تبق منهن واحدة الا أنزلت وحاضت من محبته

فقالت لهن زليخا عند ذلك فهذا الذى لمتننى فيه ؛ فقلن لها ما ينبغى لأحد أن يلومك بعد هذا ؛ ومن لامك فقد ظلمك فدونكه ، وقالت قد فعلت فأبى على فخاطبنه إن قدرتن واعدنه الخير منى وحذرنه عقوبتى على رده لى ؛ فكانت كل واحدة منهن تدعوه إلى نفسها سراً ؛ وتبذل له ماقدرت عليه وهو يمتنع ، فاذا قطعت رجاءها منه لنفسها حينئذ خاطبته عن زليخا ؛ وقالت له مولاتك تحبك وأنت تكرهها ؛ وما ينبغى أن تخالفها وهى تبلغك إلى افضل المنازل ، وتعطيك من الأموال والجواهرفوق مايرضيك ؛ فيقول مالى بذلك من حاجة ، فلما رأين ذلك منه أجمعن على أخذه غصباً

فقالت زليخا ما يجوز ذلك ولا يمكن ؛ ولكنه إن لم يفعل لأمنعنه اللذات ، ولأنزعن عنه جميع ماأعطيته ولأسجننه

فقال يوسف عليه السلام رب السجن أحب إلى مما يدعوننى اليه ؛ فأقسمت بالهها ، وكان صنما من زبرجد اخضر باسم عطارد أنه إن لم يجبها إلى ماتريده لتعجلن له ذلك وكشفت عن الصنم واستعانته على أمره ؛ ثم أمرت بنزع ثيابه

وألبسته الصوف . وسألت زوجها أن يحبسه لها ؛ ليزول عنها ذكرها به فمال إلى قولها ؛ لئلا يظن الناس بأهله القبيح ، وعسى [أن] ينفى عنها القالة بذلك

فأمر بحبسه فحبس . فأقام فى السجن بضع سنين . ورأى الملك فى منامه كأن آتيا أتاه فقال له إن فلاناً [وفلانا][1] قد عزما على قتلك ؛ وكان صاحبي طعامه وشرابه . وفى غد تقف على أمرهما

فلما أصبح قررهما فاعترفا وقيل اعترف احدهما ؛ وأنكر الآخر فامر بحبسها وكان اسم صاحب الشراب مرطيس

وكان يوسف عليه السلام برا رءوفا بأهل السجن ؛ يصبرهم ويعظهم ويعدهم بالفرج ؛ ويفسر احلامهم . إلى ان اخبره صاحب طعام الملك وصاحب شرابه برؤياهما كما جاء به القرآن ؛ فأخرجا من السجن . وكان كما أخبرهما ان قتل أحدهما وهو الذى أقر ، ونجا الآخر الذى لم يقر . وهو صاحب الشراب

ولما رأى الملك فى نومه البقرات والسنابل وأراد أن يعبر رؤياه عرفه الساقى خبر يوسف عليه السلام . فأرسل إليه إلى السجن ففسرها له

وقيل إن الملك قال للرسول سله عن الرؤيا قبل أن تقصها عليه ففعل . فقال الملك عند ذلك فجئنى به . فرجع الرسول إليه ليخرجه ويحمله إلى الملك . فقال له يوسف عليه السلام لست أخرج حتى يكشف الملك عن امر النسوة اللاتى قطعن ايديهن وحبست من اجلهن

فأمر الملك فى الوقت ؛ فأحضرت زليخا والنسوة وكشف عن حقيقة الأمر فوقف عليه ؛ وأقرت زليخا والنسوة بما كان منها

فوجه الملك إليه وأخرج من السجن وغسل من درنه و نظف وألبس من الثياب ما يليق به مثله على الملك

---

[1] فى ب ان فلانان

فلما دخل على الملك ورآه امتلأ قلبه من حبه . فأنزله وأكرمه وسأله عن الرؤيا ففسرها له كما قال الله عز وجل فى كتابه

فقال الملك ومن يقوم بذلك ؟ فقال له يوسف عليه السلام أنا فانى به عليم . فخلع عليه خلع الملك وألبسه تاجا . وأمر أن يطاف به ، ويركب الجيوش معه . ويرد إلى قصر الملك ، ويجلس على سرير العزيز ، فكان ذلك واستخلفه الملك مكانه وسماه العزيز

وقال قوم كان العزيز قد هلك ، فتزوج يوسف عليه السلام امرأته ، فلما خلا بها قال لها هذا أفضل مما كنت أردت ؟ فقالت له إن زوجى كان عنينا ولم تر الك امرأة فى حسنك وهيبتك إلا صبا قلبها إليك

فأقام يوسف عليه السلام يدبر ملك مصر كيف شاء ، وجاءت سنى الخصب ، فاخذ يوسف غلاتها فخزن اكثرها فى سنابلها ، واشترى الغلات الجسيمة ، واكثر غلات الناس ، وخزن من ذلك ما لا يحصر قدره

ثم جاءت سنى الجدب وبدأ النيل فى النقصان ، فكان ينقص فى كل سنة اكثر من نقصانه فى السنة التى قبلها ، فغلا السعر حتى بيع المأكول بالجوهر والمال والثياب والآنية والعقار

وكاد اهل مصر أن يرحلوا عنها لولا تدبير يوسف عليه السلام ، وقحط اهل الشام ، فكان من قصة إخوة يوسف ماقصه الله تعالى فى كتابه

ووجه يوسف إلى أبيه فحمله إلى مصر وجميع اهله ، وخرج فى وجوه اهل مصر ، فتلقاه وأدخله على الملك ، فأحبه الملك وعظمه

فقال له يا شيخ كم سنك ، وماصناعتك ، وما الذى تعبده ؟ فقال له أما سنى فعشرون ومائة سنة ، وأما صناعتى فانا غنم نرعاها فنحن ننتفع بها ونعيش منها ، وأما الذى أعبده فرب العالمين ، وهو رب آبائى وآبائك وإلهى وإلهك وإله كل

مخلوق وخالق كل شيء

وكان فى مجلس الملك كاهن عظيم القدر عندهم ، يقال له فيناس ، فلما سمع قول يعقوب عليه السلام ضاق به ذرعا ؛ وقال لنهراوس بلغتهم إنه يجرى خراب مصر على يد ولد هذا فقال له نهراوس ، فبين لنا خبره

قال فيناس ليعقوب عليه السلام إن كل إله لا تراه العيون فليس بشيء ، فغضب يعقوب عليه السلام ، وقال كذبت أى عدو الله ؛ وطغيت فى هذه الدنيا إن الله تعالى شيء وليس كالأشياء ، وهو خالق كل شيء لا إله غيره

قال فصفه لنا ؛ قال إنما يوصف المخلوق لا الخالق عز وجل ، لأنه ارتفع عن الصفات ؛ فهو واحد قديم أول أزلى قاض بكل شيء مدبر لكل شيء بلا كيف هو ؛ حاضر فى كل مكان لم يعزب عن علمه مثقال ذرة فى ظلمات البحر ؛ ولا اعماق الأرض ، ولا فى اطباق السموات وهو يرى ولا تراه العيون ولا يحيط به فكر ولا يحويه مكان ، وكان قبل المكان والزمان . وخلق المكان والزمان

ثم قام يعقوب صلى الله عليه وسلم مغضبا ليخرج ؛ فأجلسه الملك وامر فيناس ان يكف عنه ؛ ويأخذ فى غير ذلك ؛ قال كم عدة من دخل معك من الرجال ؟ قال ستون رجلا

قال فيناس الملك كذلك نجد فى كتبنا أن خراب مصر يجرى على يد قوم يدخلون مصر فى هذا العدد من الشأم من صنف هؤلاء

قال الملك أيكون ذلك فى ايامنا ؟ قال لا ولكن إلى أمد بعيد ؛ ولكن الصواب أن يقتله الملك ولا يستبقى من ذريته أحدا

قال الملك نهراوس إن كان الأمر كما تقول فلا يمكننا دفعه ولا علينا منه ضرورة إذا لم نخف أن يجرى ذلك فى مدتنا أن نقتل هؤلاء القوم ؛ وهم يذكرون أمر إله عظيم

وغيرنا ممن يخاف أن يدور ذلك عليه أحق بالنظر فيه ؛ وقد قبل قلبي قول هذا الرجل ، وأعجبني امره ، وهو شيخ جليل القدر ، وليس إلى إذايته سبيل ؛ فخاطبه بألين كلام وناظره إن شاء مناظرتك

فجرت بين يعقوب عليه السلام وبين فيناس بعد ذلك مخاطبات لين له فيها القول ، وظهر فيها يعقوب عليه السلام [عليه]

وأحب يعقوب أن يعرف خبر مصر ومدائنها وعجائبها وسحرها وطلسماتها ، فسأل عن قليل ذلك وكثيره فيناس عند خلوته به

واستحلفه بحق فرعون أن لا يكتمه شيئا منه ؛ فوصف له ذلك كله وبينه وشرح غرائبه ، حتى لم يخف عن يعقوب عليه السلام شيئا منها

فأقام يعقوب بمصر ونهراوس يجله ويعظمه إلى أن حضرته الوفاة ؛ فأوصى أن يحمل إلى مكانه من الشأم ، فجعل فى تابوت ، وخرج معه يوسف عليه السلام ووجوه اهل مصر حتى بلغوه الى موضعه؛ ودفن فيه عليه السلام؛ وقيل إن عيصو منعه من دفنه هناك لأن إسحق عليه السلام وهبه الموضع ؛ فاشتراه يوسف عليه السلام منه بحكمه ؛ ودفنه فيه

وأقام يوسف بمصر وولد له فيها ؛ ويقال إن نهراوس آمن بيوسف عليه السلام ، وكتم إيمانه خوفا من فساد ملكه

وملك نهراوس مائة وعشرين سنة ؛ وفى وقته عمل يوسف عليه السلام الفيوم لابنة الملك ؛ وكان اهل مصر قد تنقصوا الملك ، وقالوا قد كبر وذهب عقله ؛ فاخبره بذلك يوسف عليه السلام ، فقال نهراوس ما أبالى ولكنى قد وهبت لابنتى ناحية كذا وكذا ، وهى مغايض مياه ومروج ، وأحب أن أدفع عنها صبيب المياه وأخرج عنها ماحصل فيها حتي ترجع ارضا عامرة مغلة ؛ فاعمل فى ذلك واحكم ما يمكن

فخرج يوسف عليه السلام فدبرها وأخرج المياه منها ؛ وقطع مادتها منها ؛ وبنى جسورها وقلع أدغالها وردها ارضا غظيمة العمارة جسيمة الغلة ؛ وهي ارض الفيوم ؛ وفرغ من ذلك كله فى مدة قريبة ؛ فعجب الناس من فطنة الملك وحكمة يوسف عليه السلام

ويقال إن نهراوس أول من بنى بمصر [1] وبنى اللاهون ؛ وجعل الماء فيه مقسوما موزونا ؛ ثم مات نهراوس

واستخلف ابنه دريوس ، ويسميه أهل الأثر داروم [2] بن الريان وهو الفرعون الرابع عندهم

ولما ملك خالف سنة أبيه ، وكان يوسف خليفته ؛ لأن أباه أمره بذلك وأكد عليه فيه ؛ فكان يوسف عليه السلام يسدده فربما قبل منه وربما خالفه

وظهر فى وقته معدن فضة على ثلاثة أميال من النيل ؛ فأثار منه شيئا عظيما ؛ وعمل منه صنما على اسم القمر . لأن طالعه كان على السرطان ؛ ونصبه على قصر الرخام الذى كان أبوه بناه فى شرقى النيل

ونصب حوله أصناما كلها من فضة وألبسها الحرير الأحمر ، وعمل للصنم عيدا فى كل شهر ، وهو إذا دخل القمر بالسرطان

وكان ينتقل إلى مواضع شتى يتنزه ، وكلما أراد أن يضر الناس منعه يوسف عليه السلام من ذلك ودفعه عن رأيه بأى وجه أمكنه إلى أن مات يوسف عليه السلام وله مائة وثلاث وعشرون سنة ، فأمر به داروم فكفن فى ثياب الملوك ، وجعل فى تابوت رخام ، ودفن فى الجانب الغربى من النيل وخصب ، ونقص الجانب الشرقى

---

١) هكذا بالاصول ، ولعل الصواب من بنى الجسور بمصر ، او بنى خزانا بمصر ٢) فى ق دارم

فاخرج تابوته من الجانب الغربي ونقل إلى الجانب الشرقي فدفن فيه ونقص الجانب الغربي

فاتفق رأيهم أن يجعلوه في الجانب الغربي سنة وفي الشرقي سنة ، ثم حدث لهم من الرأي أن شدوا حول التابوت حلقا من نحاس وثاقا ثم ربطوه بحبال وشدوه شدا وثيقا محكما ولووه لويا وثيقا ثم دلوه في وسط النيل ، وتركوه هناك فأخصب الجانبان جميعاً

وقيل إن داروم استوزره بعد بلاطس[1] الكاهن ، فكان بلاطس يطلق له ما كان يوسف عليه السلام يمنعه عنه ، وحمله على أذى الناس وأخذ اموالهم ، فبلغ بهم من ذلك مبلغا عظيما

ثم زادت قصته في التجبر حتى اختلع كل امرأة جميلة بمدينة منف ، فكان لا يسمع بامرأة حسناء إلا وجه إليها فحملت اليه ، وفشا ذلك في المملكة واضطرب الناس من فعله

فخاف بلاطس ان يفسد أمر المملكة ، ويتلف الملك من فعله ، فدخل اليه واشار عليه أن يتودد إلى الناس ، ويتعذر منهم ويرد نساءهم ، فأمره الملك أن ينادي في الحضور ثم لبس افخر ثيابه ، ودخل الناس اليه فشكوا اليه ما حل بهم فاعتذر اليهم وأسقط عنهم خراج ثلاث سنين

ثم أمر بعمل قصر من خشب فيه عجائب كثيرة ، وكان يركب فيه هو ونساؤه وحشمه ، ورجع إلى ما كان عليه من ابتزاز النساء ، ونهب الأموال واستخدام الأشراف والوجوه من القبط من بني اسرائيل

إلى أن ركب في ذلك القصر يوما ، فلما كان في بعض الليالي وقد أحدق النيل بالبلد ، وكان الماء من الجبل إلى الجبل ، وامتد القمر على الماء وهو في

١) الصواب استوزر بعده بلاطس

قصره الخشب ، فأراد أن يعدى من العدوة الى العدوة الأخرى ، فلم يتهيأ له سوق القصر بسرعة لعظمه ، فركب مركبا لطيفاً مع ثلاثة نفر من خدمه وامرأة ابيه الساحرة

فلما توسط البحر هاجت ريح عاصفة، فانقلب المركب وغرق هو ومن معه ، وأصبح الناس شاكين فى امره إلى ان وجدت جثته بشطنوف فعرف بخاتمه ، وبجوهر كان يتقلد به ، فحمل إلى منف

وقدم الوزير ابنه معازيوس [1] واجلسه على سرير الملك ، وكان صبيا فبايع له الجيش واسقط عن الناس الخراج الذى كان ابوه أسقطه وزادهم سنة ، وضمن لهم الاحسان فأطاعوه ورد نساءهم وهو خامس الفراعنة ، وكان فى زمنه طوفان آخر ببعض البلد

وكان وزير أبيه قد هلك ، فاستوزر كاهنا يقال له أملاده ، فلما رأى من الاسرائيليين ما فعلوه أنكره ، واشار أن يفرد لهم من البلد [مكانا الا] يختلط بهم غيرهم ، فأقطعوا موضعا من قبلى منف ، وعملوا لأنفسهم متعبدا كانوا يتلون فيه صحف ابراهيم عليه السلام

وان رجلا من أهل بيت المملكة عشق امراة ... سرائيليين ، وأراد ان يتزوج ، فأبوا عن ذلك

وتغلب احد ملوك الكنعانيين على الشام وامتنع اهله ان يحملوا الضريبة إلى مالك مصر ، واقبل على ملازمة الهياكل والتعبد فيها ، فأعظم الناس امره فتجبر فى نفسه ، وامر الناس أن يسموه رباً ، وترفع ان ينظر فى شىء من امر المملكة ، فجمع الناس وقال لهم قد رايت أن اجعل امر الملك الى ابنى اقسامس واكون من ورائه إلى ان يغيب شخصى عنكم كما وعدت ، فرضوا

---

١) فى ق معدان

ذلك ، وقالوا الامر امر الملك ونحن عبيده ، ومن رضيته الآلهة فحكم الخلق ان يرضوه ولايخالفوه

فأقام ابنه أقسامس[1] الملك ، وجلس أقسامس على سرير الملك ، وتوج بتاج أبيه وأقام الناظرون[2] بين يديه ورتب الناس مراتبهم ، وقسم الكور والأعمال ، وأمر بأبساط العمارات ، وأوسع على الناس فى أرزاقهم ، وعلا أمره وطال ملكه وعمل مدنا كثيرة أسفل الارض وعجائب كثيرة يطول ذكرها ، ويقال إن بخت نصر لما ظفر بمصر أخذ من عمله عجائب كثيرة فاقام أول ولايته سبع سنين بأجمل أمر وأصلح حال

ومات وزير أبيه فاستخلف رجل من أهل بيت المملكة ، يقال له طلما[3] بن

١) فى ق كاشيم ٢) لعل الصواب وأقام القاطرون ، وقد تقدم معنى ذلك فى صدر الكتاب ٣) فى ق ظلما ، وقد جاء فيه زيادة لا بأس من ايرادها ههنا وهى «وكان يقال له ظلما ، وكان شجاعا كاهنا حكيما متصرفا فى كل فن ، وكانت نفسه تنازعه الملك ، قيل هو من ولد اشمون وقيل من ولد صاو ، وقيل من العمالقة . وكان يقوم بأمر البلد كما كان العزيز مع الوليد .

وقيل سبب استخلافه الملك أنه كان عطارا بأصبهان فأفلس وركبه الدين فخرج هاربا من الدين وأتى الشام فلم يستقم حاله ، فجاء إلى مصر فرأى على باب المدينة حمل بطيخ فسأل عن سعره فقيل بدرهم ، فدخل المدينة فسأل عن سعره فقيل كل بطيخة بدرهم فقال من هنا أقضى دينى ! فاشترى حملا بدرهم وأتى المدينة فنهبه البوابون فما بقى منه إلا بطيخة واحدة فباعها بدرهم ، فقال ماهذا ؟ ماهنا أحد ينظر فى مصالح الناس ؟ فقالوا ملكنا مشغول بلذات نفسه ، وفوض الأمر إلى الوزير ، ولاينظر فى شىء فخرج فرعون إلى المقابر ، فجعل لايمكن أحداً من الدفن إلا بخمسة دراهم فأقام على ذلك مده لم يتعرض له أحد فماتت بنت الملك ،

قوم س ، وكان شجاعا ساحرا كاهنا كاتبا حكيما ذهنيا متصرفا فى كل فن

فصاح أمر المملكة بمكانه وأحبه الناس ؛ فعمل معالم كثيرة وعمر الخراب ، وبنى مدنا ؛ ورأى فى نجومه أنه سيكون جدب وشدة ، فاستعمل ما استعمله نهراوس الملك وقد تقدم ذكره

وبنى الهياكل ، وقيل إن منارة الاسكندرية بنيت فى زمانه ؛ وفى زمانه هاج البحر المالح فغرق كثيرا من القرى والأخبية والمصانع

وحكى أن أقسامس تغيب عن الناس مدة ، وقيل مات وكتموا موته ، وكان ملكه إلى أن غاب عنهم إحدى وثلاثين سنة ؛ وأقاموا احدى عشرة سنة يدبر ملكهم طلما الكاهن

ولما افتقد الناس الملك اضطربوا وتغيروا على طلما ، واتصل بهم أنه سمه وقتله ؛ فقالوا لابد لنا من النظر إلى الملك فعرفهم أنه قد تخلى عن الملك وولى

فقال هاتوا خمسة دراهم ؛ فقالوا ويحك هذه بنت الملك ؛ فقال هاتوا عشرة دراهم ، فلم يزل يضعفها إلى أن وصلت إلى مائة درهم ؛ فأخبروا الملك بحديثه ، قال ومن هذا؟ قالوا عامل الاموات فأرسل إلى الوزير فسأله عنه ، فانكر حاله فأحضره الملك وقال من أنت ؟ فاخبره بخبر البطيخ ؛ وقال ما عملت عامل الموتى إلا حتى يصل خبرى إليك وتحضرنى لأنصحك لتستيقظ من نومك ، وتحفظ ملكك وإلا ذهب عنك ؛ فاستوزره فسار فى الناس سيرة حسنة ، وفى زمانه شكى القبط اليه حال الاسرائيليين ، فقال هم عبيدكم فافعلوا بهم ما بدا لكم . فكان القبطى يضرب الاسرائيلى فلا يقدر أن يغير عليه أحد ؛ وإن ضرب الاسرائيلى القبطى قتل .

وبنى فى زمانه مدنا كثيرة ، وأعلاما ومصانع وطلسمات ، ومن أعجب ما عمل التنور الذى يشوى فيه بغير نار ؛ والسكين تنصب فاذا رآها شىء من البهائم أقبل عليها حتى يذبح نفسه بها ، والماء الذى يستحيل هواء وأشياء من النيرنج ،

ابنه لاطس ، فما قبلوا منه ، وأمر الجيش فركبوا فى السلاح

وكان لاطس الملك جلس على سرير الملك ولبس التاج وكان جريئا معجبا خاقا فوعد الناس جميلا وقال انا مستقيم لكم ما استقمتم ، وإن ملتم عن الواجب ملت عنكم ، وألزم الناس إعمالهم ، وحط جماعة من الوجوه عن مراتبهم ، وصرف طلما بن قومس عما كان عليه من خلافته

واستخلف رجلا يقال له لاهوق من ولد صا الاكبر بن تدارس ، ودفع اليه خاتمه ، وكان كاهنا ، وأنفذ طلما عاملا على الصعيد ، وانفذ معه جماعة من الاسرائيليين ، وجدد بناء الاعلام واصلح الهياكل ، وبنى قرى كثيرة ، وأثيرت فى وقته معادن كثيرة وكنوز

وكان محبا [للخلق][1] ثم تجبر وعلا ، وامر ان لا يجلس احدفى قصر الملك لا كاهن ولا غيره ، بل يقومون على ارجلهم الى ان ينصرفوا . وزاد فى اذى الناس والعنف بهم ، ثم جمع اموالهم وكنزها ، وطلب النساء فابتز منهن خلقا كثيراً وقصد الناس بسطوته وفظاظته

واستعبد بنى اسرائيل ، وقتل جماعة من الكهنة فبغضه الخاص والعام ، ثم حشد عليه طلما الذى صرفه وولاه الصعيد فجاءه بجيش كثيف ، وخرج اليه بلاطس[2] الملك ، فحاربه طلما فظفر بلاطس وقتله ، وسار حتى دخل منف فعاث فيها

ونزل قصر المملكة طلما بن قومس ، فجلس على سرير الملك وحاز جميع ما كان فى خزائنهم ، فهذا الذى تذكر القبط انه فرعون موسى صلى الله عليه وعلى نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

واما اهل الأثر فيزعمون انه الوليد بن مصعب ، وأنه من العمالقة وذكروا

---

١) فى ب للحكم ٢) فى ق لاطيس

أن الفراعنة سبعة

وكان طلما فيما يحكى عنه قصيراً طويل اللحية ، أشهل العينين صغير العين اليسرى ، فى جبينه شامة ، وأنه كان أعرج

وزعم قوم أنه كان لقيطاً ، والدليل على ذلك ميله إليهم ونكاحه فيهم ، ولما جلس فى الملك اضطرب الناس عليه ، فبذل الأموال ورغب من أطاعه ، وقتل من خالفه فاعتدل أمره

وكان أول ما عمله أن رتب المراتب وشيد الأعلام وبنى المدن ، وخندق الخنادق ، وعمل بناحية العريش حصنا ، وكذلك على حدود مصر ، واستخلف هامان وكان يقرب منه فى نفسه

وأثار بعض الكنوز وصرفها فى بناء المدائن والعمارات ، وحفر خلجانا كثيرة ويقال إنه الذى حفر خليج سودوس: فكان كلما عرجه إلى قرية من قرى الحوف حمل اليه أهلها مالا ، فاجتمع من ذلك شىء كثير ، فأمر برده على أهله

وبلغ الخراج فى وقته سبعا وستين الف الف ، وكان ينزل الناس على منازلهم وهو أول من عرف العرفاء على الناس

وكان ممن صحبه من الاسرائيليين رجل يقال له إمرى وهو عمران أبو موسى عليه السلام ، فجعله حرسا لقصره يتولى حفظه وإغلاقه بالليل

وكان قد رأى فى كهانته أنه يجرى هلاكه على يد مولود من الاسرائيليين ، فمنعهم المناكحة ثلاث سنين لانه رأى أن ذلك المولود يكون فيها ، وأن امرأة إمرى يعنى عمران أتته بعض الليالى بشىء أصلحته له فواقعها فحملت بهارون ، ثم واقعها فى السنة الثالثة فحملت بموسى عليهما السلام فرأى فى كهانته أنه قد حمل بذلك المولود ، فأمر بذبح المولودين الذكور من بنى اسرائيل ، ولم يتعرض لأمرى لقربه منه ، ولحراسته قصره

إلا أن موسى كان من أمره ماقصه الله عز وجل فى كتابه من آمر التابوت وقذف أمه فى النيل إلى أن صار إلى تحت قصره ، وأخذ امرأته له واسترضاعها لأمه

وامتنع فرعون من قتاله إلى أن كبر وعظم شأنه ، ورد فرعون كثيراً من أمره وجعله من قواده ، وكانت له سطوة ثم وجهه لغزو الكوشانيين ، وكانوا قد عاثوا فى أطراف مصر ، فخرج فى جيش كثيف ورزقه الله الظفر ، فقتل منهم خلقا وأسر خلقا وانصرف غانما سالما ، فسر به فرعون وامرأته

فاستولى وهو غلام على كثير من أمر فرعون ، وأراد أن يستخلفه حتى قتل رجلا من أشراف القبط ، وكان يقرب من فرعون فهرب منه

وخرج إلى ناحية مدين ، وتزوج ابنة ثيرون ، وهو شعيب عليهما السلام على أن يرعى غنمه وانده بأجلين فقضى أتمهما وأرسله الله إلى فرعون

وولدت امرأته فذهب يقتبس لها نارا ، فكلمه الله تعالى فى جبل الطور ، وقال له امض الى فرعون ، وأيده بأخيه فترك امرأته محلها ومضى لرسالة ربه

وولدت امرأته فأرسل الله تعالى جبريل بما يصلحها من آلة الولادة وختن ابنها ، وكانت الغنم تغدو من عندها وترجع اليها بغير راع

وحمل جبريل عليه السلام الغلام حتى أراه موسى وهو سائر الى مصر فقبله ، وتفل في فيه ورده إلى أمه ، ومر بها رجل من آل شعيب فردها إلى مدين ، وصار موسى إلى مصر ولقى أخاه هارون ولم يثبته لطول غيبته ، وكان يغتسل على شاطىء النيل ، فاستضافه فأضافه وأطعمه جلبانا مطبوخا قد ثرد فيه ثريد ، وتعارفا وسر بعضهما ببعض وعرفه أن الله عز وجل أرسله ونبأه هو وأخوه ، وجعله له عضداً

وغدوا إلى فرعون وأقاما أياما ، وعلى كل واحد منهما جبة صوف ، ومعه

عصاه التى أخذها من شعيب عليهما السلام ومنها كانت احدى آياته فكانا يأتيان فى كل يوم ويجلسان ببابه فلا يصلان الى فرعون لشدة حجابه ، الى ان دخل اليه مضحك كان له فعرفه حالهما ، وقال بالباب رجلان يطلبان الاذن عليك ، ويزعمان أن إلههما أرسلهما اليك ، فأمر بادخالهما وخاطبه موسى وأراه آية العصا ، وآيته فى بياض اليد ، وهما آيتان من تسع ، وكان من خطابه إياه ما قصه الله فى كتابه

فغاظ فرعون أمره وهم بقتله ، فمنعه الله تعالى منه وشغله عنه ، ورأى طلما فرعون كأن على صورة غمامة قد اقبلت ، فمسحت على عيونهم فعموا

ثم امر قوما آخرين بقتله ، فرأى كأن نارا قد أتت فاحرقتهم ، فازداد عليه غيظا ، وقال له من اين لك هذه النواميس العظام ؟ أسحرة بلدى علموك هذا ، أم تعلمته بعد خروجك من عندنا ؟ قال هذا من ناموس السماء ، وليس من نواميس الأرض . قال ومن صاحبه ؟ قال صاحب البنية العليا ، قال بل علمتها من بلدى ، وامر بجمع السحرة والكهنة واصحاب النواميس ، فقال اخرجوا علىّ ارفع اعمالكم ، فانى ارى نواميس هذا الساحر رفيعة جدا ، فعرضوا عليه اعمالهم فسره ذلك ، واحضره وقال له فقت على سحرك ، وعندى من يوفى عليك فواعدهم يوم الزينة ، وهو يوم عيد كان لهم ، على ان من غلب منهما اتبعه الآخر ، وكان جماعة من اهل البلد اتبعوا موسى صلى الله عليه وسلم ، وكانت السحرة مائة الف واربعين الفاً ، فعملوا من الاعمال ما يرى الوجوه ملونة ومشوهة ، ومنها الطويل ومنها العريض ، ومنها المقلوب جبهته إلى اسفل ولحيته الى فوق ، ومنها ماله قرون ومنها ماهو عظيم على قدر الترس ، ومنها ما له آذان عظام ، ومنها ما يشبه وجوه القرود

وفى كل فن وفى كل صورة ، وأجساما عظاما ما تبلغ السحاب ، وحيات عظيمة بأجنحة تطير إلى الهواء ، ويرجع بعضها على بعض.

وحيات يخرج من أفواهها نار يخيل للعالم انها تكاد تحرقه ، وحيات برءوس وشعور وأذناب فيها رءوس ، وتماثيل فى طرق الشياطين

ثم عملوا دخانا يغشى ابصار الناس ، فلا يرى بعضهم بعضا ، ودخانا يظهر صورا مثل النيران فى الجو على دواب مثل ذلك يصدم بعضها بعضا ، وتسمع لها قعاقع وضجة ، وصوراً اخرى على دواب خضر ؛ وصوراً سوداً على دواب سود

فلما رأى فرعون ذلك سر هو وجماعته ممن حضر معه ، واغتم بموسى صلى الله عليه وسلم ، ومن كان آمن به و كفر [بفرعون][1] خوفا على فتنة النـاس بذلك وضلالهم

وكان للسحرة ثلاث رءوس؛ فلما رأى موسى صلوات الله عليه ذلك وضاق به ذرعا أتاه جبريل عليه السلام ، وقال له لا تخف إنك انت الأعلى وألق ما فى يمينك ، فسر بذلك موسى عليه السلام ، وطمع فى إيمان الناس وسكن خوفه فأسر إلى عظماء السحرة وقال قد رأيت ما صنعتم ؛ فان قهرتكم أتؤمنون بالله؟ قالوا نشهد لنفعلن، فرآه فرعون، وقد اسر اليهم فغاظه وهم بمعاجلة[2] الجميع، ثم توقف ليعلم آخر القضية ؛ والناس يهزؤون منه ومن أخيه وعليهما دراعتان من صوف ، وقد احتزما بالليف ، ومع موسى عليه السلام عصاه

فسمى موسى عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم ثم حلق العصا ورفعها فى الجو ورفعها جبريل عليه السلام حتى غابت عن عيونهم ، ثم اقبلت فى صورة ثعبان عظيم له عينان كالترس تتوقدان نارا ، وتخرج من فيه ومن منخره ؛ وهو يزبد غضبا لله تعالى ، فلا يقع من زبده شىء على احد إلا ابرصه ، وبرصت من ذلك ابنة فرعون والثعبان فاتح فاه

---

١) فى ب وكفر ايمانه ٢) فى ب بمعاجلة

وذكر أن امه كانت حاضرة قريبا منهم ؛ فابتلع الثعبان جميع ما عملته السحرة ومائتى مركب كانت مملوءة عصيا وحبالا . وجميع من كان فيها من الملاحين

وكان فى النهر الذى يتصل بدار فرعون عمد كبيرة وحجارة ؛ وكانت قد حملت إلى هناك ليبنى بها ؛ وأقبل الثعبان إلى قصر فرعون ليبلعه ؛ وكان فى قبة له على جانب القصر يشرف على عمل السحرة ؛ فوضع الثعبان نابه تحت القصر؛ ورفع نابه الآخر إلى اعلى القبة ولهب النار يخرج من فيه ؛ وقد احرق مواضع من القصر ؛ فصاح فرعون عند ذلك ؛ واستغاث بموسى صلى الله عليه وسلم فزجره فعطف على الناس ليبتلعهم ؛ وبلع بعضهم فسقط بعضهم على وجوه بعض

وذهب ليبتلعهم فأمسكه موسى عليه السلام ، وعاد فى يده عصا كما كانت ولم يروا لتلك المراكب أثرا ، وكان فيها من الحبال والعصى والناس والأعمدة والحجارة وماشربه من ماء النهر حتى بانت أرضه ترابا

فلما رأى السحرة ذلك ، ولم يروا لتلك الأعيان اثرا قالوا ما هذا عمل الآدميين! وانما نصنع مخاييل لاتغيب عن الاعيان ، فقال لهم موسى أوفوا بوعدكم وإلا سلطته عليكم فيبتلعكم كما ابتلع غيركم

فعندها آمن السحرة بموسى عليه السلام ، وجاهروا فرعون ؛ وقالوا هذا من فعل إله السموات وليس من فعل إله الأرض[1]

فقال فرعون قد علمت أنكم واطأتموه على وعلى ملكى حسدا منكم لى ؛ وأمر مثل ذلك ؛ وجاهره فقطعت ايديهم وأرجلهم من خلاف

وكانوا يرون مساكنهم من الجنة قبل أن يموتوا ؛ وجاهرته امرأته ففعل بها المؤمن ففعل به مثل ذلك

وكان الروحانى قد قال له إنى رب السماء وأنت رب الأرض قد استخلفتك

---

١) هكذا فى الأصل ، والصواب : وليس من السحر أو ما يشبه ذلك

فيها ، فأنت رب كل من سكنها من الخلق ، فتجبر وادعى الربوبية وشق الأنهار وغرس الأشجار

فلما كان من أمر موسى عليه السلام ما كان ، فسد ذلك الروحانى وسقطت الطلسمات ، وبعض الهياكل والمنارات وخرت الأصنام على وجهها ، وعلت آيات موسى ، وبطل ما كان من الطوفان والجراد والقمل والضفادع ، فتحول ماؤهم دما ، فكانت الاسرائيلية تسقى القبطية من فمها ماء فيعود فى فم القبطية دما عبيطا ، وتعض على الرغيف لتأكل منه فتعض على ضفدع ، واتلف الجراد والقمل جميع زروعهم ، وهدم الماء ابنيتهم ، وبعض منازلهم وتبين للناس أنه لا ينفعهم

وضاق صدر فرعون من ذلك ، فرجع إلى مداراة موسى عليه السلام ، ووعده أن يستخلفه على ملكه ، وأشار عليه هامان والكهان أن لا يفعل

ثم أمر الرعية أن يقتلوا موسى ، نخرج جماعة [إلى][1] الموضع الذى فيه لذلك ، فأتت نار فأحرقتهم

ورأى فرعون كأنه أخذ برجليه ، ونكس على رأسه فى حظيرة نار ، وكأنه يستغيث ، ويقول إنى لمؤمن بموسى وربه فخلوا عنه ، فدعا هامان وعرفه ذلك ، وقال له لم يبق بعد هذا شىء ، وأريد أن أومن بموسى ، فقال له هو الذى عمل لك الرؤيا ليهولك ، فتريد أن تكون عبداً بعد أن كنت ربا ! وتستخف بك رعيتك ، وتسلب ملكك !

قال فتاطف به وبعد ذلك منعه منه ، وكان يبعث اليه سرا ويستنظره ، فلما تم الأجل ولم يفعل فرعون شيئاً كثر البلاء عليهم ، وتهدمت منازلهم وفسدت زروعهم وكثرت الآيات فى منازلهم

وكان الناس قد خافوا موسى وهابوه ، وكانوا يؤمنون به سرا ، فمن آمن به

---

١) فى ب نخرج جماعة من الموضع

زال عنه الأذى

فلما زاد الأمر على فرعون أحضر موسى وقال له إن أجبتك مالى عندك ؟ قال أردد شبابك ، وأضعف عمرك ، وآمنك من جميع العلل ، ومن زوال ملكك ، وأعلى يدك على من ناوأك من الملوك ، وأكثر فيك نشاطك ، وأكلك وشربك .

قال له فرعون إن فعلت ذلك فقد أنصفت فأنظرنى إلى غد ، ثم شاور هامان فمنعه ، وقال له نموت غدا أصلح لنا ، قال فلما يئس منه قال فأطلق لى بنى اسرائيل قال انما تريد اخراجهم من بلدى لتكون عليهم أميراً ملكا ، وانا انتفع بخدمتهم ، وهذا حسد منك لى

قال له موسى عليه السلام فأنتقل على ان لا تدعى الربوبية ، قال اذا انقص من أعين الناس ، قال فان الله سيهلكك ويهلك قومك ، وتصير ارواحكم الى نار حامية ، قال فانى أفعل ذلك معك سرا ولا افعله جهراً ، وأقرب للآلهة [1] القرابين العظام

قال موسى عليه السلام إن إلهى لا يرضيه إلا أن يؤمن به الناس أجمعون ، فأما أن تؤمن به وحدك سرا دون الناس ، فلا يرضيه ذلك ولا يقبله منك سرا حتى تظهره

قال وإن لم تفعل ذلك فان الله مهلكك واهلك ، وعلامة هلاكك أن لا يبقى لك هيكل إلا تهدم ولاصنم إلا خر ، وقد خالفت مادعوتك اليه مرارا كثيرة ، وأنا أحذرك الخلاف ، وإن الله سيعجل لك العقوبة ولا ينظرك

ثم إن فرعون طول مطل موسى عليه السلام بما وعده فى امر بنى إسرائيل ، ولم ينجزه ، ورأى موسى عليه السلام أنه لايرجع الى خير ولا ينفع فيه وعظ ،

---

١) فى ب وأقرب للأهل

وخاف أن يفجأ بنى إسرائيل بايذاء كثير، فعزم على الخروج عنه ببنى اسرائيل

وحضر لبنى اسرائيل عيد كانوا يجتمعون فيه ، فأمر موسى عليه السلام نساء بنى اسرائيل أن يستعرن حلى نساء القبط ، ويأخذن منه ما يقدرن عليه من ثيابهن ، ويتزين به فى عيدهن ، ففعلن ذلك ، ثم دعونهن فى عيدهن فأكان معهن وشربن

وكان موسى عليه السلام أبعدهم قليلا الى جانب المشرق ، وأمر أن يبعدوا هنالك فلما أكلوا وشربوا ألقى الله تعالى على القبطيين رجالا ونساء السبات حتى منعهم من كل شىء

ثم سار موسى عليه السلام بجميع بنى اسرائيل من أول الليل ، وكان عددهم ستمائة ألف وأربعين ألفا ونيفا

وأخرجوا تابوت يوسف عليه السلام من النيل وحملوه معهم ، دلتهم على موضعه عجوز مؤمنة من القبط ، ومضت معهم

فسار ببنى اسرائيل الى ناحية بحر القلزم ليخفى آثارهم ، فلما كان من آخر الليل عرف فرعون بخروجهم ، وما فعلوه بنساء القبط من إعارة حليهن الى الاسرائيليات ودعائهن به ، فجلس لوقته ونادى فى الناس ، فلما اجتمعوا أمرهم أن يتأهبوا للركوب فى آثارهم وأجلهم ثلاثة أيام

وخاطب كل من قرب منهم وبعد من جيوشه وحشوده أن لا يتأخروا عن لحاقه طرفة عين ، فلما أصبح فى اليوم الرابع ركب الناس ، وركب معهم يتقدمهم واتبعوا آثار بنى اسرائيل ، ولم يبق أحد من اولاد الملوك ولا من أتباعهم ولا من فيه فضل إلا سار معه ، فيقال إنه كمل عددهم ، وزاد على موسى عليه السلام ستة آلاف ألف

فلم يمر موسى عليه السلام بعلم من أعلامهم إلا سقط ، ولا بصنم إلا سقط

لوجهه ، وساروا مقربين حتى لحقوهم على ساحل البحر

فلما أحس موسى عليه السلام بهم ، قال لأخيه هارون تقدم الى البحر وكنه بأبي العباس ، ومره أن يكف عنا موجه ، ويسكن عنا حركته ، حتى أصل أنا ومن معي

فمضى هارون لذلك ، وركب موسى عليه السلام ، فلما وقف موسى على البحر ضربه بعصاه ، فانشق لوجهه وظهرت فيه اثنتى عشرة طريقة ، فدخل كل سبط على طريق ، وجعل بينهم طاقات رقيقة من الماء ليرى بعضهم بعضا ، فدخل القوم ، ودخل موسى عليه السلام فى آخرهم

فلما رآهم فى البحر هم بتركهم خوفا من البحر ، فأقبل جبريل عليه السلام بفرس بلقاء ، فدخل فى أثرهم ، فلما رآها فرس فرعون اقتحم به فى أثرها ، فلم يقدر فرعون على إمساكه ، لأنه كان حصانا ، وقد كان طال عمره

فلما دخل فرعون اتبعه قومه عن آخرهم ، فلم يبق فى البر أحد منهم فتوسطوا البحر ، وقد خرج موسى عليه السلام ومن معه من الناس ، فأمر الله تعالى جل جلاله جبريل عليه السلام أن يطبق البحر على فرعون وقومه ففعل

فلما رأى ذلك فرعون قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل ، وأنا من المسلمين ، ولم يقلها صحيح النية

فلما سمعه جبريل عليه السلام رجمه بكف من الحمأة ضرب بها وجهه ، وسد بها بها فاه ، خوفا أن يرحمه الله تعالى بذلك القول

فغرق الجميع ولم يفلت منهم أحد ، وحملت أرواحهم الى النار ، ولما هلكوا طرح الله تعالى [جملة منهم] على عبر البحر ، منهم فرعون فى موضع مرتفع من الأرض ، حتى رأوه وعرفوه وبين الله ذلك فى كتابه الكريم الذى أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم

تم وكمل كتاب اخبار الزمان وما أباده الحدثان وعجائب البلدان ، والغامر بالماء والعمران، بمعونة الله وقوته ؛ فله الحمد والشكر على ما أولى من النعم الجسام والبر الأنعام

على يد أضعف عباد الله وأحوجهم إلى الرحمة والمغفرة والرضوان عبدالرحمن ابن محمد بن محمد البصرى سامحه الله وغفر له ولوالديه ، ولمن كان السبب فى كتابته ولمن قرأ فيه ولجميع المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ؛ الأحياء منهم والأموات

ووافق الفراغ فى نسخه يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى أحد شهور سنة سنة اثنين وثمانين وثمانمائة أحسن الله على بها

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله آمين آمين وصحبه وسلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم استغفر الله الكريم

وكان الفراغ من طبعه فى اليوم العاشر من شهر رجب الفرد سنة ١٣٥٧ هجرية الموافق ٥ سبتمبر سنة ١٩٣٨ ميلادية . وقد قام بتصحيحه ومراجعته عبد الله اسماعيل الصاوى صاحب دار الصاوى للطبع والنشر والتأليف بشارع درب الجماميز رقم ١٠٣ بالقاهرة

فهرس الكتاب

تم الكتاب بعون الله تعالى